الجزء الثاني

صوفي كاركان

(حصري)

100 قصة وقصة

لحلّ مشاكل الأولاد

التربية السهلة بواسطة قصة

حكايات تعالج مشاكل الأولاد ومخاوفهم



(حصري)

100
قصة وقصة
لحل مشاكل الأولاد

كتاب رائع ومساعد ضروري لكل الأهل يطرح رواية القصص كعلاج لمشاكل الأولاد الحياتية والعائلية والوجودية.

- يقول كلمات نابية
- والداه مطلّقان أو منفصلان
- يرفض أن يأكل أو يأكل كثيراً
- لا يتقبّل ولادة أخ أو أخت جديدة
- لا [illegible]
- لا ينام إلا بالقوة، يخاف من الكوابيس والعتمة
- يخشى الانتقال إلى مدرسة جديدة أو بيت جديد
- رفاق المدرسة يضايقونه ويجد صعوبة في عقد الصداقات
- يعاني في البيت من الخلافات والشجارات والمشاكل الزوجية

كثيرة هي الأسئلة التي يطرحها الأولاد وكثيرة مشاكلهم، ساعدوهم على حلّها بأبسط الطرق.

أخبروهم قصة!

صوفي كاركين

صحفية متخصصة في مجال علم النفس. مسؤولة عن صفحة الأطفال في مجلة Madame Figaro. لها مقالات عديدة في مجال علم النفس وعلم الاجتماع في مجلتي Le Figaro و Parents. وهي أم لثلاثة أولاد.



لبنان 4000 ل.ل.	الكويت 1 دينار	البحرين 1,5 دينار	عُمان 1,5 ريال
سوريا 125 ل.س.	الإمارات 15 درهم	المغرب 25 درهم	مصر 15 جنيه
الأردن 2 دينار	قطر 15 ريال	تونس 3,9 دينار	

www.salamatalk.com • www.darelfarasha.com

مقدّمة

«كنت أجد في قصص الجنّ التي كانت تُحكى لي في طفولتي معنىً أعمق من الحقائق التي تعلّمنا إيّاها الحياة».

(شيلير Schiller)

لماذا نحتاج الحكايات كي نشفى؟

فلنتذكر أننا كنا بدورنا صغاراً.

لقد ارتعدنا أمام ساحرة شرّيرة أو أمام فارس مقنّع. وارتجفنا في الظلام؛ لقد خشينا أن تهبط الأرض عندما كان أهلنا يتشاجرون. لقد انتابنا الخوف لدى انتقالنا إلى مدرسة الكبار، وخشينا، كما نخشى الموت، الوحدة في الملعب أثناء الفسحة عندما كنا «الصغار الجدد» بينما الآخرون يلعبون بالحبلة. لقد حزنّا حزناً شديداً لدى وفاة جدّنا.

كنّا نودّ معرفة السرّ الذي يجعلنا نحن نخيف المسخ أو نمحو الوجع أو لا نشعر باليأس عندما يكفّ من هم حولنا «عن التحدّث إلينا». كم تمنّينا كشف السرّ كي لا نجهش بالبكاء إذا بكت أمّنا، أو كي نتقبّل فراق والدينا دون أن نشعر بالذنب...

ربما يقول البعض: «لمَ هذه الصورة القاتمة في حين أنّ الطفولة عمر عجيب؟»

بل وأكثر من ذلك، الطفولة هي عمر العجائب، فأولادنا ليسوا منقطعين عن واقع هذا العالم ولا يعيشون فوق غيمة صغيرة. اليوم، أكثر من الأمس، يتعرّضون لوابل من الصور ويدخلون عالم الإنترنت وهم بعد في الحفاض. هم يواجهون، في كل حين، وقائع وتجارب مختلفة تجعلهم يكبرون، ولكنّهم في نفس الوقت يتعذّبون وهذا ليس سبقاً صحفياً.

نحن كبرنا، كما يقولون، وبالكاد نذكر كم يمكن أن نكون سريعي العطب عندما نكون صغاراً، وقد كتبت فرنسواز دولتو عن هذه القابليّة للعطب، عن ضعف الأولاد... وبنوع خاص الأولاد الذين التحقوا للتو بصفوف الحضانة والذين لا يسيطرون على أي نقطة مرجعيّة تتعلّق بالمكان أو الزمان ولا يعرفون حتّى حدود وإمكانيّات أجسادهم. كانت تقول: «يجب أن نعلّم الأولاد حسّ الاتجاه وأن نعطيهم دروساً في الجغرافيا كي يتمكّنوا من تحديد مكان وجودهم وبالتالي وجهة مسيرهم». وبالطبع، نحن نسينا كل ذلك.

كما أننا، بالطريقة عينها، نسينا معنى الخوف في الظلام. عندما نراهم يلعبون ويبتسمون، هؤلاء الأطفال، فلذات أكبادنا، والذين نعتقد أنّنا نعرفهم حتى أخمص أقدامهم، ننسى أي أنواع من المخاوف الخانقة يمكن أن يواجهوا. فالأولاد يحسّون ويشعرون ويعرفون... وقد لا يبوحون لنا بذلك.

ومهما حاولنا إخفاء حالتنا النفسيّة وراء ابتسامة عريضة، فالأولاد يحسّون بتعبنا وإرهاقنا. يحسّون أنّنا قد تشاجرنا أو أنّنا على وشك الطلاق أو على شفير النوبة العصبيّة. يحسّون عندما

يكون في العائلة اضطراب ما. إنّهم يتمتّعون بالحاسة السادسة لكن بالطبع لا يقولون شيئاً، بل يتابعون اللّعب بهدوء، بالدمية أو بالكمبيوتر أو بألعابهم الإلكترونية... ولكن في داخلهم ما يشبه الهزة الأرضيّة.

أخفوا عنهم نبأ وفاة أو زيّنوا لهم حقيقة مزعجة، فيذكرونها في كلامهم، وبما أنه ما زال يصعب عليهم التعبير عمّا يشعرون به فيكبتون أحاسيسهم ويحوّلونها إلى مشاكل صحيّة فيتبوّلون في الفراش أو يصابون بالتهاب الحنجرة أو التهاب الأذنين المتكرّر... أو يطلقون انفعالاتهم على دمية الباربي!

اليوم، نعرف تماماً ما هو ثمن الصمت: الأسرار العائلية تُفشى في جميع المجلات. لحسن الحظ، لقد بات عالم السكوت والتقاليد من الماضي! لقد فهمنا تماماً أنه لا يصحّ السكوت أو تجاهل قلق الأولاد أوتمويه الحقيقة والتصرّف وكأنّ كلّ شيء على ما يرام.

دعونا لا نعامل أولادنا وكأنّهم ملائكة أو هررة صغيرة نتباهى بها في الصالونات. ولنكفّ عن القول لهم ونحن نضحك عالياً: «ولكن ما بك عزيزي، ولماذا تتخيّل هذه الأمور؟ ما لنا ولهذا الكلام، فالقضيّة محلولة، اتفقنا؟» أو نقول لهم: «طبعاً لا، لن يحدث طلاق ما بيننا، أنا ووالدك. كل شيء على ما يرام وعلاقتنا جيّدة، اتفقنا؟ والآن اذهب واهتم بفروضك». تعود هذه العبارات لحقبة ما قبل التاريخ أو ما قبل التحليل النفساني.

كم من ولد انطوى على ذاته بسبب شعوره بالذنب من جرّاء عنفه الداخلي أو «أفكاره السيئة»؟ كم من أضرار سبّبت هذه

العبارات بالرغم من أنها كانت في الأصل مهدئة ومطمئنة؟... إذا رفضنا أن تحدّث الأولاد عما يقلقهم فنحن ندفعهم إلى الإحساس بالوحدة.

الدخول إلى عالمهم يعني الدخول إلى لغتهم

من غير المجدي أن نعتمد معهم أسلوب الوعظ والعقلانية والشرح فإن الأمور الجوهريّة لا تبرهن، إننا «نراها بالقلب»، نحكيها ونتخيلّها، كما في حكاية «العنكبوت ماتيلدا» التي كانت بحاجة إلى العطف مما جعلها تسرق كل ما تجد؛ أو كما في حكاية «رامي» الذي وقع ضحية الابتزاز فأعطى كل ما لديه كي يستطيع أن ينخرط في جماعة صفّه؛ أو «يارا» التي دخلت المستشفى لوقت غير محدّد؛ أو «ميلا» الجنيّة الصغيرة اليائسة بسبب طلاق والديها فتسأل نفسها عما إذا كانت قد ألحقت بهما الأذى عن طريق السحر، بدون إرادتها...

إن جميع هذه الشخصيات ترسل الولد إلى ما يسمّى بمفعول المرآة حيث يرى انعكاساً لصورة تجربته الخاصة. إنها شخصيّات خُلقت كي تحدّثه عن ذاته فتوضّح القلق والخوف اللّذين لم يصلا بعد إلى داخل وعيه. وبهذه السلسلة من الحكايات القصيرة، يستطيع الأهل محاربة الضغط الذي يقع على أولادهم والتعاطي مع معاناة الولد الحالية عن طريق اللعب والصورة.

من جزاء ذلك، إن الخيال ـ الذي هو علاجيّ حتى ولو أن الوصفة تتبخّر كما الأثير ـ يساعد الولد على أن يسيطر بنفسه على القلق ويتخطّى الصعاب دون أن يضطرّ للخضوع، لأمرٍ أو لإيعازٍ ما من أهله.

إن العبارات على شكل «لا تقلق! لا تخف من الظلمة! إن هذا مثير للسخرية» أو «على كل حال، لا يعني ذهابك إلى المدرسة أننا نهملك أو نتركك فماذا دار في مخيّلتك؟» كلّها اصطلاحات اجتماعية تعيد الأولاد من جديد إلى أسئلتهم دون أيّة إجابة عليها.

ولكننا نعلم تماماً أنّ الأولاد لا يحبّون الاصطلاحات ولا العبارات أو الجمل المبطّنة وبالتالي فإنّ كل ذلك غير مجدٍ! إنّ هذه الجمل لا تسترعي اهتمامهم لأنها تهدف فقط إلى تنويم ما لا مجال لتنويمه (القلق والكآبة والحزن والعنف). كما أنّ الولد يحب الحقيقة الواضحة ويرفض أن نعتبره مجرّد أبله أو أن نحاول تنويم ارتيابه.

إن كل ولد شبيه بالأمير الصغير فهو لا يتراجع أبداً عن سؤال واحد أو تساؤل واحد وبالتالي...

بالتالي فنحن بما لدينا من اهتمامات تختلف تماماً عن اهتمامات الأولاد (الخوف من البطالة والمرض والشيخوخة)، علينا أن نحاول أن ننسى اهتماماتنا هذه لنعود وندخل عالم الصغار.

نعم، إنه من الطبيعي أن يخاف الصغار من أن تسقط السماء على رؤوسهم أو يخافوا أن يتركهم أهلهم. إنه من الطبيعي أن يخافوا من المدرسة والظلام والخطف. من الطبيعي أن يخافوا من الساحرة الشرّيرة ومن الفارس المقنّع، ولكن من الطبيعي أيضاً أن نحدّثهم عن كل ذلك.

«كيريكو» يلعب لعبته

«إن الولد الذكي يعالج نفسه بنفسه...»

لا يتأثر الولد إلاّ قليلاً بالكلام المنمّق أوالعقلانيّ، فهو بالكاد يتعلّم كيف أن اثنين زائد اثنين تساوي أربعة ولا يستطيع بعد أن يُدخِل قلقه في معادلة رياضيّة.

بالطبع، نستطيع أن نقول له: «هل تعلم يا توماس أنّه من الطبيعي أن تشعر بالغيرة تجاه أخيك الصغير وأنت ابن الخمس سنوات فأنت تعيش في حالة صراع داخلي. إنك تحب أخاك ولكنّك تشعر أننا لم نعد نحبّك وأنه قد حلّ محلّك» أو نقول له: «نحن على وشك الطلاق، هذا هو واقع الحال إنّما هذا لا يمنع من أن نحبّك». بالطبع إنّ هذا أفضل من السكوت ولا شك في أن الولد سوف يجد في هذا الكلام بعض العزاء ولكن هذه الكلمات القليلة لا تضمّد جروحه البليغة.

إنّما، بالمقابل، إذا سردنا له حكاية فسوف تدخل الى أعماقه، إذ إنه سوف يتخيّلها ويحلم بها ويجد العلاج بنفسه من خلال هذه الحكاية. وبعد ذلك، سيسمع صوتاً يهمس في أذنه: «لا عليك فأنت تعلم تماماً أنّ ذلك غير مهم!» وسوف يستمع الى هذا الصوت الآتي من أعماق كيانه.

يستطيع أولادنا أن يشفوا بأنفسهم... شرط أن نعطيهم الثقة بالذات.

إن شريط الرسوم المتحركة «كيريكو والساحرة» لـ«ميشال أوسولو» ليس مجرّد قصة للأولاد بل هو قصة رائعة تدور حول الثقة بالنفس وحول الولوج الى عالم الكبار. لنتذكّر...

عندما تسمع الأم كيف يتكلّم الطفل وهو في بطنها (كيريكو، فيما بعد) تشجعه على أن يولد بنفسه فتقول له «إن الطفل الذي يتكلّم في بطن أمه يولد بنفسه».

وعندما يخرج كيريكو بنفسه من أحشاء أمّه وهو الذي كان قد تأثر بنصيحتها، تؤكّد له هذه المرأة الأفريقية اللطيفة قائلة:

«إنّ الطفل الذي يولد بنفسه يستطيع أن يستحمّ لوحده» وهذا ما يفعله كيريكو بالطبع!

وأخيراً، عندما يريد كيريكو، وهو الرجل الصغير الذي يبلغ طوله بضعة أقدام فقط، أن يحارب «كارابا» الساحرة الشرّيرة آكلة البشر، عليه أن يمرّ بتجربة قاسية لا يمرّ بها إلاّ الأبطال، وتدعى تجربة «وكر النمل ذي اللسعة الحارقة» وكيف لا يعلم ذلك وهو الولد النبيه الفطن: من خلال تجربة النار هذه، سيربح رتبة البطل الراشد. غير أنّه يمرّ بحالة ريب في هذه اللحظة من تاريخ حياته فيسأل والأمل يملأ عينيه: «أمّاه، هل تظنين أنني جدير بدخول الوكر الكبير»؟

فتجيبه الأم بهدوء: «نعم، أعتقد ذلك»

وبالطبع يخرج كيريكو من هذه التجربة منتصراً... وكذلك في التجارب اللاحقة بفضل الثقة التي أولاه إياها الكبار.

وعندما يحين وقت مجابهة الساحرة، يعود كيريكو ويقول لجدّه: «أنا خائف، أرجوك أن تعطيني تعويذة، تميمة تساعدني». فيجيب الجدّ وهو الحكيم العظيم:

ـ «لست بحاجة الى ذلك، قوتّك تكمن في براءتك».

وينتصر كيريكو، ترفعه عالياً الشعلة الصغيرة التي يقرأها في عيون الآخرين: شعلة لامعة بالثقة والحبّ والإعجاب، فالثقة التي توليها للأولاد تشكّل لهم درعاً ! بفضلها، بات كيريكو بطلاً ولن

يتحوّل إلى كائن مسحور كما هي حال باقي الرجال بل سيبقى حرّاً وسوف يحرّر القرية.

ما الداعي لهذه الدورة التي دارها «كيريكو»؟ إنّ الأساس يكمن هنا، في الثقة التي نعطيها للولد. فلندعه يستمع ويحلم ويتخيّل . . . ويشفي ذاته بذاته.

صحيح إنّ الأولاد ليسوا راشدين، إنما هم أحرار. فلنحترم إذاً حرّيتهم ولنمنحهم الحب والكثير من الثقة بالنفس أمّا الحكايات فبامكانها مساعدتنا. من جهة، إنّها توفر لنا إمكانيّة التأثير في الأولاد عند الحالات الصعبة مما يتيح لنا التحدّث معهم، ومن جهة أخرى، إنّها تترك للطفل مجالاً للتحكّم بالوضع وتسلّق الصخرة. . . والعبور إلى صخرة أخرى فيكبر ويصبح فارساً لا يعرف الخوف.

كيف نستعمل هذا الكتاب؟

وضع هذا الكتاب في عدة فصول يمكن استطلاعها والعودة إلى كلّ منها تبعاً لصعوبة الحالة التي يمرّ بها الولد.

كان لا بدّ من أن نولي اهتماماً خاصاً للحالات التي يمرّ بها الأولاد (والأهل) في معظم الأحيان وهي: صعوبة النوم، الكوابيس، الوحدة، الغيرة بين الأخوة والأخوات . . .

نجد في آخر كلّ فصل مقطعاً عنوانه «ما قصة. . .»، نحاول فيه شرح هذا الخوف والقلق.

كما أنّنا نقرأ في الفقرة المعنونة «ناقشوه في الموضوع» بعض طرق المحادثة للدخول معه الى صلب الموضوع، بكلّ بساطة.

كما نستطيع أن نقرأ للولد هذه الحكايات دون سبب وجيه أو دون أن يكون هناك أي نزاع أو مشكلة ينبغي حلّها، فنقرأ معه للتنويه ببعض الحالات الصعبة التي قد يقع فيها أي أنّنا نفعل ذلك على سبيل الحيطة. وفي هذه الحالة، إنّ الاهتمام الذي قد يوليه الولد لهذه الحكاية أو لتلك، والأسئلة التي تتبع ذلك، كلّها مؤشّرات مهمّة عن اهتماماته الحاضرة.

لماذا يحبّون الحكايات إلى هذا الحدّ

حكاية حزينة للأيام الممطرة وحكاية فرحة للأيام المرحة. حكاية الجنّ إذا كنّا قد تشاجرنا مع امّنا أو حكاية الذئب إذا كنّا نخاف من الظلام... فالحكايات تشكّل جزءاً من عالم الصغار، منذ طفولتهم. هي حكايات تثير فينا الضحكة أو الابتسامة أو الخوف، حكايات من خلالها نلعب دور شخص آخر، حكايات تثير فينا القشعريرة، ولكنّها، في النهاية، حكايات تساعدنا على أن نتغلّب على السكوت.

حكايات بدلاً من الصمت

لا يحتاج الأطفال الى الصمت إلاّ وقت النوم وليسوا بحاجة إليه كي يكبروا. لهذا، تراهم يحبّون الثرثرة ويودّون الاستماع إلينا ونحن نحكي لهم حكايات.

ابتداء من أي عمر هم يحبّون الحكايات؟ إن شغفهم بالحكايات يبدأ باكراً، منذ حوالي سنّ العشرة أشهر وربّما قبل ذلك. حتّى ولو أنهم لا يفهمون كل شيء، تراهم يتنشّقون رائحة الكتاب أو يمزّقونه أو يدعكونه، وهذه ربّما وسيلة يخرجون بها من واقعهم، من ورطتهم.

لنراقب طفلاً وهو يحمل كتاباً. فالكتاب يبدو له وكأنّه مفتاح على العالم. يستغرق في التمعّن بالكتاب بشغف ويتفحّص جميع

جوانبه وتبدو عليه علامات التساؤل، يتأمّله كما لو كان شيئاً غريباً جاء من عالم آخر، شيئاً يحتوي على «الكلمة الأخرى»، الكلمة الحقيقيّة التي بها يخرج الطفل إلى الكون.

هل يعي صغارنا منذ الآن أنهم يجدون في الكتاب القوة والذكاء والسكينة؟ أو يجدون فيه منبع أسرار وحيل وأجوبة ولعب على الألفاظ للضحك أو البكاء؟ أو ربّما هم يشعرون مسبقاً بما قاله مونتسكيو عن الأدب: «ما من حزن عميق إلاّ وتمحوه من داخلي ساعة من المطالعة»، فالمطالعة تهدّئ الآلام لأنّها تسمح لنا بالوصول الى ما هو كونيّ فنتخطّى بذلك حدود أسرارنا الحقيرة.

بالطبع، إنّ الأولاد لا يعبّرون بهذه الطريقة ولكنّهم يفكّرون: «آه، لقد حصل ذلك أيضاً لـ«سندريلا» ولست الولد الوحيد الذي يتخاصم مع إخوته». لا، ليس الولد الوحيد الذي يتمنّى لو يخنق أخاه الصغير أو يكره أمّه ويعبدها في آن واحد، أو الذي يتساءل لماذا يعود والده متأخراً جداً. ليس وحده من يشعر بفراغ كبير في صدره عندما يتشاجر والداه ... لنراقب عينيه: هما تلمعان عندما نقرأ له حكاية.

الخروج من فخ الأنا

يتخطّى الولد، بفضل الحكايات، دائرة ذاته الضيّقة والمسلك الأناني الذي يسلكه هو أو تسلكه عائلته. وتعود إمكانيّة التخطّي هذه، على وجه التحديد، إلى أن الولد يتماثل مع بطل القصة. وقد كتبت «مارت روبرت» في مقدمة كتاب «حكايات» للكاتب «غريم» ما يلي: «تعرض الحكاية على الولد صورة عن العائلة البشريّة، ومملكة الحكايات ليست سوى عالم العائلة المقفل والمحدود».

ويتابع الكاتب: «وتصف الحكاية، بشكل أساسي، العبور من سنّ الطفولة الى سنّ النضوج وهو عبور ضروريّ وعسير في آن واحد، تعترضه عوائق عدّة».

مملكة، ملكة وملك. جُحر وعائلة أرانب. تسقيفة وعائلة فئران... هذا يكفي لبناء حكاية وتدوينها وبلورتها. أليست المملكة كما الجُحر أو التسقيفة، هي أيضاً، استعارة لنفسيّة الولد؟ أليست مسرحاً للنزاعات العائليّة؟ إنّ هذه الأمكنة هي التي تساعد الولد على التماثل ثم على التعبير عمّا يجري في داخله من نزاعات.

وبفضل هذه الحكايات ـ تلك التي تستهويه ـ، يخرج الولد شيئاً فشيئاً من جُحر القلق ويكفّ عن الشعور بالذنب وعن تكرار الأفكار السوداء التي تجعله ينطوي على ذاته أكثر فأكثر.

تشبه الحكاية ضوءاً صغيراً في الظلام. هي تهمس إلى الولد بأنه ليس وحيداً في الغابة المظلمة، كما أنها تساعده على وجود مخرج أو على تضميد جراحه الأولى. وإذا منع الأهل أولادهم من قراءة الحكايات المخيفة بحجّة وقايتهم من الخوف، فإنّهم في الواقع يسلّمونهم للواقع الأليم فيجابهونه دون أي حماية.

هل هي حكاية حقيقيّة... أم هي خرافة؟

«أهي حكاية حقيقيّة؟»، هذا ما يسأل الولد وقد بدا عليه الشغف بهذه الحكاية.

ـ «طبعاً، إنها حقيقيّة ولكنّ أحداثها جرت منذ زمن بعيد جداً».

بشكل عام، يحتار الأهل بأمر الاجابة على هذا السؤال لا سيّما إذا كانت الحكاية تروي أحداثاً مخيفة جداً كما في حكايات

الجنّ التقليديّة. فإنّ حقيقة الحكايات هي مميّزة: إنها حقيقة تخرج عن مفهوم الزمن، هي حقيقة لكلّ زمن، سارية الفعل في الماضي والحاضر والمستقبل وهي تستعين في ذلك بآليّة اللاوعي والانفعالات وغيرها.

أما اللغة الوحيدة التي تستهوي الأطفال فهي لغة الخيال. ولقد كتب برونو باتالهايم (Bruno Bettelheim) في كتابه حول التحليل النفساني للأساطير ما يلي: «يزعم البعض أن الأساطير مُفسِدة لأنها لا تبيّن الصورة «الحقيقيّة» لواقع الحياة [...]. ولكنّ «الحقيقة» في حياة الأطفال قد تختلف تماماً عمّا هي عليه في حياة الكبار».

لغة الواقع

هل نتكلم حقاً مع أولادنا؟ ما هي الرسائل التي نوصلها إليه عندما نكلّمه في نهاية يوم كان حافلاً بالضغوطات؟

عندما نعود إلى المنزل، في المساء، ونحن متعبين عصبيّين ومعدمي الصبر، نتكلّم إليه بلغة «الواقع»: «هل كتبت فروضك»؟ «هيّا إلى المائدة، الطعام جاهز!»، «نظّف أسنانك!»، «رتّب غرفتك»، «هيّا، بسرعة، فأنت ذاهب إلى المدرسة غداً!» الخ.... وإذا احتجّ الولد أو بكى، نواجهه بالقول: «كفى، ألا ترى كم أنا تعب (ة)؟». إنّ كل ذلك يهدف إلى منعه من طرح الأسئلة، كما أنّ مجموعة هذه الملاحظات والأوامر وعبارات اللوم ليست «ظريفة»!

ماذا لو تكلّمنا معه لغة أخرى؟

المصالحة الكبرى!

ما هو الكلام الذي نستطيع اللجوء إليه فيما لو ساءت الأمور وتشاجرنا، فضايقونا وصرخنا في وجههم، أي كلام نعتمد؟ أنعتمد لهجة «الأهل ـ الأصحاب» التي قد تعكّر الأجواء، أم لهجة الأهل ـ القساة التي تكلّمنا عنها سابقاً؟

أما الحكاية فقد تكون لنا بمثابة استراحة المحارب إذ نجلس معاً ونقرأ ونسرح في البعيد فننسى كل شيء، لبعض الوقت.

الانفعال يوصل الرسالة

في حكاية «تفاحة»، الهرّة الصغيرة التي كانت تعيش في عالم مستدير الشكل، نجد الكلام العادي والكلام المسموح به أو على العكس، الكلام غير المسموح به..

ماذا يعني الكلام المسموح به؟ هو بالطبع يعني الكلام الاجتماعي وأحاديث الصالونات، الخطاب المعقّم الذي نرتاح إليه، نحن الكبار. كأن نقول مثلاً: «أنت رائع ويبدو على وجهك الارتياح ... كيف حالك؟»

ـ تمام، كل شيء على ما يرام.

وعلى العكس من ذلك، فإن الحكايات وقصص الأطفال لها وقع في الخيال كما لو أنها تفتح ثغرة أعمق بكثير من تلك التي تفتحها «الكلمات المسموح بها». فالكتب فيها الكلام المختلف، «اللااجتماعي»، المحمّل بالانفعال وبالموسيقى؛ هذه هي اللغة الوحيدة التي قد تهزّنا وتهزّ معنا أولادنا لأنها تمتنع عن الرموز وتبغي الحقيقة.

إنّ الأطفال الذين يشتمّون رائحة الكتب هم على حق: فالكتاب هو فعلاً مفتاح للدخول إلى العواطف الغنيّة التي بها يشفى الطفل. فالأطفال يعلمون أنهم سيرتجفون مع «الخنازير الثلاثة الصغيرة» ـ حكاية تبيّن عدة مخاوف من مخاوف الأولاد ـ أو يبكون مع «بائعة الكبريت» أو يتعاطفون مع «سندريلا».

وتفتح الانفعالات طريقاً لمرور الرسالة. ولكن، حذار! إن حكاية تُحكى بدون أي انفعال أشبه بخطاب بارد أو بكلام اجتماعي أو كلام عقلاني كثيراً ما يستعمله الكبار. أما الأولاد، فهم يتكلّمون بطريقة مختلفة.

الحكاية والبوح بالأسرار

قد تكون الحكاية واسطة تحرّك بها رغبتهم في البوح بما يختلج في داخلهم. فمن جهة، عندما نقرأ لهم حكاية، نتقرّب منهم، ومن جهة أخرى، تشكّل الحكاية وسيلة أو أساساً للتحادث معهم.

هل لاحظتم أن الأولاد يكرهون حشريّتنا الملحّة في معرفة خصوصيّاتهم؟ وغالباً ما يتركوننا نتخبّط مع أسئلتنا.

«كيف كان نهارك يا عزيزي؟»

ـ ....

ـ ماذا؟ ألا تخبرني شيئاً؟ هيّا، هيّا، هل أصبح لديك رفاق؟ هل لعبت اليوم؟ والمعلّمة، هل هي لطيفة؟ أجبني، هيّا!»

لا شيء، حائط من السكوت، وهذا أمر طبيعي: فالأولاد لا

يحبّون إلا الأسئلة التي يطرحونها بأنفسهم، شأنهم شأن «الأمير الصغير» لـ«سان أكزوبري» (Saint Exupery).

بهذه الطريقة، إننا لا نحصل على أية نتيجة، فأسئلتنا التي تبدو لنا أسئلة مفتوحة، هي في الواقع أسئلة مقفلة، والأولاد يعلمون ذلك. نحن نودّ لو أنهم يجيبون: «نعم يا أمي، لقد أمضيت نهاراً رائعاً. حزت في الإملاء على علامة خمسة على خمسة، ولعبت جيّداً في الملعب. لقد صاحبت الكثير من الأولاد، وأكلت كما يجب في مطعم المدرسة (وبنوع خاص، أكلت اللوبياء الخضراء) . . .»

هذا ما نتوقّعه في أجوبتهم، بنفس الطريقة التي اعتمدناها في كلامنا نحن الكبار حيث نلجأ إلى الرموز المُرائية المخادعة كما في: «كيف حالك؟ ـ على أحسن حال، وأنت؟» أما الأولاد فهم لا يدخلون في هذه اللعبة أبداً!

تخيّل ولداً يلعب لعبة الحقيقة، فيقول ما يلي: «في مطعم المدرسة، شعرت بكتلة كبيرة في حلقي وأحسست بالوحدة إذ تذكّرت عطلة نهاية الأسبوع التي أمضيناها معاً للتو. أراد هاني أن يأخذ مني «عصرونيّتي» فأعطيته إيّاها لأنني كنت لوحدي في ملعب المدرسة. أما المعلّمة، فقد جعلتني أملّ من عمليّات الجمع والطرح. وقد سألت نفسي لماذا لا نبقى نحن الأربعة مع بعضنا، على الدوام . . .»

ولكن الولد لن يقول لنا ذلك. أولاً، لأنه مغمور بالأجواء المدرسيّة ولا يستطيع التعبير عن شعوره بواسطة الكلمات، وثانياً لأن ابن الـ4 أو 5 أو 6 سنوات لا يعرف الاستبطان، العملية التي تشاهد بها الذات ما يجري في الذهن.

وبالمقابل، إذا حكينا له حكاية عن شخصيّة أخرى تمثّله، كحكاية الأرنب الصغير الذي أمضى اليوم الأول في المدرسة بصعوبة، أو حكاية الفتاة الصغيرة التي لم تكن تريد أن تقول: «إلى اللقاء»، فإننا بهذه الطريقة نجعل لسانه ينحلّ فجأة، ويعود ذلك، ببساطة، إلى أننا لا ننتظر منه شيئاً.

سيقول لك مثلاً: «أنا أيضاً مررت بهذا. وقد داعبتني المعلّمة قبل القيلولة. لقد بكيت عندما ذهبتِ أنتِ ولكنني توقفت عن ذلك مباشرة بعد ذهابكِ». أو يقول: «في ذلك اليوم، كنتُ أنا أيضاً مثل بسّام إذ كنت وحيداً وحزيناً في ملعب المدرسة وتمنّيت الموت. وأعتقد أنني قد غفوت قليلاً على أحد المقاعد. . .»

ويكمل الحكاية بكلمات خاصّة به.

ألم تلاحظوا أبداً كيف أنّ الحكايات ترغّب الأولاد بالتعبير؟ فهم يفيضون بعلامات الاستفهام المبطّنة. وإذا ما أظهرنا، نحن الأهل، احترامنا لعالمهم ولم ندخل عنوة إلى حياتهم الخاصة، بوسعنا أن نأمل منهم التعبير بارتياح.

عندما يلعب الولد لعبة التماثل، يخرج قليلاً من ذاته، فهو صاحب «الأنا» ذات الحدود القابلة للسقوط. يعرف هويّته معرفة يشوبها الغموض ويتعاطف مع شخصيّة القصّة؛ يتعذّب معها. . .

فلنحرّر الوحوش... والساحرات!

لنتكلّم عن قصص الهلع والخوف والقلق، القصص السوداء والرمادية، الحزينة في بعض الأحيان، تلك التي يولع بها الأولاد. فهم متعطّشون إلى الحرّية ويودّون التعرّف على جميع ألوان قوس

قُزح، وعلى اللون الزهري والأصفر والأزرق وكذلك البنفسجي والأسود.

نعلم تماماً عدم جدوى إعطاء الساحرات والشخصيّات المخيفة صبغة شيطانيّة ومحرّمة. الصغار يحبّون الديناصور ذي الأسنان الطويلة والوحش ذو النظرة الحادة القاسية وزوجة الأب النحيلة البشعة والغول المخيف. فكلّها ترسم وجهاً واضحاً عن القلق الذي يغمر الأولاد في بحر من الغموض. إن وحشاً لم يوصف بوضوح قد يرعبهم أما الوحش الحقيقي الهائل، الشرّير والموشوم، فلا يخيفهم بل يساعدهم على التعبير عن القلق الكامن في باطنهم دون أن يرافق ذلك شعور بالذنب.

فليحيى الأشرار! بفضلهم لا يتحوّل خوف الأولاد (والذي هو إحساس طبيعي) إلى قلق. لذا، فالحكاية الحزينة أو المخيفة لا تشكّل وسيلة ممتازة لطرح المواضيع مع الأولاد فحسب، إنّما هي أيضاً وسيلة ناجحة لتطمئنهم.

وهي طريقة فعّالة، أفضل من أن نحدّثهم على الشكل التالي مثلاً: «ولكن، عزيزي، لا تقلق فكل شيء سيكون على ما يرام. بالطبع إن الطلاق لن يحصل بيننا ...»

قول الحقيقة بشأن الموت

في كتابها «إنّ الكتب مفيدة للأطفال»، تحكي المحلّلة النفسية «ماري بونافي» (Marie Bonnafé) حكاية فتاة صغيرة أُخفيت عنها، عمداً، حقيقة ما هو الموت وحُرمت من الألعاب التي يشتهيها الأولاد من نوع «پان، أنت ميت!».

نتيجة لذلك، لدى دخولها المدرسة، في صف الحضانة، راح أترابها الصغار يستمتعون، مع شيء من الاحتيال، بتلقينها كلمات جديدة مثل: «القتل»، «الموت» وغيرها.

وبالطبع فقد تلقّت الطفلة المسكينة هذا بقلق عظيم، مما يدلّ على أن إخفاء الحقيقة قتال...

إن الولد قابل للعطب وهو يشعر بذلك. ماذا قد يحصل لو أن أحد والديه لم يعد هنا ليحميه؟ كيف سيعيش بعد ذلك؟ بمن يستطيع أن يضع ثقته فيما بعد؟ هذا هو نوع الأسئلة المطروحة والمحلولة في قصص الجنّ.

ماذا نهدف من وراء حكاية الساحرة الحزينة لفراق والديها أو حكاية الغيمة الخائفة أو حكاية موت الجد ـ الفأر؟ إننا، بهذه الحكايات، لا نخلق القلق بل نحرّره، وبالتالي نعزّز لدى الطفل الشعور بالثقة. هو ليس وحيداً ضائعاً في الغابة، لديه بعض الحجارة الصغيرة في جيبه، يرميها ويرسم بها معالم طريق العودة!

الكتاب مساعد على التحوّل

لماذا لا يكون الكتاب، هو أيضاً، شيئاً تحوّليّاً؟ الكتاب كما القصة، هذا الشيء العجيب الذي يساعد الولد على أن يكبر، على أن «يصل إلى ذاته» كما تقول «فرانسواز دولتو».

يعشق الأولاد قصة ما ـ وهي، بشكل عام، قصة تتضمّن أجوبة على أسئلتهم ـ فيطالبون بها مرة ومرتين وثلاثاً وعشرة وخمس عشرة مرة حتى التخمة ويتعاملون معها كما لو كانت لعبة محبّبة فيداعبونها ويدلّلونها ويلتهمونها، ينامون على وقع كلماتها، يغمرونها بين أيديهم.

وليست هذه الكتب كتباً من قماش أو ورق نمضغها بل هي قصص بكل معنى الكلمة. هل هي قصص للعبور أو التحوّل؟ نعم، لأنها تساعد الولد على أن يكبر ويتحمّل الوحدة، إنّما بوجود أمّه.

الولد المنسجم بالقراءة ومنافع قراءة القصة

راقبوا ولداً ابن 6 أو 7 أو 8 سنوات وهو يطالب بحكاية مسائية متعطّشاً إليها كما لو كان طفلاً صغيراً. هل ستجيبونه: «لقد كبرت بما فيه الكفاية وباستطاعتك أن تقرأ وحدك»؟ أم أنكم ستحضنونه، وتقبّلونه ثم تخفضون الضوء وتدخلون معه في اللعبة؟

إن هاتين الحالتين مختلفتان تماماً. عندما نقرأ له نشاطره، جسديّاً، لحظة من العطف والمشاركة ونتّحد معه كما لو كنا نحمله بين ذراعينا. نحمله من جديد كما لو كان طفلاً صغيراً ونرفعه عالياً؛ إنّنا نمدّ له يدنا.

وإذا حاولتم الإجابة: «أتعلم؟ إنك تستطيع الآن أن تقرأ لوحدك»، فماذا تكون ردّة فعله؟ سوف يغضب كما لو أنكم حرمتموه من أحد حقوقه الأساسيّة. فحقّه في أن تقرأوا له قصة هو شبيه بحقّه في المداعبة أو الحلوى أو غيرها.

عندما نقرأ قصة لولد ابن 7 أو 8 سنوات فنحن بالتالي نوافق على مساعدته في الأوقات العصيبة، عندما يكون تعباً أو قلقاً، وكأنّنا نقول: «نعم، أنت تجيد القراءة ولكن فلننسَ ذلك، هذا المساء، أموافق أنت؟». ألسنا نحمل أولادنا في ذراعينا، أحياناً، حتى ولو كانوا يستطيعون المشي؟ هذا الإحساس لديهم بانعدام الجاذبية لذيذ فعلينا ألاّ نحرمهم منه حتى ولو باتوا يجيدون القراءة.

ماذا لو كان عمرنا جميعاً 5 سنوات؟

نحن أيضاً نستطيع أن نعود كالأطفال ونتكلّم لغتهم. ولكن هذا لا يعني أن «نتباله» ونتكلّم كالأطفال بابتسامة متسامحة، أو أن نكون «تحت تصرّف» الطفل. مع هذا يجب أن ننسجم مع عالمهم، نزيل كلّ ما من شأنه أن يعطينا طابعاً رسمياً، وننسى فكرنا الخطابيّ وأفكارنا الجاهزة مسبقاً. ولكن ذلك ليس بالأمر السهل . . .

هناك فيلم روسي من الصور المتحرّكة يحكي عن الفرق بين عالمنا وعالم الصغار. عنوانه «تشو تشو» choo choo (أي المربيّة). أما القصة التي يحكيها فهي بسيطة:

كان هناك صبي صغير يضجر حتى الموت في عالم الكبار فأهله يستقبلون الضيوف بشكل دائم، فيصل هؤلاء بالتتابع وهم متألّقين بأجمل اللّباس والتسريحات والموضة. وماذا يرى هذا الصبي؟ يرى كعوباً نسائية عالية وأحذية رجاليّة ذات أشرطة ونساء مجمّلات إلى أقصى حدّ ويسمع هتافات اجتماعية. . .

إنّه لا يرى أي شيء على مقياس طفولته. على كل حال، ما من أحد يكترث له وبالكاد يرمونه، لمجرّد اللياقة، بدمية على هيئة دب ثم باثنتين وثلاث وأربع . . . جيش من الدببة ـ الدمى، لأنّ الفكرة ذاتها تخطر لجميع الكبار، فهل من فكرة كلاسيكيّة وتقليديّة ومتّفق عليها أفضل من فكرة إهداء دب ـ دمية؟

وبالتالي يهرب الولد لأنه بات مشبعاً بالرموز الاجتماعيّة، فيصعد إلى العلّية ويروح يفتّش في الصناديق ويبني بنفسه قصته الخاصة. يجد وسادة ومزلجين وها هي «تشوتشو»، المربّية السوداء تأتي إليه، وكأنّها «ماري بوبينز» (Mary Poppins). لا يفهم كثيراً ما

تقول، إنما هي لطيفة. لقد ربح الولد أمسيته وهو يلعب ويتسلّى حتى الجنون مع «تشوتشو» التي تحمله وتذهب به بعيداً، بعيداً، في قصص غريبة عجيبة.

وعندما تنتهي حفلة الكبار، يأتي الوالدان لإلقاء تحيّة المساء على طفلهما. وكم تكون مفاجأتها كبيرة حين يجدان هذا الشيء الحيّ الممدّد فوق السرير والساهر على ولدهما! أمّا الأم ـ وهي شقراء للغاية ـ فيغمى عليها من الرعب؛ والأب يسوّي نظّارتيه ويدفع الباب، مهدّداً كما لو أراد القول: «سوف ترين ما سيحصل لك!»

ولكن ما تلبث «تشوتشو» أن تضرب بعصاها السحريّة فتحوّل الوالدين إلى طفلين. يفقد الأب نظّارتيه وترى الأم أنه صار لها خصلتان من الشعر المربوط. من جديد، لقد صار عمرهما 5 سنوات وها هما يقفزان إلى عنق المربية «تشوتشو» ويتعرّفان عليها كما لو كانت فرداً من أفراد العائلة. وبعد عدة دقائق، عندما يعودان كباراً من جديد، يغادران الغرفة على رؤوس أصابعهما، بهدوء وبابتسامة واضحة. لقد فهما: لقد عادا من جديد ولدين، لفترة خمس دقائق، ولكن دخولهما الوجيز إلى عالم الصغار كان كافياً ليفهما ما كان يجب فهمه.

وهذا ما يجري مع الحكايات. إذا كان أولادنا يرغبون بحرارة أن نقرأ لهم حكايات فذلك يعود إلى أننا، بكل بساطة، وبلمحة بصر، نبدّل نبرة صوتنا وها نحن بدورنا ندخل معهم في عالمهم. إذاً، فلنجلس على الكرسي الخشبي الصغير الخاص بالدب ـ الدمية، للوقت الذي تدوم فيه الحكاية . . .

أفضل طريقة للقراءة...

متى نقرأ؟

القصة ـ الطقس

ينمو الطفل في عالم من الطقوس. ومن بينها الطقوس التالية: الطعام والنوم وتنظيف الأسنان والاستحمّام والحكاية، ويبقى طقس الحكاية هو المفضّل والأكثر إبداعاً والأقلّ مضايقة.

في عصرنا هذا حيث العديد من الأمهات يعملن وحيث لا تلتقي العائلة إلاّ في المساء، بات من المهّم أن نحافظ على هذا الوثاق الأدبي بين أفراد العائلة، ممّا يشكّل وسيلة لإعطاء الوقت والحب وللاستماع إلى الحكاية التي هي أشبه بالحلوى اللّذيذة، تتذوّقها قبل أن نفترق لمدّة ليل طويل.

في أيّ وقت من النهار؟

إنّ ساعة الذهاب للنوم هي الوقت الأمثل للحكايات، هي لحظة استرخاء، لحظة سحرّية حيث أنتم وأطفالكم بعيدون عن الضغوطات الخارجيّة.

بالطبع، باستطاعتنا أن نقرأ الحكايات للأولاد وقت الفطور أو أثناء الاستحمام، أو بعد ظهر يوم السبت عندما يكون الطقس ممطراً، أو عند منتصف الليل حيث يستيقظ الولد بسبب المرض أو

بسبب الخوف من كابوس ما. أما أثناء وجبات الطعام فمن المفضّل الحفاظ على الوثاق العائلي بدل سرد الحكايات. أما إذا كان ولدكم يمرّ بأزمة فمن البديهي أن تقرؤوا له حكاية أثناءالطعام بدلاً من ضربه على الرّدف أو رمي الصحن أرضاً.

كما أن لحظة عودة الولد من المدرسة تبدو مثاليّة كذلك لقراءة الحكايات خاصةً إذا كان يوماً ممطراً. فمرجع الولد الأساسي هو المنزل؛ في أحضان منزله يطالب بالحنان والتعزية بعد يوم ربما كان عسيراً. عندئذٍ يجلس على أريكة ويحمل لعبته المفضّلة ونُحكي له حكاية تنوّه بمشكلة ما تتعلّق بالمدرسة (مثل حكاية «أونورين» الوزة الصغيرة التي لم تكن ترغب بالذهاب إلى مدرسة الكبار أو حكاية «مدرسة الألعاب المفضّلة» أو حكاية «ليوبولد وصديقه إروان»).

أما إذا حان وقت النوم، فعليكم أن تتحاشوا قراءة الحكايات المعقّدة. إذا كان الولد متعباً، ربّما يكون إحساسه وشعوره أكثر إرهافاً تجاه ما توحي به الحكاية. وإذا لم تناقش هذه الحكاية، بعد قراءتها، فهي تدخل في أعماق اللاّوعي عند الولد. لذلك، بعد سرد حكاية عن حالات معيّنة كالمرض والإعاقة والموت، من الضروري التحدّث مع الولد بشكلٍ مفصّل عن هذه الحكاية لأنّ مثل هذه المواضيع يستلزم المناقشة.

كيف نسرد الحكاية؟

علينا أن نتلذّذ...

مهما كان الكتاب مميّزاً، فإن ولدكم لن يستفيد منه إذا كنتم على عجلة من أمركم وأردتم أن تتخلّصوا منه كي تنصرفوا إلى واجبات أخرى. فلا نستطيع أن نبتلع القصة دون أن نمضغها أوّلاً ونتلذّذ بها.

انظروا إلى الأولاد: هم يستلقون أرضاً، على بطنهم، ويشمّون الكتاب؛ هم يتشرّبونه، وإنّهم على حق في ذلك. يتكلّم «سارتر» في كتابه «الكلمات» عن الالتصاق الجسدي مع صفحة الكتاب وعن رائحة الحبر الطيّبة ويشبّه الكلمات بالفطر... كما لو أن الأدب كائن حيّ.

لسنا نسرد حكاية فحسب بل إنّنا كذلك نخلق جوّاً لذلك. يفضّل البعض الجلوس برفقة الولد دائماً في المكان عينه (في زاوية صغيرة بين الوسادات)، بينما يلبس البعض الآخر ثياب الراوي (شال أو قبعة الخ..) كما باستطاعتنا أن نضيء شمعة أو نشعل قضيب بخور، فالأولاد مولعون بهذه المراسم والطقوس الصغيرة التي تنقلهم إلى عالم القصة السحري.

صيغة مميّزة

إنّ اللّجوء إلى صيغة مميّزة يشكّل وسيلة فعّالة للولوج في عالم الحكايات كأن نستهلّ الحكاية مثلاً، وبكل بساطة، بالعبارة: «حكاية قصيرة إلى لطيفتي» أو «لقد حان وقت الحكاية».

بعد ذلك، يصبح القارىء والمستمع شريكان في عالم الحكايات. ونستطيع أن نحافظ على جوّ الانسجام وننهي الحكاية مثلاً بالعبارة: «كان هذا ممتعاً، أليس كذلك؟»، أو نقول: «كانت حكاية ممتعة».

القراءة بنبرة خاصة

يجب قراءة القصة بإلقاءٍ جيّد كي نعطيها حيوية. لهذا السبب، وفي معظم الأحيان، تُكتب القصص ثم تعود وتُقرأ بصوت عالٍ. يجب أن تتميّز القراءة بالجودة و«باللّحن»، وهذا أشبه بالمسرح! تقول كاتبة القصص «موريال بلوش» (Muriel Bloch): «إن القصة تموت في الكتاب ويجب إعادة الحياة إليها فيما بعد، وهذا يكون بنقلها من فم إلى آخر. لذلك علينا أن نعطي القراءة وقعاً وحياةً وحماساً»...

وإذا لم تكن تجيد التمثيل بالفطرة، عليك أن تسّهل الأمر فتتصفّح الحكاية مسبقاً قبل قراءتها للولد، معتبراً ذلك بمثابة تمرين يُجنّبك التلعثم فيما بعد.

يحبّ الأولاد القراءة الحماسيّة وما من شيء يقتل اهتمامهم أكثر من حكاية تُقرأ بسرعة بصوت يطنّ على وتيرة واحدة. إن أمتع الكتب يسقط مع هذه الطريقة. وإذا شعر أولادكم بالضجر لدى سماع حكاية ما، ستشعرون بدوركم بالضجر، وإذا ضجرتم، يضجرون. إنها أشبه بمعادلة رياضيّة.

وإذا كان في الحكاية عدة شخصيّات، عليكم أن تنوّعوا في اللهجة لدى أخذ دور كل من هذه الشخصيّات مع المبالغة حتى

الصورة الكاريكاتوريّة: صوت ضخم في دور الفيل، وصوت متوسّط الضخامة في دور الفيل الصغير، وخيط صوتيّ ناعم جداً في دور الفأرة. إنها عمليّة بسيطة من شأنها أن تعطي نكهة للحكاية. اعتمدوا صوتاً شرّيراً في دور الساحرة وصوتاً «معسولاً» في دور الجنّية وصوتاً يزأر في دور الأسد.

أما في القصص الطويلة والمسرحيّة، فحاولوا أن تُبهروا السامع وتحافظوا على تشوّقه في آن واحد. توقّفوا عن القراءة في اللّحظات الحرجة كما في المسلسلات ولا تتردّدوا في المبالغة. ففي القصص كما في المسرح، المبالغة هي كل شيء.

لنكرّس الكثير من ذاتنا

من المؤكّد أنّ كل ذلك يستلزم أن نتكرّس كلياً لهذه اللحظات، والولد يشعر بذلك. عليكم أن تأخذوا حذركم لو حاولتم التخلّص من هذه المهمّة! فإنّ الولد الذي لم ينل ما يريد سوف يطلب ويطلب أكثر، يطلب حكايةً أخرى وأخرى!

أما إذا كان ممتنّاً وحقّق مأربه فيلقي عليكم تحيّة المساء دون أن يطالب بالباقي، شأنه شأن جمهور ممتنّ من أمسيته.

من الذي يحكي الحكاية؟

يتعيّن حتماً على الوالدين واجب سرد الحكايات لأولادهم إذ إنّ تربية الأولاد تشكّل أحد همومهم الأساسيّة.

أما الأب الذي يعود متأخراً إلى المنزل، والذي يرد ذكره في بعض الحكايات، فيمكنه أن يثبّت وجوده ويكرّس البعض من وقته

للحكاية. فولده ينتظره قائلاً: «أنا بانتظار والدي ليقصّ عليّ حكاية». حاولوا الوفاء بالوعد، وليكن حضوركم منتظماً حتى لو لم يكن مطوّلاً.

جرت العادة أن ننسب مهمّة سرد الحكايات إلى الجدّين إذ إنّ لديهما المتّسع من الوقت لذلك! غالباً ما نتخيّل الجدّ يحكي حكايات من الماضي وهو يدخّن الغليون... ويُستحبّ أن نطلب من الجدّين قراءة بعض أنواع الحكايات كتلك التي تدور حول النزاعات بين الأب والأم (مثل حكاية «سئمت من قصصهما» أو قصة «المملكة والمنازعات»)، وبما أنّ الجدّين لا يشكّلان طرفاً في النزاع، فإنّ دورهما يبدو مناسباً لسرد الحكايات عوضاً عن الوالدين المعنيّين مباشرةً بالنزاع.

«حكاية لي وحدي!»

في حال تعدّد الأولاد في العائلة الواحدة وفي حال تفرّغ الوالدان كلاهما، يكون الأنسب والأمثل قراءة قصة لكل ولد على حدة لأنّ هذه الطريقة تحافظ على الوثاق الحميم بين الولد وكل من والديه وتصل الرسالة المرجوّة من وراء الحكاية على وجه أفضل، لاسيما إذا كان الولد حزيناً أو مستاءً لسبب ما. في هذه الحال، حاولوا أن تعيروه انتباهاً خاصاً.

أما إذا كان أحد الوالدين وحده في المنزل، فيستحيل سرد حكايات المساء بهذه الطريقة. عندها، نقترح فكرة القراءة الجماعية بالتتابع، فيُجمع الأولاد مثلاً في غرفة معيّنة وفي اليوم التالي في غرفة أخرى وهكذا على التوالي. تُخفض الضوء و... ننطلق في سرد الحكاية!

هل علينا شرح جميع المفردات؟

لسنا بصدد درس في القراءة الموجّهة. فالأولاد، فعلى عكس ما نحن نعتقد، يجيدون الفهم بالطريقة الشاملة. طبعاً، نحن لا نستطيع أن ننمّق النصّ بعبارات فلسفيّة ولكن لا يجب أن نتوقّف عند كل كلمة نجدها صعبة.

لا يهمّ إذا لم يفهم الولد مباشرةً معنى بعض التعابير. حتى لو لم يفهم المعنى، فإنّ الكلمات تبقى بالنسبة إليه مثل لآلئ عليه اكتشافها. كما علينا نحن أن نتركه يتذوّق النصّ دون أن نتوقّف عند كل لحظة لأنّ وقت الحكاية ليس وقتاً للدراسة؛ إنه وقت خارج الزمن.

وهناك احتمال آخر: إنّ الولد يفهم المعنى من خلال مضمون النصّ.

علاوةً على ذلك، يسرّ الأولاد بأن يعتبرهم أهلهم ذوي نباهة وذكاء ووعي بما يكفي لفهم النصّ، وبالتالي فهم يتدبّرون أمرهم لكي يفهموا فعلاً، وهذا ما يشكّل أحد أساليب التربية القائمة على الثقة بالنفس، كما أنهم، بهذه الطريقة، ينمون وينضجون.



الفصل الأول

قصص عن المدرسة

دارين الوزّة الصغيرة لا تريد الذهاب إلى مدرسة الكبار

في قرية أم الوزّ الحالمة الغارقة في خضرة الجبال،
وزة اسمها دارين تبدو اليوم شاحبة جداً.
جناحاها يرتعشان،
وتتعثر بقائمتيها الكبيرتين الواسعتين كسعفة نخيل.
باختصار، لم تكن في أحسن أحوالها!
مع أن موسم الصيد لم يكن قد أقبل بعد
كي تمرض لشدة القلق مثل باقي الوزّات.
وضعت أمها ميزان الحرارة تحت جناحها
فبكذا تؤخذ حرارة الإوز.
قالت أمها: «لست محرورة! الحمد لله!»
لكنها استدعت قان
ذكر الإوز المعتمد كطبيب للقن.
وصل على دراجته مرتدياً سترة سوداء طويلة وفي يده سيجار:
ذلك هو مظهر الطبيب قان الغريب الأطوار.

وبعد أن عاينها قال:
«لا التهاب بلعوم ولا زائدة دودية
لا احمرار في العيون ولا نزلة صدرية».
أخرج من حقيبته دفتر الوصفات
ومن تحت جناحه ريشة غمسها في محبرته.
وكتب: «120 حبة بونبون بطعم الفريز يومياً،
كوب من شراب الشوكولاته الساخنة مع الكثير من الكريما
وقطعة من الكاتو بالكستناء».
- ولماذا بالكستناء؟ سألته أم دارين التي كانت تستغرب دائماً علاجات هذا الطبيب.
- لأنه لذيذ! أجاب الطبيب. وابنتك دارين تحتاج أن تسعد نفسها، أكثر من أي شيء آخر.
وهمس الطبيب في أذن الأم: «أنا أعرف مرض دارين... ما يؤلمها هو المدرسة!»
- المدرسة؟! تعجبت الأم.
ودوّن الدكتور قان بيده العريضة على مفكّرته تاريخ بداية العام الدراسي.
ابتسمت الأم ابتسامة تدلّ على أنها فهمت ما يجري..
لقد أحسن الطبيب الغريب الأطوار التشخيص:
فدارين تكاد تموت خوفاً
من الانتقال إلى المدرسة الابتدائية.

كانت تقول، «أتتصورين ذلك يا ماما؟

هذه ليست مدرسة عادية. إنها مدرسة ابتدائية!»

منذ بداية العطلة الصيفية كانت أمها تقول لها،

«انتبهي يا دارين، فسوف تدخلين السنة إلى المدرسة الابتدائية.

وفي المدرسة الابتدائية، لا ألعاب ولا مراجيح.

لا دمى ولا زاوية فيها طاولة وكراسي ملوّنة.

لا بونبون ولا أعياد ميلاد

ولا قوالب حلوى في الصف.

لقد بدأ الجدّ!»

آه، كم مرة سمعت هذه العبارة الصغيرة:

«انتبهي، لقد بدأ الجدّ!

«ستنتقلين إلى المرحلة الابتدائية؟ إذاً لقد بدأ الجدّ.

لقد أصبحت كبيرة الآن!»

هذا ما كانت تسمعه من عمتها وجدتها، وبائعة الخبز، والمزارعة، والجزّار...

وعندما كانت دارين تتمدد ليلاً في سريرها

كانت تتساءل عن الأشياء الجدّية التي يمكن أن تحصل في تلك المدرسة الكبيرة.

تقول لنفسها، «ربما يطلبون منّا المشي على منافيرنا؟

أو يجبروننا على الرسم بريشاتنا؟

أو يطلبون منّا التعرّف على كل أنواع الريش الموجودة في الفنّ؟

أو يجعلوننا نعدّ كل الحبوب الموجودة في الأكياس الكبيرة

حتى نصل إلى الرقم... مليار؟

لعلّهم لن يدعونا نأخذ فرصة

بل يسجنوننا في العتمة وينتفون ريشنا كطيور المزارع التجارية؟»

خيال دارين خصب جداً...

وهذا طبيعي عندما نشعر بالقلق.

عندما تمرّ هذه الأفكار في خيالها

تبدأ بالارتعاش خوفاً.

«ألا يقول الجميع إن الإوزة بلهاء؟

إذاً ربما سخروا منها في الصف

لأنها تقول أشياء سخيفة جداً.

وماذا لو لم يكن في صفها غير ديوك رومية تقرقر،

وطواويس تتبختر

وماذا لو كانت المعلمة دجاجة شاكسة

تقاتي بلؤم وتوزّع على أجنحة الطيور نقرات مؤلمة؟»

عندما تغمض دارين عينيها،

ترى بيتاً كبيراً، كبيراً

جدرانه باردة جداً، بيضاء جداً، يشبه المستشفى.

وترى نفسها تائهة في داخله...

في تلك الأثناء، دخلت أم دارين إلى غرفتها

بخطوات خفيفة كي لا تزعجها

حاملة كوباً من شراب الشوكولاته الساخنة اللذيذة

وقطعة من الكاتو بالكستناء.

جلست قربها وراحت تهز رأسها وهي تداعب جبين وزّتها الصغيرة.

لم تكن تعرف كيف تطمئن وزّتها الصغيرة.

فهي نفسها لم تكن مطمئنّة.

شعرت أن وزّتها الصغيرة كبرت فجأة،

وبسرعة كبيرة، وأنها لم تعد تحتاج أمها كثيراً كما في السابق!

أترى كيف نضع في رؤوسنا أفكاراً غير صحيحة،

لأنه كان يبدو لدارين أيضاً

أن أمها تريد التخلّص منها!

تكلّمت دارين أولاً

«أمي،عندما أذهب إلى المدرسة الابتدائية،

هل تبقين معي هنا لتعدّي لي شراب الشوكولاته الساخنة؟

هل هناك من يساعدني عندما أتوه في المدرسة الابتدائية؟»

ضمّت الأم دارين تحت جناحيها.

كانت عيناها تدمعان.

«دارين! يجب ألا تقلقي.

سأكون هنا معك، في زاوية من حقيبتك»،

وهمست لها أيضاً أشياء أخرى في أذنها،

أشياء وحدهنّ الأمهات يقلنها لأولادهنّ؛

همساً تتحدث عن ولد يكبر

ولكنه لم يصبح بعد كبيراً، وهذا أفضل.

ابتسمت دارين. إنها تشعر بتحسن.

هل هو مفعول شراب الشوكولاته الساخنة؟

أم تأثير الكاتو والكلمات الحلوة؟

أغمضت دارين جفنيها

وقد شعرت بطمأنينة كبيرة

حتى أنها غفت تحت جناح والدتها.

جميل جداً أن نشعر أحياناً أننا ما زلنا صغاراً...

ما قصة المدرسة الابتدائية؟

إن الانتقال من صفوف الروضة إلى المرحلة الابتدائية خطوة مهمة جداً للولد الذي يدخل عندئذٍ فعلياً إلى معترك الحياة المدرسية.

ما الذي يتغيّر؟

في المرحلة الابتدائية لا مراجيح ولا زاوية مخصصة للعب بالدمى والملعب ملعب الكبار. في الصباح يرافق الأهل أطفالهم حتى بوابة المدرسة لكنهم لا يوصلونهم إلى صفوفهم كما في الروضات.

والتغيير الثاني: الأولاد في المرحلة الابتدائية لا يتناولون طعامهم في الصف كما في صف الروضة. هذه التغيّرات تشكل بالنسبة للأولاد والأهل معاً حاجزاً ينبغي اجتيازه!

الأهل، في رأي العديد من المعلمات، يبالغون في قلقهم بشأن الانتقال إلى المرحلة الابتدائية. وقلقهم هذا ينعكس على الأولاد الذين يقلقون هم

بدورهم. هل سيكون بمستوى هذه المرحلة؟ لا يمكن أن تتخيلوا إلى أي حدّ يمكن أن يشعر الولد بالضعف عندما يستشعر قلق والديه. علماً أن الأولاد في سنّ السادسة، برأي الجسم التعليمي، يكونون ناضجين بما فيه الكفاية لما يسمى «مدرسة الكبار» أو المرحلة الابتدائية. لا بل أنهم يتمتعون بقدرة رائعة على التكيّف!

ليكن الانتقال هادئاً

الصيف الذي يسبق الدخول إلى المرحلة الابتدائية، لا تجعلوا الطفل يعمل بجهد على دفاتر العطلة الصيفية. وحاولوا قدر المستطاع عدم مراكمة التغيّرات كأن يتزامن انتقاله إلى المرحلة الابتدائية مع انتقالكم إلى بيت جديد في حيّ جديد، فتغيير المحيط والأصدقاء إضافة إلى التغيّرات المدرسية أمور يصعب عليه تحمّلها كلّها معاً!

في اليوم الدراسي الأول ضعي في جيبه الشوكولا أو البسكويت المفضّل لديه ليتناوله في استراحة الساعة العاشرة، فهذا الشيء سيساعده على الانتقال إلى المرحلة الابتدائية دون أن يشعر بتغيّر مفاجيء. يمكنك أن تعطيه أيضاً قطعة حلوى أعددتها بنفسك في المنزل ليتناولها في استراحة الظهر، فمعرفة أنك حضرت بنفسك هذه الحلوى يعزّيه ويهدىء روعه. حاولي قدر المستطاع أن تعطيه نقاطاً مرجعية ثابتة، أي أشخاصاً يشكلون مرجعاً بالنسبة له. يجب ألا يترك بعهدة أشخاص متعددين. فحتى لو كان قد بلغ السادسة من عمره إلا أنه لا يزال طفلاً!

إذا لم يكن الطفل قد عقد صداقات فالاستراحات ستبدو له طويلة. لمساعدته على تخطّي هذه المشكلة يمكن للأمهات أن يتفقن على مواعيد غداء أو لقاءات يتقرب أثناءها الأولاد من بعضهم البعض.

لا تملأوا له جدول مواعيد أشبه بجدول وزير، على الأقل ليس في الأشهر الدراسية الأولى: جودو، شطرنج، ألعاب كرة، رسم... فذلك سوف

يرهقه ويجعله صعب المراس. لا تنسوا أن التكيف في المرحلة الابتدائية تجربة متعبة بعض الشيء.

تقبّلوا في الفصل الأول بعض الرجوع إلى الوراء: العودة إلى التعلق بالدمية المفضّلة، نوبات الغضب والتوتر العصبي على اختلاف أنواعه...

ناقشوا الأمر معه

تجنبوا في الأشهر التي تسبق الدخول إلى المدرسة أن تكرروا على مسامعه أن المرحلة الابتدائية صعبة وأن وقت اللهو قد انتهى وأن عليه أن يحقق نتائج جيدة، الخ... فهكذا يبدأ بالشعور بالقلق حيال مستوى أدائه.

ينبغي على العكس أن تعزّزوا ثقته بنفسه، وتجعلوه فخوراً لأنه سيكبر ليصبح رجلاً أو لتصبح امرأة. قولوا له مثلاً: «سوف تتعلم أشياء رائعة. ستتعلم القراءة مثلاً. وفي الفصل الثاني من السنة ستستطيع أن تقرأ وحدك قصصك المفضلة. أتتخيّل ذلك؟»

أخبروه بعض ذكريات طفولتكم: «أذكر أنني حين دخلت إلى المدرسة الابتدائية تعرّفت بصديقي المفضّل الذي ما زال معي حتى اليوم...»

مدرسة الألعاب المفضلة

في صف الآنسة جمانة،
نضع كل يوم ألعابنا المفضّلة التي نحضرها معنا من البيت
في سلة كبيرة من الخيزران في وسط الصف.
وفيها تجد أرنوب سامي القديم البالي
والفأرة الزهرية الإسفنجية التي لا تنفصل عناها حتى لو حاولنا
انتزاعها

شريط فائق الأحمر المخملي الناعم

الذي تدغدغ به أنفها،

وحتى خروف قماشية قديمة

تفوح منها رائحة كريهة،

ولعابات مرقعة بالخيوط الغليظة.

في صف الآنسة جمانة،

حين يقول الآباء والأمهات «باي باي»

يبدأ الأولاد بالنحيب والبكاء.

ويصبح الضجيج مريعاً جداً!

وتمر الآنسة جمانة بين صفوف المقاعد وسلة الألعاب المفضلة

تحت ذراعها وهي تقول،

«أحبائي الصغار سيعود البابا والماما سريعاً!

سأعلمكم أغنية جميلة جداً!»

وعندما يحين وقت القيلولة،

تعود الآنسة جمانة لتمر بين صفوف المقاعد

وسلة الألعاب المفضلة الممتلئة تحت ذراعها.

كانت تبدو كبائعة ألعاب قماشية.

لكن لا أحد كان يسمعها.

كل الأولاد يبكون ويبكون!

أنت تعلم أن البكاء يعدي

تماماً كالضحك.

عندما تسمع رفيقاً لك يضحك

ترغب أنت أيضاً بالضحك.

وبالنسبة للبكاء، الأمر مشابه.

يمكنك أن تلتقط عدوى البكاء أسرع

من عدوى الرشح أو الحصبة!

وفجأة تنشط الألعاب المحبوبة غضباً

لأن لا أحد يصغي لها.

تشعر بالإهانة كأن أحداً أهانها!

وتسأل الفأرة الإسفنجية الزهرية

التي لا يمكن اقتلاع عينيها،

«لم يعد أحد يحبنا! ماذا يجري؟

هل فقدت سحري؟»

وتتساءل الخرقة البيضاء

الملوثة بالبقع الوسخة،

«هل رائحتي نتنة إلى هذا الحد؟»

ويبكي الشريط المخملي الأحمر،

«لم تعد تقول لي إنني ناعم كالحرير!»

أما الأرنوب الصغير فكان يستغرب قائلاً

«وماذا عني أنا؟ هل أنا تلميذ سيء؟

لكني كنت أعتقد أنني لعبة مفضلة تخفف عن صاحبها كل أحزانه»

وأثناء الاستراحة، اجتمعت الألعاب المفضّلة للبحث عن حلّ.

قال أكبرها سناً: «لدي فكرة. سنعود إلى المدرسة.

هكذا نتعلّم كل ما علينا أن نفعله

لنكون ألعاباً مفضلة جيدة.

بهذه الطريقة نستطيع أن نخفف عن الأطفال بشكل أفضل».

وهكذا دخلت كل الألعاب المفضّلة إلى المدرسة الليلية للدراسات العليا.

ومع مرور الليالي، كانت الألعاب تتعلم كيف تصبح أكثر سحراً ونعومة.

دخلت كلّها في ماكينات للغسيل،

ثم ماكينات للتعطير بعطر الورد أو المشمش،

وبعدئذٍ إلى ماكينات لتعليم الكلمات الناعمة،

وأخرى لتعليم اللمسات الرقيقة،

وغيرها أيضاً لتعلم كيفية بث الفرح في النفوس

وتخفيف الأحزان.

وهكذا خرجت الألعاب المفضلة ناعمة كالنعجة،

ناعمة كالحرير، ناعمة كالقطن الأكثر نعومة.

ناعمة كألعاب مفضلة جديدة!

وتعلمت الألعاب أيضاً

أغاني هادئة جميلة ينام على نغماتها الأولاد،

وكلمات رقيقة تخفف عنهم مخاوفهم.

تعلمت في المدرسة أيضاً كيف تبقى رائحتها عطرة،

وأن الأولاد يفضلون روائح الفريز والكولا والفانيلا

أكثر من رائحة اللاقندر والنعناع والياسمين،

وأن رائحة موس الشوكولاته

أفضل من رائحة بول القطة، الخ...

حتى الخرقة القديمة الوسخة

خرجت من المدرسة نظيفة ومعطرة.

تعلمت الألعاب المفضلة كيف تدغدغ الأقدام برقة أكبر،

وتخفف عن الأطفال عندما يكون

وكذلك حين يتركون أصحابهم وآباءهم ليذهبوا إلى المدرسة.

كانت الألعاب المفضلة مجتهدة جداً ومثابرة في مدرستها.

وقد حصلت كلها على تقدير «جيد جداً»

ووزعوا عليها الكثير الكثير من الصور الجميلة،

صور سكر، وعسل وشوكولاته.

كل من يجمع عشر صور يحصل على وعاء صغير من مربّى الفراولة.

ومن يحصل على وعائين من المربى يستبدله بكعكة كبيرة جداً.

كل الألعاب كانت مجتهدة فحملت معها إلى منازلها كعكات كبيرة.

بعد مرور أسبوع، في حفّ الأنسة جمانة،

استعادت الألعاب سلطتها.

لم يعد أي طفل يبكي.

أصبحوا كلهم سعداء جداً.

وقررت الألعاب: «سنعود إلى المدرسة لنتعلّم أشياء رائعة كهذه.

أمامنا بعد الكثير لنتعلّمه!»

قلق مساء الأحد

ذلك المساء كان منعشاً جداً في حديقة العصافير.

الشمس الغاربة تتوقد مثل طابة نارية برتقالية.

يا له من منظر رائع،

يجعل البلابل ترغب بالتغريد.

لكن العصفور الصغير بلبل

لا يرغب الليلة بالغناء.

القشعريرة تسري في ريشاته.

تارة يشعر بالبرد وتارة بالحر،

ويحس أن في حنجرته كرة كبيرة تخنقه.

أخفى منقاره حتى ريشه،

فتلك هي طريقة البلابل للشعور بالأمان

أما طير النعام فيخفي رأسه في الرمال.

ومن تحت الريش الكثيف خرج صوت خافت،

«أمي...»

تركت الماما غطاء القش الذي كانت تحيكه للعش بمنقارها.

- نعم حبيبي؟

- بطني يؤلمني.. أنا مصاب بالرشح...

أنا مريض! لا أستطيع الذهاب إلى المدرسة غداً.

وأنت لا يمكنك الذهاب إلى مكتبك».

أحاطت البلبلة ميمي صغيرها بجناحها الداكن

لشعرت بالقشعريرة التي تسري في جسد بلبل.

فقالت: «باه!»

ولمست بطرف منقارها على جبينه: «آي! أنت تغلي!»

كانت البلبلة ميمي تتكلم بلهجة مرحة.

فهي تعرف صغيرها جيداً

وتعرف تماماً ما الذي يمرضه

ويجعل حرارته ترتفع.

إنها العودة إلى المدرسة في اليوم التالي.

أوليس ذلك طبيعياً؟

فهو مجرد فرخ بلبل صغير

يود أن يبقى بعد مع أمه في العش

قبل أن تأتي المدرسة لتنتزعه منه.

في الحقيقة لم تكن ميمي البلبلة تحب آخر ليلة من العطلة الأسبوعية.

فقلبها أيضاً ينقبض عندما يعود عصفورها الصغير إلى المدرسة

بعد أن يكون قد أمضى يومين ملتصقاً بها!

وهي أيضاً تعود غداً صباحاً

إلى عملها لدى صانع أعشاش فاخرة.

كانت ميمي تحب عملها كثيراً طبعاً

لكن الافتراق عن صغيرها صعب دائماً.

كانت تفكر دائماً أن الفراق هو أصعب ما في الحياة

لكن لا أحد يستطيع أن يتجنّبه.

ألا يجب أن ينفصل العصفور عن أمه حين ينام

أو حين تذهب لإحضار الطعام

أو يذهب إلى طرف الغابة لحضور عيد ميلاد أحد أصدقائه؟

حاولت ميمي البلبلة أن تبدو مرحة، حتى لو لم يكن قلبها فرحاً.

وقالت لصغيرها: «هيا! المدرسة ليست سيئة كما تبدو لك!

فهناك أصدقاؤك بانتظارك: نونو السنونو، شريهة البجعة، فئران البوم».

- لم يعد فئران صديقي!

ففي المرة الماضية أوقعني عن الغصن.

وراح بلبل يبكي:

- بووووووو! لا أريد الذهاب إلى المدرسة

أنا مريض اتصلي بالطبيب!

تفكرت ميمي البلبلة: «سأذهب غداً لأطلب من المدرسة ألا يزعجك أحد بعد الآن. أيناسبك ذلك؟»

- لا! لا أريد الذهاب! المدرسة كبيرة جداً وباردة جداً.

ونحن نبقى واقفين على الغصن طوال النهار، والمعلمة لا تلاعبنا حين نريد!

- لا أعتقد أن كلامك صحيح مئة بالمئة. فلو أردت أن تلاعبك المعلّمة فهي ستفعل ذلك بكل سرور. سأخبرك شيئاً. أتعلم أنك حين تتعلم أغنية جديدة أو شعراً جديداً أو كلمات جديدة فكأنما لو كنت تلاعبني؟ لكنها ملاعبة الكبار!

- في المدرسة لا نستطيع أن نلعب كما نريد،

ولا يسمحون لنا بأن نطير أينما نريد،

ولا حتى أن نفرد أجنحتنا.

- لكنك في المدرسة تتعلم الغناء والتحليق.

وهذه الدروس مسلية جداً ومفيدة.

عندما تتعلم الطيران كما يجب

تستطيع العودة إلى البيت ساعة تشاء.

ستعود بخفقة جناح واحدة.

ستتعلم الطيران بسرعة كبلبل بطل،

المدرسة قريبة جداً من المنزل كما تعلم!

تنهد بلبل وقال:

- آه نعم! سيكون ذلك رائعاً جداً.

- نعم. لكن ذلك لن يحصل إلا إذا كنت مجتهداً في المدرسة.

تنهدت ميمي البلبلة بارتياح.

كانت تحلم بيوم قريب جداً يصبح فيه بلبل عصفوراً كبيراً

ويعود إلى البيت حاملاً علاماته الأولى الممتازة،

عشرة على عشرة في التحليق السريع

عشرة على عشرة في الطيران المستقيم

عشرة على عشرة في التقاط الحشرات أثناء الطيران وعلى الأرض...

عاد بلبل يشتكي،

- ثم إنني لا أحب الطعام الذي يقدمونه لنا في المدرسة.

الحبوب جافة جداً

والديدان ليست طرية كتلك التي تعدينها أنت.

أجابت ميمي البلبلة التي كانت تحضّر طبق الديدان

بطريقة بارعة لا ينافسها فيها أحد:

- هيا حبيبي. لا تتحجج بحجج كهذه!

سأطلعك على سر:

أنا أفكّر فيك كثيراً أثناء النهار

حتى يبدو لي أنني أقف على الغصن معك.

هذا ما يجعلني أتحمل الفراق.

عندما يعرف العصفور الصغير أن أباه وأمه

يفكران به وهو بعيد عنهما

فذلك يجعله يشعر بالدفء.

عندما تتشاجر مع صديقك

أو يدفعك أحد في الملعب

يكفي أن نفكّر بعشنا الصغير. إنه قلب العالم!

هنا نشعر بالسعادة والدفء.

في العش لا يشعر أحد بالوحدة أبداً.

أنا أفكر بمنزلنا مرات كثيرة أثناء النهار.

وهذا ما يجعلني أعمل من كل قلبي.

وعند المساء أكون سعيدة جداً بالعودة إليك

حتى أن قلبي الصغير يكاد يطير فرحاً!

أحياناً نحتاج لفراق قصير

لا لشيء، إلا لنفرح عند اللقاء

في عشنا الصغير الدافئ.

هذا أحد الأسباب التي تجعل المدرسة رائعة.

أليس كذلك يا بلبلي؟،

واستدارت ميمي لتنظر إلى بلبل

فرأته قد غطّ في نوم عميق...

كان قلبه يخفق برفق.

لم يعد يشعر بالبرد الشديد ولا الحر الشديد.

إنه الآن مطمئن.

ويحلم بأن يصبح كبيراً.

آيا لا تقول إلى اللقاء (مشكلة الصباح المشهورة)

بعض الأولاد لا يعرفون العزف على الكمان؛

وبعضهم موهوب في الرسم ولكن ليس في الحساب.

آخرون يتقنون العزف على البيانو لكنهم يبكون كالأطفال الصغار؛

وهناك أولاد يتركون أمهاتهم بدون مشاكل

لكنهم لا يعزفون البوق...

أما آيا فلا تعرف كيف تقول «إلى اللقاء».

فمنذ أن دخلت المدرسة

كان عليها أن تترك أمها كل صباح،

فتقبلها وتتدلّل عليها وتقول لها باي باي.

لكنها لم تكن تستطيع ذلك.

وهكذا وقعت مشكلة انطلاقة الصباح الشهيرة!

وهذا ما كان يحصل:

تصل آيا إلى الصف وعيناها تنظران إلى أسفل.

تقول لها المعلمة: «صباح الخير يا آيا!».

لكن آيا لا ترفع نظرها عن حذائها الملمّع.

فتقول لها أمها: «سأقرأ لك قصة واحدة فقط ثم أرحل.

قصة واحدة فقط، اتفقنا؟».

وتأخذ أمها كتاباً صغيراً

وتجلس على الكرسي الخشبي الصغير.

كانت آيا تحب كثيراً

أن ترى أمها جالسة على كرسيها الصغير في المدرسة،

فهذا يذكرها بقصة الدببة الثلاثة.

وأن أمها يمكنها أن تعود صغيرة صغيرة جداً

لتصبح بحجم فأرة تختبئ في ركن من الصف.

وكانت آيا تحلم:

«هذا رائع جداً.

فعندما أحتاج بعض الحنان،

قبل القيلولة مثلاً،

أذهب إلى أمي الصغيرة المختبئة في وكر فأرة».

ولذلك لم تكن آيا تحب أن تنهض أمها عن الكرسي الخشبي الصغير.

حين تترك أمها الكرسي الخشبي،

تقول آيا: «لا، أمي، لم ننته بعد.

لم نلعب أي لعبة».

عندئذ تلعبان معاً لعبة ما.

ثم تقول: «اصنعي لي ثعباناً أخضر اللون

من عجينة التشكيل.

اصنعي لي التارت بالفراولة».

لكن تارت الفراولة يجب أن تدخل الفرن،

ثم ينبغي أن نبردها وبعدئذ نبيعها.

لذلك هي بحاجة إلى بناء فرن من عجينة التشكيل.

لا تحب أيا التوقف في منتصف اللعبة.

إنها مسألة مبدأ.

وكانت أمها تنتهي

«اسمعي أيا، بعد ذلك ستتوقف.

ستقولين لي إلى اللقاء، وأذهب. اتفقنا؟»

ويمضي الوقت هكذا حتى تصبح الساعة التاسعة إلى ثلث.

في الحقيقة، كانت أم أيا تخشى تلك اللحظة كثيراً لحظة الفراق.

لحظة صعبة تبدأ فيها أيا بالصراخ والبكاء.

هكذا تودع أمها بنوبة بكاء.

تلتصق بها فتجبرها على سلخها عن ثوبها

وإبعادها عنها بالقوة

وتتركها مع المدرسة وترحل بسرعة.

تلك اللحظة، تكرهها الأم

حتى أنها تكاد تبكي في كل مرة.

أما اليوم فقد قررت أيا أن الأمور ستتغير.

لقد قررت أنها ستكبر فجأة.

بعد انتهاء القصة

رتبت الفراولة الحمراء والخضراء

وبازل السافر

رفعت يدها برفق وقالت،

«اذهبي الآن. إلى اللقاء يا أمي».

وارتسمت على وجهها ابتسامة صغيرة

ابتسامة حزينة ومستسلمة في آن.

تفاجأت الأم كثيراً حتى أنها لم تستطع أن تنهض من كرسيها.

«هل أستطيع... أن أذهب؟»

هزت أيا كتفيها وقالت، «قلت لك إلى اللقاء، أمي.

أنا أقرر متى تذهبين.

وقد قررت أن تذهبي الآن».

فهمت الأم كل شيء، فقبلت ابنتها الصغيرة قبلة قوية.

لقد فهمت أن أيا هي التي قررت ساعة الفراق.

وهذا أسهل بكثير.

لقد فهمت أن أيا قررت أن تصبح فتاة كبيرة.

«إلى اللقاء حبيبتي. استمتعي بوقتك!»

لكن أيا كانت قد جلست على مقعدها الصغير

مع الأولاد الآخرين.

ظلت أمها واقفة في الباب تنظر إليها، بتعجب وتأثر.

بدت أيا كبيرة بفستانها الأحمر وضفيرة شعرها الناعم.

عجباً! فاليوم يبدو أن أمها هي التي تجد صعوبة في الرحيل...

ما قصة الوداع؟

البكاء الصباحي في بداية السنة، أمام المدرسة وفي الصف، أمر

شائع جداً في صفوف الروضة. وأحياناً قد يدوم شهرين أو ثلاثة... وهذا صعب جداً على الأهل! وبعد أن يعتاد الولد على فكرة الفراق، تتجدد المشكلة بعد كل عطلة مدرسية يقضيها في المنزل، حتى لو لم تكونوا معه أثناء النهار. فها هي المدرسة تبدأ من جديد!

وقت للتأقلم

إن التكيّف في المدرسة يختلف عن التكيّف في الحضانة أو مع المربية. فالطفل لا يعود مدللاً في المدرسة كما كان مع مربيته أو في دار الحضانة. فهو الآن في صف يتواجد فيه 28 أو 29 تلميذاً.

وحتى الأولاد الذين اختبروا الحياة مع مجموعة كبيرة في الحضانة، سوف يجدون فرقاً شاسعاً. ففي البداية يكون نمط ونظام صف الروضة صعباً بالنسبة لهم.

أما الفراق بحد ذاته فهو مؤلم بعض الشيء على الأهل كما للأولاد. ألا تشعرون أنتم أيضاً بالحزن عند الافتراق عنه؟ غير أن الأطفال يلتقطون الرسائل غير الكلامية، كلغة الجسد مثلاً والإشارات الصغيرة التي تدلّ على أنكم قلقون ومنزعجون. هؤلاء الخبراء يتحسسون أي نغمة قلقة في صوتكم، ويشعرون بالحزن الذي يسكنكم. لا داعي لأن تشعروا بالذنب، لكن اعلموا أنه إذا شعر بحزنكم فسوف يحزن هو أيضاً!

قبل الفراق

بهدف التخفيف من وطأة هذه اللحظات الصباحية الصعبة، لا تترددوا بالكلام عن اليوم الذي ينتظره، وقراءة لائحة الطعام في كافيتريا المدرسة، والتحدث عن مراحل يومه المختلفة، وتحديد الشخص الذي سيأتي لاصطحابه بعد المدرسة، والزاد اللذيذ الذي أعددتموه ووضعتموه

في حقيبته... هذه الطقوس التي ترددونها على مسامعه وأنتم متّجهون إلى المدرسة ضرورية جداً لتهدئته.

شجّعوه على أن يأخذ معه إلى المدرسة، إضافة إلى لعبته المفضلة ولهّايته، كتاباً يحبه أو فيلماً يشاهده مع رفاقه... يمكنه أن يعطي هذه الأشياء للمعلمة وهي تتصرّف بها. فذلك يشجعه ويحفزه على الذهاب إلى المدرسة!

أثناء الفراق

من الأفضل ألا تتأخروا بالانصراف (خاصة إذا كان المشهد نفسه يتكرر كل يوم). أما بقاؤكم معه والتأكيد على أن ذلك لن يدوم إلا لحظات قليلة فيزيد من إحساسه بالكدر والقلق. أما أنتم فلن يفيدكم الربع الساعة الممدّد بل يجعلكم تشعرون بالذنب أكثر فأكثر! الطفل يعرف ذلك جيداً ويستغله.

أصرّوا على أن يقول لكم إلى اللقاء بنفسه. فحين تشجعونه على اتخاذ القرار بنفسه تمنحونه حقّ التحكم بالموقف. هذا منطقي، فإذا قال الأهل عبارة إلى اللقاء (وكرّروها مرات عديدة)، فهذا سيزيد من شعوره بالضغط ويجعله يلعب دور «الضحية». مهما تعقدت الأمور، فدموع ملاككم الصغير ستجف بعد رحيلكم بنصف دقيقة، وأنتم تعلمون ذلك جيداً!

ناقشوا الأمر معه

(بعيداً عن لحظات الفراق)

قولوا له إنكم أنتم أيضاً تجدون صعوبة في الافتراق عنه (إذا كان هذا شعوركم الفعلي): «هذا طبيعي. فقد أمضينا السهرة أو عطلة نهاية الأسبوع أو عطلة الصيف، وعلينا الآن أن نفترق يوماً كاملاً. من الطبيعي أن نشعر بالحزن. الفراق صعب دائماً. الوداع هو ربما أصعب ما في الحياة!»

اشرحوا له أنكم لستم منفصلين إلا بالجسد: «أنا معك دائماً بأفكاري. أعرف كل تفاصيل نهارك. أعرف متى تذهب إلى قاعة الطعام لتأكل. ومتى تعود إلى الصف لتنام قليلاً. وأعرف أيضاً متى تخرج للفسحة. غالباً ما أفكر بك وأقول في نفسي إنك سعيد في صفك مع معلمتك اللطيفة. وأشعر بالسعادة لأجلك». اشرحوا له فائدة الفراق: «كل ما ستخبرني به من قصص الليلة، سيكون بمثابة هدية، ومفاجأة رائعة جداً».

تامر ورفيقه سامر

تامر يذهب إلى المدرسة منذ أسبوع.

كل يوم صباحاً تحضره أمه إلى الصف

وتجلس على المقعد الصغير

(بالكاد يتسع المقعد لها، ولا تعرف أين تمدّ ساقيها).

ثم تضع خدّها على خد تامر وتضغط فتتلاحج الوجنتان.

لا تقبّله لئلا تترك على وجنته آثار أحمر الشفاه.

تقول له: «أتمنى لك يوماً سعيداً حبيبي. استمتع بوقتك، وكُل جيداً،

وخذ قيلولة لترتاح».

ولأن تامر أصبح كبيراً

فهو لا يبكي.. أبداً.

بعض الأولاد يبكون، وبعضهم يتشبثون بألعابهم المفضلة.

ولكن تامر لا يفعل ذلك.

يلصق بطاقة اسمه على لوحة الحضور.

ويضع بطاقة الكافيتريا في العلبة التي كتب عليها

«أنا أتناول الغداء في المدرسة».

يذهب إلى الأولاد الآخرين،

يخرج من درج الألعاب لعبة بازل

سيارة جميلة، كرات صغيرة

قطعة من عجينة التشكيل.

هذا ما يفعله كل صباح. يلهو تامر كثيراً

ولكنه أحياناً يشعر بالملل.

ويفكّر أن اليوم من دون أمه

يبدو طويلاً جداً.

عندما يحين وقت الذهاب إلى الكافيتريا

يفكر بأمه التي تغني في المطبخ

وهي تعدّ بسكويتاً شهياً على شكل حروف أبجدية

وكعكات شكلها مضحك بنكهة الفراولة.

وعندما يحين وقت القيلولة،

يبدأ بعض الأولاد بالبكاء

وبعضهم الآخر يطلب أن تلاعبه المعلمة قليلاً.

وآخرون يطلبون الإذن للذهاب إلى الحمّام.

ومنهم من يضيع لُعبته.

أما تامر فلا يحضر معه لعبته المفضلة ولا لُعبته

وهو لا يبكي بحزن.

أحياناً لا ينام لأنه لا يشعر بالنعاس.

فينسخ القصص في مخيلته.

لقد قرر تامر اليوم

أن يكون له رفيق في الصف.

سيسميه سامر وسيكون لطيفاً

ويبقى صديقه مدى الحياة.

ومنذ ظهور سامر

لم يعد تامر يشعر بالوحدة في المدرسة.

في الصباح، عندما يسرع تامر على طريق المدرسة

يسرع سامر أيضاً.

يقول تامر: «هيا! أسرع!»

ثم عندما تجلس أمه على المقعد الصغير في الصف

والمقعد يكاد لا يتسع لها ولا تعرف أين تمد ساقيها

لا يشعر تامر بالضيق.

يقول لها: «إلى اللقاء أمي، أراك مساء!»

سامر لا يبتعد أبداً عن تامر،

ولا حتى أثناء الفسحة.

يخبره سامر قصة قبل أن ينام

فهو يعرف قصصاً كثيرة جداً.

مئة ألف أو مئتي ألف قصة.

في الصباح يحضر تامر بطاقة اسم سامر.

في أحد الأيام، حين كانت المعلمة تنادي التلاميذ لتتأكد من حضورهم

لم يجب تامر حين نادته.

كان ينتظر أن تقول اسم سامر.

سألته المعلمة: «أين أنت يا تامر؟ على القمر يا صغيري؟»

عندما تسأله أمه عن المدرسة يتكلم كثيراً عن سامر.

فيقول: «لم يكن سامر هادئاً اليوم. لقد تصرف بشكل مزعج».

في أحد الأيام قال لأمه:

«لقد قال سامر للمعلمة كلمات سيئة جداً!»

انتفضت أمه وأجابته:

«لا يعجبني سامر هذا. سلوكه ليس جيداً».

في اليوم الثالث،

خدش تامر نفسه أثناء القيلولة

(هذا يحصل عندما لا نقص أظافرنا)

قال لأمه: «سامر هو من خدشني»

لم يكن قد قص أظافره جيداً.

احمر وجه أمه وقالت معترضة:

«لقد طفح الكيل. سيكون لي تصرف آخر مع سامر هذا».

راح تامر يفكر: «تباً لي! الآن سيتعرض سامر للتأنيب بسببي أنا».

في اليوم التالي قصدت الأم المدرسة لمناقشة الموضوع مع المعلمة.

كان تامر يلعب بالبازل ويسترق السمع إلى ما تقولانه:

- سامر؟ ولكن ليس في صفي ولد يدعى سامر...

ولا في الصفّ المجاور.

«تباً! تباً! ماذا فعلت؟ آمل ألا يأخذوا مني سامر.

سامر لي أنا!».

وتابع تامر تركيب البازل.

عند عودته إلى البيت بدت أمه حزينة.

ربما كانت تتمنى لو أن سامر موجود حقاً؟

أما تامر فكان سعيداً.

سيبقى سامر صديقه مدى الحياة.

قالت أمه: «أعرف بعض الأشياء عن سامر.

فهو شقيّ بعض الشيء!

لكن لحسن الحظ أنه هنا، أليس كذلك؟

قالت لي المعلّمة إنها فخورة بكما.

لذلك أودّ أن... أكافئكما.

يجب أن تلهو قليلاً أيضاً.

سوف أقيم لك ولرفاقك حفلة في المنزل.

سنصنع معاً بطاقات دعوة بأسماء كل رفاقك في المدرسة

وأنت ترسم عليها.

- حسناً، قال تامر الذي كان عنيداً جداً..

بشرط واحد، وهو أن نكتب أولاً بطاقة الدعوة الخاصة بسامر، اتفقنا؟».

وراح تامر يضحك من كل قلبه...

ما قصة الصديق الوهمي؟

الصديق الوهمي يشكّل حماية من الشعور بالوحدة. ويقول أحد المتخصصين بعلم النفس لدى الأطفال إن هذه الظاهرة تتنامى أكثر فأكثر. هل هذا يعني أن الأولاد يشعرون بالوحدة أكثر من السابق؟ لا داعي أبداً لتضخيم الأمور. فنحن الكبار أيضاً نستخدم «أسلحة ضد الوحدة»، كالكتب والمجلات المفضّلة لدينا والبرامج التلفزيونية التي نتابعها بشغف...

ماذا يجب أن نفعل؟

إذا كان لدى طفلكم صديق وهمي فهذا لا يعني أن لا أصدقاء له. ولكن عليكم أن تتأكدوا بمساعدة المعلمة مما إذا كان يعيش في عزلة عن رفاقه في الصف. حاولوا أن تعرفوا من هم الأولاد الذين يعجبونه، أو الذين يحب أن يلعب معهم. حاولوا التواصل مع أهل رفاقه عبر وضع رسائل صغيرة لهم في حقائب أولادهم المدرسية. ولم لا تدعون أيضاً رفاقه إلى المنزل لتناول بعض المأكولات اللذيذة، في محاولة لإخراجه من وحدته المؤقتة؟

لعلّه يمرّ بمرحلة يحتاج فيها إلى تواجدكم إلى جانبه وقتاً أطول بعض الشيء. ففي بعض المراحل المفصليّة، مثل الدخول إلى الروضة أو السنة الابتدائية الأولى، قد يحتاج إلى مزيد من الوقت والاهتمام.

اسمحوا لأنفسكم بالبقاء قربه كل يوم مرّة ولبضع دقائق على الأقل، وبخاصة في المساء، لا لتقرأوا له قصة أو تراجعوا له دروسه، بل لتتواجدوا بالقرب منه وتصغوا إلى ما يريد أن يقوله لكم.

ناقشوا الأمر معه

«أرى أن صديقك سامر مهم جداً بالنسبة لك. لست متأكدة من كونه موجوداً بالفعل أم لا. ولكن الأصدقاء الذين نتوهمّ وجودهم مهمون جداً في بعض مراحل حياتنا. هل يساعدك صديقك كثيراً؟ متى يفعل ذلك؟

أتعلم؟ صديقك هذا لا يمكنه أن يحلّ مكان شخص يحبك. هل تشعر بالوحدة أحياناً؟ هذا طبيعي ويحدث للجميع».

قولوا له إن الماما والبابا هما دائماً بقربه وهما ليسا شخصين وهميين بل حقيقيين يمكنهما أن يصغيا له، ويساعداه، ويجيبا عن أسئلته.

قصة الصباح المبكر

هل لاحظت شيئاً؟

كل صباح، قبل أن نذهب إلى المدرسة، يكون جو المنزل مريعاً.

الآباء ينظرون مراراً وتكراراً إلى الساعة

والجميع الجميع يكاد يفقد عقله.

في الصباح المبكر

نسرع.. نسرع.. نسرع

مزاج أبي معكّر

الوقت قد تأخّر.

أعصابه انهارت

قطعة الخبز المحمصة كالفحم قد صارت

يصرخ بصوت كالزلزال

أترى كم الساعة؟ يا لهذا الحال!

انهض، هيا انهض

لم تعد كالأطفال!

يمشي وينظر في الساعة.

وأتحرك كالفزاعة

أغسل وجهي

أنظف أسناني

أتناول فطوري

أمشط شعري

أحمل حقيبتي

آكل ما في صحني

أشرب ما في كوبي.

يا لحظي السيء! تمزقت جواربي

تصرخ أمي وهي تقف في بابي.

ماذا؟ ألست بعد جاهزاً؟

أسرع.. وعلى الفور كن حاضراً!

- عفواً! أخطأت مرة ثانية.

يصرخ أبي في المطبخ

لقد أضاف الشوكولا بدل الحليب

إلى كوب الشاي اللذيذ.

- لبست جواربي بالمقلوب!

يصرخ أخي الكبير محبوب

ولم أنتعل الحذاء المطلوب

إن العقاب عليّ هو المكتوب!

دقت ساعة الخروج

وكأرانب في المروج

خرجنا قبل أن ننهي الفطور

وبدونا كالعسكر المكسور

سيصدر بطني أصواتاً غريبة

في صف اللغة الفرنسية،

فأمضغ سحاباتي البرتقالية

ولو لم تكن كالبرتقالة شهيّة!

كيف تسير الأمور في منزلهم؟

صوت الراديو يهدر

أمي وأبي يسحباننا من السرير

وأحياناً يجرّاننا جرّاً بأقدامنا.

ونحن نودّ البقاء تحت اللحاف!

ينهضوننا من السرير بالقوة

كأننا أكياس كبيرة مليئة بالنعاس!

أقدامنا ما زالت ترتجف،

نوقع كوب الشوكولا.

نحرق الخبز المحمّص.

نلوّث قمصاننا.

نضيّع أغراضنا.

ابريق الماء الغالي يصفر.

عصير البرتقال يتطاير...

كيف تسير الأمور في المنازل الأخرى؟

الحق. ليست أفضل حالاً!

- ففي عائلة أم أربع وأربعين، ليس عليهم أن يلبسوا أربع وأربعين زوجاً من الجوارب فقط، بل عليهم أيضاً أن ينتعلوا أحذيتهم ذات الدواليب ويربطوا أشرطتها مرتين حتى لا تتفلّت. ذلك يتطلب وقتاً طويلاً جداً. لكن لحسن الحظ أن أمهم تمد لهم دائماً رجل العون.

- وفي منزل سكان المريخ، العناية الصباحية أمر مرهق! فعلى كل واحد منهم أن يغسل ست عيون، وثمانية عشر هوائياً، وينظّفوا خمسة وعشرين ظفر (خمسة أظافر في كلّ من أياديهم الخمس). ويعوّضون الوقت الضائع أثناء تناول الفطور. فهم يستعملون أذرعتهم الثلاث في الوقت نفسه، فواحدة تحضّر السندويش، والثانية تدهن الزبدة عليها والثالثة تعدّ الحليب. وبعدئذٍ يصعدون إلى صحنهم الطائر ليذهبوا إلى المدرسة في الكوكب المجاور.

- في مخبأ مصاصي الدماء، يجد الأهل صعوبة كبرى في إنهاض صغارهم من التوابيت قبل منتصف الليل بعشر دقائق. أغطية التوابيت تتحرك كلها في مقبرة «المشهد الحزين». كل الصغار يتجهون إلى المدرسة بوجوههم الرمادية الجميلة والهالات السوداء تحت عيونهم، وأسنانهم ما تزال تقطر دماً. الأطفال الرضع يشربون الدماء الطازجة من رضّاعاتهم. أما من يتأخر على

المدرسة فيقاصص بضربه على مؤخرته بباقة من الثوم الأخضر، فمصاصو الدماء لا يحبون الثوم أبداً.

- في منزل الأميرات، هناك من يغسل أنف الأميرة، ومن يحضّر لها كوب الشوكولاتة الساخنة، والخادم الأول يرفع لها جفنيها، والخادم الثاني يفرك لها عينيها، والخادم الثالث يجعل فمها يتثاءب، والخادم العاشر يلبسها الجورب الأيمن، والخادم الخامس والعشرين يجهز لها الخبز المحمص، الخ... وعندما تنطلق الأميرة أخيراً إلى المدرسة (جالسة على كرسيها يحملها حمالون)، لا تكون حتى قد استيقظت! بل تكمل نومها على المقعد...

- في منزل الساحرات، تحرك الساحرة الصغيرة أصابع قدميها الكبيرة، وتنهض لتدهن نفسها بعطر الهرة النتنة رقم 5، تجعّد شعيرات ذقنها، وتنكش الشعرات الثلاث القصيرة المنتصبة على رأسها. تأخذ الصغيرة معها إلى المدرسة لعبتها المفضلة لتشجعها قليلاً. تلك اللعبة ليست سوى قشرة يقطين ذابلة.

- في منزل الأشخاص الآليين، يعيد كل فرد من العائلة برمجة نفسه وهو ينهض من سريره. ويشدّ براغيه ومفاصله، يزيّت أجزاءه، يشغّل برنامجه وذاكرته ويحضّر نفسه لصفّ الرياضة أو درس الرسم. أما الذي يخطىء في برمجة نفسه فيجلس في الزاوية وينتظر.

- أما في منزل طرزان، يتناول الجميع الموز ويطلقون صرخات عالية حتى يستيقظوا جيداً. لا أحد يضيّع وقته بارتداء الملابس! وهيلا هيا هوب! بقفزة واحدة للأولاد على الحبال الليفية يصبحون في المدرسة! ولكن لا... لقد وقع أحدهم على المعلمة...

ما قصة التحضيرات الصباحية قبل المدرسة؟

ابتداء من صفوف الروضة يشعر كل الأهل بالضغط الصباحي في أيام المدرسة! إنها بداية تعلّم الانضباط، والالتزامات الاجتماعية واحترام المواعيد.

خذ وقتك

الأمر واضح تماماً: لنستعد جيداً يجب أن نضبط ساعة النهوض، لذلك علينا أن ننام باكراً! يكرر المدرسون هذه النصيحة دائماً، فكثر هم الأولاد الذين يغفون في الصف على دفاترهم. الأولاد الذين يذهبون إلى المدرسة وحتى سنّ الحادية عشر يحتاجون ما بين 10 و11 ساعة من النوم الليلي. يمكنكم أن تهدوا ولدكم في عيد مولده ساعة منبهة جميلة إذا كان يستيقظ بصعوبة في الصباح!

حاولوا تحضير الثياب والحقيبة في الليلة السابقة لتتركوا للولد متسعاً من الوقت ليتناول فطوره. لا شيء أسوأ من يوم يبدأ بتناول الفطور على عجلة وفي أجواء ضاغطة.

يؤكد أطباء الأطفال أن على الأهل عدم السماح للأولاد بمشاهدة التلفزيون صباحاً، فالتلفزيون يفقدهم تركيزهم ويثير أعصابهم ويؤثّر بهم. وحتى لو فتحتم التلفزيون لخمس دقائق فقط فسيرغبون بمشاهدة المزيد.

ناقشوا الأمر معه

«من الصعب عليك أن تفهم وأنت صغير بعد، أهمية النوم باكراً لتستطيع أن تنهض باكراً.

من الرائع أن نتمكن من تناول الفطور معاً ونتكلم قليلاً قبل أن تذهب إلى المدرسة. يجب ألا نفسد مثل هذه الأوقات الرائعة! ولكن طبعاً في بعض الأحيان لا نستطيع تجنب لحظات الضغط. نتأخر في الاستعداد، نتشاجر، وأحياناً نصرخ. ولكن هذا لا يعني أننا لا نحب بعضنا بعضاً».



الفصل الثاني

قصص عن الأصحاب

قصة رامي الذي يعطي كل شيء ليحبه رفاقه

غالباً ما كان يشار إلى رامي على أنه مثل أعلى
لأنه كان الولد الأكثر تهذيباً في القرية.
وعندما كان الأهل يمرّون أمام بيته كانوا يقولون:
«هنا يسكن رامي الصغير».
وكانوا يشدّون أذن أولادهم الذين يرافقونهم مؤنّبين:
«أهله محظوظون، فهو لطيف جداً وليس مثلك!»
كان رامي قليل الكلام
ربما لأنه كان دائماً شارداً على غيمة
وتلك الغيمة تمنعه من أن يكون حاضراً في الوقت المناسب
ومن أن يقول الكلام المناسب
أحياناً كانت تلك الغيمة تتلوّن باللون الرمادي الحزين
وأحياناً أخرى كان الغضب يجعلها تسودّ
لأن رامي ما كان يعبّر عن غضبه أبداً.
كان والد رامي ووالدته يناديانه: «خروفي الصغير»

ويلعبان بخصلات شعره السوداء المجعّدة.
هل الغيمة الصغيرة التي تطفو في رأسه
هي التي تجعله شفافاً؟
كان رامي يفعل المستحيل في المدرسة لكي يلفت انتباه رفاقه،
لكن لا أحد في المدرسة كان يراه.
راح يلعب بالكلة وحده في الملعب.
وشعر أنه فعلاً خروف صغير،
أبيض وضعيف، في عرين الأسود.
في أحد الأيام خطرت لرامي فكرة.
أخذ ثلاث حفنات من علبة البونبون الموضوعة في الصالون
ووزّعها على الفتيان الثلاثة الأكثر شعبية في الصف.
سمع رامي أحدهم يقول له: «أنت لطيف حقاً!»
تبدّدت الغيمة الرمادية في الحال
كما لو أن ممحاة سحرية مرّت عليها.
كسب الأصدقاء سهل جداً!
في اليوم التالي، عندما ذهب رامي إلى المدرسة
رأى الفتيان الثلاثة الأكثر شعبية واقفين أمامه.
فتح رامي حقيبته وأعطاهم زاده:
سندويش صغير، لوح من الشوكولاته وحلوى بالفاكهة.
ابتلع مازن كل هذا بلمح البصر
فتح رامي مقلمته وأعطى جاد ممحاته الزهرية التي شكلها كالسيارة.

بدا الفتى الطويل راضياً لأنه ابتسم ورحل.

أنت تفهم ما يجري في رأس رامي، أليس كذلك؟

كان يقول لنفسه:

«بما أن لا أحد يشعر بوجودي، ولا أحد يسمعني، سأقدم الهدايا.

وهكذا لن ينسونني عند تأليف فريق كرة القدم،

وسيدعونني الجميع إلى أعياد ميلادهم».

في اليوم التالي، استيقظ رامي في وقت أبكر من عادته

ودس في كيسه مزلاجيه ومركبه الشراعي الصغير الأحمر.

ووقف ينتظر على الرصيف المقابل لمدخل المدرسة وقلبه يقرع

كالطبل.

فتح الفتيان الأقوياء الثلاثة الكيس

وراحوا يطلقون صيحات خافتة كتلك التي تطلقها الحيوانات.

سأله أحدهم: «أتعطينا هذه الأشياء؟».

- بالطبع، أجاب رامي الذي كان مستعداً في تلك اللحظة لأن

يتخلى عن قميصه وبنطلونه.

كم هو سهل كسب الأصدقاء!

ومرت الأيام.

كانت غرفة رامي تفرغ من محتوياتها مع موجة الكرم هذه

التي لم يكن شيء يقف في طريقها.

اختفت ألعابه كلها: الرجل الآلي الإلكتروني، الرجل الوطواط

الذي يعمل بجهاز التحكم عن بعد، لعبة السكرابل، قصره

الخشبي، البازل، لعبة التنين الذي ينفث النار.

بعد أيام قليلة، أثناء الفسحة في ملعب المدرسة، اقترب منه أحد

الثلاثة الكبار بخطوات بطيئة وقال له: «رأيتك يوم السبت في

الحديقة العامة. دراجتك جميلة جداً. أتعطيني إياها؟».

تردد رامي: إنها الدراجة التي حصل عليها في عيد ميلاده

الخامس، وهي مزودة بسرعات خمس، وعجلات قوية تسير على كل

أنواع الطرقات، ومطرة ماء مثبتة بها...

رمقه الكبير بنظرة غريبة وبصق على الأرض.

طوال النهار، كانت الغيمة الصغيرة الرمادية تتكون مجدداً في

رأس رامي.

طوال النهار، راح يكلّم نفسه بقسوة

كما لو أنه عدو نفسه اللدود، قائلاً «أنت فاشل، يا لك من نكرة،

لتخسر كل أصدقائك».

وفي اليوم التالي، أتعلم ما حصل؟

أتى رامي إلى المدرسة على دراجته، بمطرة الماء المثبتة بها

تحت المقود...

دراجته التي لا عجلات صغيرة لها

كدراجات الصغار.

دراجته تشبه فعلياً دراجات الكبار!

ومن بعيد رأى الفتيان الثلاثة يصفقون له.

شعر أنه قد ربح السباق.

وأن الرفاق يحملونه على أكتافهم كبطل،

وكأنه يطفو على غيمة بيضاء.

وبدا له أنه يسمع مع التصفيق أصواتاً تهتف له: «أحبك! أحبك!».

وبعد الدراجة، توالى اختفاء الأشياء من المنزل:

المسجلة، الراديو، كمبيوتر والديه المحمول، مصباح زاوية الصالون، السيارة الصغيرة المصنوعة من الكريستال، التلفون!

لم يكن رامي يستطيع التوقف عن أخذ الأشياء، لقد أصبح مدمناً على ذلك.

وعندما أصبحت غرفته فارغة تماماً، راح يبحث عن المال لشراء الهدايا.

فباع البيانو، والفرشات التي يناسون عليها في البيت، والأسرة والمطبخ بكل تجهيزاته، وحتى الستائر.

وعندما اختفى الموقد وجدران الصالون لم يعد هنالك شيء البتة في البيت،

لا أثاث ولا حتى كرسي واحد...

وفي إحدى الأمسيات، عاد رامي إلى البيت فوجد أن والديه قد اختفيا أيضاً.

لكن في غمرة رغبته الرهيبة بكسب الأصدقاء، لم يهتم رامي لاختفائهما.

كان يضم مغلفاً كبيراً إلى صدره، مغلفاً محشواً بالنقود. غداً سيتمكن أخيراً من شرائها، سيارة الفيراري الحمراء المبهرة.

وفي اليوم التالي عندما وصل الثلاثة الكبار راحوا يفركون عيونهم.

إنها هنا أمامهم، قرب الرصيف، أمام المدرسة، ها هي.

سيارة الفيراري الفخمة، الملوكية.

بمصابيحها الصفراء المضيئة!

التهبت وجنتا رامي واحمر لونهما،

كما لو أن لون السيارة قد صبغهما.

لكن الثلاثة الكبار قفزوا إلى داخل السيارة من نوافذها، هوب!

واختفوا عن العيون وضجيج السيارة الرهيب يلحق بهم

من دون حتى أن يلتفتوا إليه.

عاد رامي شفافاً كما كان في السابق، فلم يعد أحد يراه.

شعر بقلبه ينتزع من مكانه.

جلس على الرصيف وراح ينتظر الثلاثة الكبار حتى حلول المساء.

لا بد أن يعودوا طبعاً.

يجب أن يعودوا لأخذه أو على الأقل ليقولوا له شكراً.

لكن المساء جاء من دون أن يعود أحد.

عندئذ انفجر الغضب الأعظم.

غضب أشبه بإعصار

كان يمكن أن يهدم بيتين أو ثلاثة.

ظلّ رامي يذرف دموعاً غاضبة طوال الليل.

وكانت دموعه كبيرة الحجم، أكبر من دموع الحزن العادية

وإذا ببركة كبيرة تتشكّل تحته أمام الرصيف.

انحنى رامي ونظر إلى انعكاس عينيه في الماء.

كانت عيناه السوداوان وشعره وشجاعته

تشبه عيني وفروة وشجاعة أسد صغير.

راح الأسد الصغير يبحث عن والديه.

وعندما وجدهما قبّلهما

وشرح لهما ما حدث.

نظرت أمه في عينيه وقالت له:

«نحن نقدّم الهدايا لمن نحبهم.. لا لنكسب صداقة أحد!

وإلا فلن يقف الأمر عند حدّ!»

وتابعت أمه تقول:

«أنت الهدية وليس أي شيء آخر!

أنت قوي كأسد».

محا هذا الكلام الغيمة التي تسير فوق رأس رامي بسحر ساحر.

ومنذ ذلك اليوم تعلّم رامي كيف يحترم نفسه ويحبها.

لقد تعلّم أنه هدية للآخرين.

ما قصة النصب والاحتيال؟

إهانات، رفس، فوضى وغش من كل نوع... هل تسود مدارسنا شريعة الغاب؟ استناداً إلى دراسة أميركية يتعرّض ولد من أصل ثلاثة للنصب والاحتيال داخل المدارس. قد لا تكون تلك النسبة هي عينها في مدارسنا لكننا نعلم أن الاحتيال ينتشر بكثرة في ملاعب مدارسنا. هل هذه الظاهرة نتيجة المجتمع الاستهلاكي الذي نعيش فيه، وتحوّل الأولاد إلى مستهلكين، أو نتيجة الانبهار بالماركات والسعي لامتلاكها، ما ينمّي لدى أولادنا الشعور بالحسد ويجعلهم أقل مناعة.

كيف تعرف الولد الذي يتعرض للاحتيال؟

ينبغي التمييز بين حالات الاحتيال. فعندما يشعر الولد بحاجة لأن يعطي كل ما لديه لعله يفعل ذلك لقلة ثقته بنفسه أو بهدف كسب الأصدقاء. وقد تحصل هذه الحالة إذا كان الولد تلميذاً جديداً في المدرسة أو إذا كان وحيداً لا رفاق يلعب معهم.

حذار من المقايضة. فقد تكون مقدمة للنصب والاحتيال ومن البديهي أن يكون الأكبر سناً هم الذين يحاولون الاحتيال على الأولاد الأصغر سناً منهم. وفي كل الأحوال، سواء كنت تواجه حالة احتيال أو مقايضة أو غش، ينبغي أن تكون حازماً كل الحزم. فإذا أحضر ابنك معه إلى البيت أغراضاً لا تخصّه، حتى لو لم تكن ذات قيمة فعلية، اسأله عن مصدرها وحاول قدر المستطاع أن تجعله يعيدها إلى أصحابها.

وعلى العكس، إذا كان ابنك يتعرّض للغش (ويمكنك أن تعرف ذلك من خلال تغيّرات في سلوكه، أو خوفه من الذهاب إلى المدرسة أو تراجع علاماته المدرسية)، فأول تدبير عليك اتخاذه هو أن تمنعه من أن يأخذ معه إلى المدرسة أي غرض مهما كان بسيطاً. علماً أن بعض الأطفال في صفوف الروضة يتعرضون لسرقة الطعام الذي يتزوّدون به للمدرسة...

ناقشوا الأمر معه

ذكّروه أن الأغراض تخصّ مالكها: «كيس الكلل هو هدية عيد ميلادك وهو لك أنت. يمكنك بالطبع أن تعطيه لولد آخر لكنك قد تندم». يمكننا أن نعير أغراضنا لكننا نسترجعها لاحقاً.

ذكّروه بقيمة الأشياء: «لا تتساوى قيمة الأشياء كلها. قيمة الكلّة ليست كقيمة زادك. الأكل أمر أساسي أمّا الألعاب فهي شيء ثانوي».

ابقوا حازمين: «أنا أمنعك من أن تعطي زادك لأحد. إذا فعلت ذلك فاعلم أنك تخطئ التصرّف». ولكن أضيفوا: «إذا لم يكن مع أحد رفاقك طعاماً

يأكله، فتقاسم معه زادك. هذا كل ما تستطيع أن تفعله».

ذكّروه أن العطاء فعل مجّاني: «يحقّ لك أن تعطي ما تريده، وهذا سخاء منك. إنه لأمر جيد أن نعطي الآخرين أشياء عندما نريد ذلك حقاً وإذا كنّا نحبهم من دون أن ننتظر شيئاً بالمقابل. لكننا لا نعطي أشياء أو هدايا لنكسب الأصدقاء، فهذا لن يجدي نفعاً. الأصدقاء الحقيقيون هم أولئك الذين لا ينتظرون منك أن تعطيهم الألعاب. إنهم يحبّونك لشخصك وليس لما تملكه أو لما تعطيهم إياه».

إذا كان ابنكم يتعرّض للاحتيال فحاولوا أن تستفيضوا أكثر في النقاش. ذكروه أن السرقة جريمة يعاقب عليها القانون: «الكبار يدخلون السجن إذا سرقوا». علّموه أن يحترم نفسه ويفرض احترامه على الآخرين: «لا يمكننا القبول بأن يسرقنا أحد أو يلمس جسدنا. الأمران متشابهان لأنهما يعبران عن عدم احترام لنا».

سبعة أيام للحصول على صديق

في تلك السنة كان نبيل فخوراً جداً بنفسه.

سوف يدخل إلى الصف الابتدائي الأول وكل شيء يبدو له أكبر:

مدخل المدرسة، الملعب، الأشجار، مكتب المدير...

حتى الرفاق كبار

هناك تلاميذ صف الأول والثاني والثالث والرابع

الرفاق...

في اليوم الأول راح نبيل يراقبهم وهو جالس على مقعد حجري في الملعب.

كلّهم يعرفون بعضهم بعضاً!

كلهم يرتدون الثياب نفسها،

قميصاً رمادياً وبنطلوناً واسعاً.

كانوا يركلون كرة إسفنجية

وفي كل مرة يركل أحدهم الكرة

كان نبيل يشعر بضربة توجّه إلى قلبه.

كان يرغب كثيراً في أن يلعب معهم.

لكن الفرق كانت مكتملة.

وفي المساء، عندما أخبر أمه عن ذلك أجابته:

«هذا أمر طبيعي. لقد انتقلنا إلى هذه المنطقة منذ فترة قصيرة جداً.

أما هم فيعرفون بعضهم البعض منذ صفوف الروضة. ستنتهي المشكلة قريباً.

عليك أن تتقرّب منهم، أيها الشاب!»

في اليوم التالي ترك نبيل مقعده

وراح يمشي في الملعب.

كان الأولاد يلعبون لعبة غريبة يتحلّقون فيها في دائرة

لم يكن نبيل يعرف هذه اللعبة وبدت له معقّدة جداً.

صرخ أحد التلاميذ الكبار: «المعلّمة ترتدي كنزتها بالمقلوب!»

لم يكن كلامه مضحكاً لكن نبيلاً ضحك مع الآخرين.

وربما ضحك أكثر منهم أيضاً.

لكن أحداً لم يدعه للعب معهم.

وفي المساء، سألته أمه إذا ما كان قد أصبح له أصدقاء.

فغضب نبيل وراح يضرب الطاولة بقبضة يده وهو يقول:

«لا! ليس لي أصدقاء بعد!»

فبدت أمه حزينة.

في اليوم التالي استجمع نبيل شجاعته.

أثناء الفسحة في الملعب نهض

واقترب من مجموعة من الأولاد.

كان هناك ولد يدعى شادي

ويبدو أنه كان زعيم تلك المجموعة.

حدق شادي فيه وقال:

«ماذا تريد؟»

- هل أستطيع أن ألعب معكم؟

- هل تعرف لعبة «إذا أمسكتك سجنتك»؟

- لا، تمتم نبيل.

- إذاً لا تستطيع أن تلعب معنا.

وأدار شادي ظهره لنبيل.

وفي اليوم الرابع، عند انطلاق جرس الاستراحة

راح الأولاد يركضون في كل اتجاه ويهتفون فرحين.

بالنسبة لهم، جرس الاستراحة شيء رائع

إنه إشارة إلى بدء اللهو والمرح

لكن بالنسبة لنبيل كان الجرس صوتاً حاداً، رهيباً، لا يطاق.

شعر نبيل بكتلة تتشكّل في حلقه.

لم يعد يرغب بالنزول إلى الملعب.

أحس أن بنطلونه كان ضيقاً جداً عند الخصر

وأن قميصه المخملي أخذ يسبب له حكّة في العنق.

كان يرغب في أن يختفي تحت طاولة!

لم يكن يشعر بالملل فحسب

إن ما يشعر به أكثر من مجرد ملل.

في المنزل يعرف كيف يسلّي نفسه.

كان ولداً وحيداً ولا يجد رفيقاً يشاركه اللعب دائماً.

هو يعرف عادة كيف يسلّي نفسه.

ولكن هنا، في هذا الملعب، الوضع مختلف.

كان يشعر بأنه غبي.

كان يبدو له أن الجدران تراه وتسخر منه.

حتى الأشجار بدت له سوداء مخيفة.

كانت عينا نبيل تدمعان.

لم يشعر أبداً من قبل بأنه وحيد وتعيس إلى هذا الحد.

وفي المنزل لم تكن أمه تهوّن عليه الأمر أبداً.

كانت تسأله كل يوم:

«هل نجحت اليوم في كسب رفيق؟»

وعندما كان نبيل يجيب قائلاً «لا»

كان يشعر كما لو أنه يخبر أمه أنه حصل على علامة صفر.

في اليوم الخامس، أصيب نبيل بمغص شديد في وقت الاستراحة.

راح يتلوّى بقوة ممسكاً بطنه

كان الألم رهيباً.

سألته المعلمة:

«نبيل، هل تلهو في الاستراحة؟»

هزّ نبيل رأسه نافياً.

ابتسمت المعلّمة وقالت: «لقد عرفت ذلك. فبطنك تكلّمت عنك.

لكن كان يجب أن تخبرني ذلك من قبل!

من الصعب أن يكون المرء تلميذاً جديداً، أليس كذلك؟

الآخرون يعرفون بعضهم بعضاً

من الصعب عليهم هم أيضاً أن يتقربوا منك».

وبينما كانت المعلّمة تتكلم بدأ المغص

يتلاشى تدريجياً كما لو بسحر ساحر.

اقتربت منه المعلمة وأخذت يديه بيديها:

«أعط نفسك بعض الوقت

لتكسب رفاقاً.

لا أستطيع أن أطلب منهم أن يقبلوك.

سيشعرون أنهم مجبرون على مرافقتك.

وهذا ليس في مصلحتك. يمكنك أن تقترح عليهم بنفسك ألعاباً

أو تخبرهم قصة مضحكة،

كما يمكنك أن تحضر معك أي لعبة جماعية من المنزل لتلعبوا معاً

وبانتظار ذلك يمكنك أن تساعدني في توزيع الدفاتر الجديدة».

ظلّ نبيل مع المعلّمة

ثم نزل بعد قليل إلى الملعب.

أسرعت نحوه فتاة صغيرة تدعى سوزان

ذات شعر أسود مسرّح على شكل ضفيرتين.

«ما بك يا نبيل؟ أين كنت؟ هل أنت مريض؟»

أحسّ نبيل بالمفاجأة.

إنها المرة الأولى التي يناديه فيها أحدهم باسمه.

هم يعرفونه إذاً؟

«كنت أساعد المعلّمة في توزيع الدفاتر».

سألته البنت ذات الشعر الأسود المضفور:

- أتعرف لعبة الحيّة والسلّم؟

- نعم! أجاب نبيل.

- إذاً غداً سأحضرها معي. اتفقنا؟

فجأة تغيّر الجو.

لم تعد الأشجار سوداء مخيفة.

بل بدا له أنها تلوّح له بأغصانها.

شعر نبيل بتحسن كبير.

لقد أصبح الأمر مؤكداً

غداً سينضمّ إلى مجموعة الرفاق.

ما قصة الرفاق؟

اعتدنا أن نقول إن الأولاد سرعان ما يتعرفون برفاق جدد. ولكن ابتداء من سن السادسة، لا يعودون يتصرفون مثل أطفال الحضانة أو الروضة ولا يعود عقد الصداقات سهلاً كما في السابق. فالملاعب مليئة بالقبائل الصغيرة، والمجموعات المغلقة. فإما أن يُقبل الولد أو يُرفض أو يُخاصم... وأحياناً لا نستطيع أن نفعل شيئاً حيال هذه الأوضاع!

كيف يكسب الولد رفيقاً؟

تلعب الصداقة دوراً هاماً جداً في حياة الولد ابتداء من سن السادسة. وإذا كان من الطبيعي ألا يجد تلميذ جديد في المدرسة رفاقاً له من اليوم الأول، فلا ينبغي التقليل من أهمية مشكلة الولد الذي يجد صعوبة كبيرة في الانسجام مع الآخرين. خاصة إذا علمنا أن مشكلته هذه قد تدخله في دائرة مغلقة. لأنه عندما ينعزل يرسل إلى الأولاد الآخرين صورة سلبية عن نفسه. ولكن في المقابل، الولد «المتوسّل» كثيراً، المستعد لأن يفعل أي شيء ليكسب الرفاق، ولأن ينفذ كل ما يطلب منه دون اعتراض ليُقبل في مجموعة، يمكن لهذا الولد أن يُرفض هو أيضاً.

ابتداء من صف الأول ابتدائي لا يعود الأولاد يهتمون لما في الملعب من أدوات للهو (ألواح التزحلق، والمراجيح...). فإذا كانت المدرسة تسمح بذلك، دعوه يأخذ معه، في الأيام المدرسية الأولى، لعبة من ألعابه المنزلية كيلا يشعر بثقل الوقت والوحدة في الملعب، وربما تتحلّق حوله مجموعة من الأولاد الفضوليين. دعوه يمارس نشاطات يحبها. فعندما يخبر رفاقه عنها سيجدونه مشوّقاً ومسلياً.

أما إذا طال الوقت وهو ما يزال وحيداً دون رفاق فلا تترددوا بطلب

الكلام إلى المعلمة. وربما تكشف لكم عن أسماء الأولاد الذين يعجبونه. وربما فاجأتكم بالكشف عن أن ابنكم لا يملّ بالقدر الذي يشتكي منه.

ناقشوا الأمر معه

تجنبوا طرح وابل من الأسئلة على ابنكم. فهذا كفيل بأن يزعجه جداً. ذكّروه عوضاً عن ذلك بتجربتكم: «أنا أيضاً، عندما كنت صغيراً، صادف أن كنت مرة تلميذاً جديداً في صفي. لم أكن أعرف أحداً! في البداية شعرت قليلاً بالضياع. كان عليّ أن أنتظر وقتاً طويلاً وكنت حزيناً جداً. ولكن في أحد الأيام، تغيّر الوضع».

طمئنوه قائلين: «أنا متأكدة من أن في صفّك أولاداً لطفاء وظرفاء جداً. عندما لا نعرف الناس يبدون لنا دوماً أقل لطفاً من الذين نعرفهم(وهذا ما يحصل لنا مع الجيران الجدد). لكن الأمور تستقيم مع مرور بعض الوقت...»

ذكّروه بتجربة إيجابية: «حاول أن تتذكر اليوم الذي دخلت فيه إلى صفّ الروضة أو إلى النادي الرياضي لأول مرّة. في البداية شعرت أن كل الأولاد غرباء. وبعد مرور بضعة أيام كنت قد تعلّمت كيف تتعرف إليهم».

نوّار ورفيقه الغريب الأطوار

ما إن وصل إلى الملعب المسقوف

حتى لاحظ عامر العارم.

لا يمكن لأحد ألا يلاحظ عامر الضخم الجسم.

فقد كان يتخطى بطوله كل الرفاق

كتفاه أعرض من أكتافهم

ويداه ضخمتان جداً.

وبما أن نوّار التلميذ الأصغر حجماً في الصف،
فمن السهل أن تتوقع النتيجة...
في اليوم الأول من المدرسة نظر نوّار من الصف الابتدائي الأول
إلى عامر من الصف المتوسط الثاني
نظرة ملؤها الاحترام،
وفكّر: «السنة المقبلة سأكون قد كبرت قليلاً
لكني أشكّ بأن أصبح مثله».
أما عامر المستند إلى البوابة فقد فهم معنى نظرة نوّار
فقال له: «هل أنت بخير يا صديقي؟».
فأخفض نوّار نظره.
وفي استراحة الساعة العاشرة،
أتى عامر لرؤيته وابتسامة عريضة تعلو وجهه:
«قل لي هل تريد أن تأتي وتلعب معنا؟
نحن نحتاج لمن يلعب دور الفأرة
لكي نطارده نحن الهررة.
فأنت ستظلّ دوماً فأرة صغيرة!»
وشدّ أذن نوّار وهو يضحك بصوت عالٍ جداً.
وقبل نوّار أن ينضمّ إليهم
لأنه لم يكن لديه رفاق في صفّه.
كان هو الفأرة الوحيدة
في مواجهة خمسة هررة.

في نهاية اللعبة راح الجميع
يخبطونه بأيديهم على ظهره.
«هكذا تعامل الفأرة، هذا أمر طبيعي،
ماذا تريد، فالقطط لطالما التهمت الفئران».
قال عامر هذا الكلام وراح يضحك ملء شدقيه.
وفي الأيام التالية، عندما كان عامر يرى نوّار
كان يقول له: «هيه يا صديقي، هل أنت بخير؟»
ويغمز له بطرف عينه.
أما رفاق نوّار في الصف
فكانوا كلهم مستغربين.
تعجّب أحدهم قائلاً:
«عجباً! عجباً عامر الضخم صديق نوّار!»
ومزح ولد آخر قائلاً:
- يبدوان مثل لوريل وهاردي.
كل يوم، عندما تبدأ الفسحة
يسارع عامر ليصطحب نوّار
ذلك أول ما كان يفعله عندما يقرع جرس الفسحة.
ما إن يراه حتى يحييه بضربة على كتفه
وهي في الواقع ضربة مؤلمة
تجعل نوّار يترنّح.
وفي أحد الأيام، وقع نوّار على الأرض لشدة الضربة.

تحت بنطلونه الممزق كانت ركبته تنزف قليلاً.

تغيّرت ملامحه، وتردد.

هل يجب أن يسمح لنفسه بالبكاء؟

هل أراد عامر أن يؤذيه حقاً؟

طبعاً لا، عامر صديقه.

كان يقول له: «دعنا نحيّي واحدنا الآخر كالرجال!

كالأصدقاء!

لست أنا المذنب إذا كنت خفيفاً كالريشة!»

كان نزار يعود إلى المنزل

وعلى يديه وساقيه كدمات زرقاء كبيرة.

وكانت أمه تسأله: «ما الذي جرى؟»

وكان نزار يكذب: «إنه صف الرياضة».

ولكن يوماً بعد يوم،

راحت التحية العنيفة تزداد قوة.

وفي صبيحة يوم الاثنين، أمسكه عامر من عنقه وكاد يخنقه.

وفي يوم آخر، وعلى سبيل اللعب، شدّه عامر من أذنه

فأحس نزار أنها ستقتلع!

في الأسبوع التالي قال له عامر:

«سوف نتبادل ثلاث نقاط من الدم مثلما يفعل الأصدقاء الحقيقيون».

راح قلب نزار يخفق بسرعة.

يتبادل دمه؟ ما معنى هذا؟

اعترض نزار قائلاً: «أنا لا أريد ذلك!»

انطلقت من عيني عامر السوداوين شرارات غضب.

«عندما تجمع الصداقة شخصين

يتبادلان ثلاث نقاط من الدم تسيل من ذراعيهما.

يمتزج دم الصديقين ويقولان:

أقسم ألا أكذب عليك أبداً وإلا ذهبت إلى جهنم.

حسناً يا جبان!

غداً أحضر معي سكيناً حاداً يقطع اللحم القاسي!»

تلك الليلة، على العشاء، لم يقل نزار كلمة واحدة.

سأله والده: «أخبرني يا بني، هل كل شيء على ما يرام في المدرسة؟

هل علاماتك جيدة؟»

- نعم، أجاب نزار بصوت ضعيف،

علماً أنه الأول في صفّه.

لكن نزار كان يعاني من مشكلة.

مشكلة تدعى عامر.

إنه رفيق غريب الأطوار يطلب منه أشياء مستحيلة.

أراد نزار أن يسأل والده

ما إذا كان قد تبادل ثلاث نقاط من الدم مع صديقه المفضّل.

لكنه لم يجرؤ.

وقال في نفسه، «لعلّ تلك هي أصول الصداقة مع ولد من الصف المتوسط الثاني!»

لم يكن يريد أن يخسر صديقه عامر.

لكنه لم يكن يرغب كذلك في أن يدمي ذراعه!

تلك الليلة لم يستطع نوّار أن يغفو بسرعة.

وأثناء الليل ارتفعت حرارته وراحت أسنانه تصطك.

ورأى كابوساً قطعت فيه ذراعه.

فاستفاق مرتعباً.

في اليوم التالي لم يحضر عامر معه سكيناً.

قال له: «كنت أمزح معك، أيها الفأر الصغير!»

لكنه استمر يأتي إلى نوّار

ويحييه بضربة قوية على كتفه

ويضحك وهو ينظر مباشرة إلى عينيه.

وفي اليوم الذي راح عامر يسدد لكمات

على طول ظهر نوّار

تنبهت المعلمة التي كانت تراقب الأولاد في الملعب

واتسعت عيناها وهي تنظر إلى عامر.

- ماذا يحصل يا عامر؟ هل تزعج تلاميذ الابتدائي الصغار؟

واصطحبت عامر بعيداً من هناك.

عامر المتبجح الذي بدا فجأة وكأنه يريد أن يختفي في وكر فأرة.

بعدئذٍ عادت المعلمة إلى نوّار.

- يجب ألا تسمح أبداً بأن يضايقك شخص أكبر سناً منك.. أسمعت؟ أبداً.

- إنه رفيقي! لم يكن يضايقني! أجاب نوّار.

- لا. الرفيق الذي يخيفك ليس رفيقاً حقيقياً. الرفيق الذي يضايقك ليس رفيقاً حقيقياً. لا يحق لأحد بأن يلمسك أو يدفعك.

في تلك الليلة، اندس نوّار جيداً تحت لحافه وكاد يغفو.

دخلت أمه ووضعت يدها على جبينه بصمت.

كما في الأيام التي يكون فيها محموماً.

وبينما هو يستسلم للنوم همست له في أذنه:

«يحق لك أن تحتفظ بأسرار.

لكن ليست تلك التي تؤلمك.

الأسرار المؤلمة تشبه المسامير الصغيرة.

تريد تلك المسامير أن تخرج

لكنها تنغرس فيك أكثر فتؤلمك.

عندما تشعر بتلك المسامير في قلبك

عليك أن تخبرني عنها».

علم نوّار لاحقاً أن أهل عامر

لم يكونا لطيفين معه.

كانا يضربانه ويدفعانه.

علم نوّار أن والد عامر

لا بد أن يكون ضخم الجسم

حتى يستطيع أن يضرب ولداً ضخماً مثل عامر.

وقد شرحت له أمه:

«في معظم الأحيان، حين يعيش المرء تجارب معينة

يميل أن يفعل الشيء نفسه بالآخرين».

فكّر نزار أن الحياة غريبة حقاً.

أب يتصرف مثل شخص شرير

وعامر يتصرف مثل أبيه.

تلك الليلة نام نزار بسرعة.

ما قصة العنف في المدرسة

شجارات، إهانات، احتيال وسرقة... يبدو أن العنف حاضر جداً في المدارس. وغالباً ما تسود شريعة الغاب في الملعب. والأولاد الصغار السن الذين لم يواجهوا بعد مثل هذه المشكلة لا يعرفون ما عليهم أن يسمحوا به. خاصة وأن إساءة المعاملة البسيطة هذه تتمّ كما لو أنها شيء طبيعي، وتتأرجح ما بين إظهار العطف وسوء النيّة.

في أحد صفوف الأول ابتدائي كان طفل في الخامسة من عمره يتعرّض بشكل منتظم لمضايقة ولد أكبر وأضخم منه. كان هذا الأخير يوجّه له ضربة صغيرة «لطيفة»، أو يحضنه ويقبله بقوة حتى يكاد يخنقه... علمت أمّه لاحقاً أن الولد الكبير الضخم كان يسيء معاملة أولاد آخرين أيضاً. لم يكتشف أحد ما كان يفعله لأنه كان يستخدم سحره وعاطفته المزيفة لتبرير أفعاله. كان

ينقضّ على الأولاد الأصغر منه سناً وحجماً ليقبلهم، فيعصرهم عصراً بين ذراعيه وفي الوقت عينه يضايقهم ولكن بلطف. فوجئت الأم كثيراً: فكيف يعقل أن يكون صبياً محباً بهذا القدر مصدر رعب للأولاد؟ الحدود ما بين اللعب وسوء المعاملة تكون أحياناً متداخلة وواهية...

ابني يتعرّض للإساءة

حين يتعرض الولد للإساءة يتغيّر سلوكه عموماً. ترونه ينغلق على نفسه، ويبكي قبل الذهاب إلى المدرسة، ويصبح عدوانياً... في هذه الحالة، لا تستخفّوا بالوضع. حاولوا أن تثيروا معه الموضوع أثناء الحديث عن أشياء أخرى. فكّروا أيضاً بالسبب الذي جعل ابنكم يتعرّض لهذا الموقف. الأولاد الذين يكونون غالباً كبش محرقة والأولاد المرفوضين من رفاقهم غالباً ما يكونون كذلك لأسباب محددة. هل ابنكم يخاف جداً أم أنه عدواني جداً ليثير مثل هذا السلوك لدى الآخرين؟ فهذه الظاهرة لا تحدث صدفة. ولكن تجنّبوا أن تقولوا له إنه جبان وإن عليه أن يدافع عن نفسه. على العكس من ذلك، يحتاج ابنكم لأن تعيدوا له ثقته بنفسه. ولا تدخّلوا شخصياً لمواجهة الولد الذي يضايقه، فهذا سيؤكد له رأيه بنفسه كشخص ناقص أو ضعيف: «أحد عوامل الحل الهامة هو أن نقوّيه نفسياً وجسدياً، فالشخص الخجول والخائف يشجّع الآخرين على أذيته، وهذه الظاهرة مشتركة بين البشر والعديد من الحيوانات»، على ما تؤكده فرانسواز دولتو.

وأخيراً، كلموا في هذا الأمر الأشخاص الذين يحيطون بالولد أثناء النهار(معلمته، الناظرة، المسؤول عن مطعم المدرسة...). إذا كان يذهب وحده إلى المدرسة، ابدأوا باصطحابه بأنفسكم مجدداً. سيشعر بالدعم، وربما يقتنع المعتدون الصغار بعدم محاولة مضايقته لمجرد رؤيتكم معه.

ناقشوا الأمر معه

«الصداقة التي تجمع بين نوّار وعامر معقّدة جداً. فنوّار لا يعرف بالتحديد ما إذا كان عامر صديقه أم عدوّه. وأنت ماذا تعتقد؟ هل واجهت مواقفاً كهذا من قبل؟ هل في مدرستك أولاد كبار يستولون على أغراض أولاد أصغر منهم سناً، يأخذون طعامهم مثلاً؟ إذا حصل شيء كهذا فاعلم أن هذا الوضع ليس طبيعياً. لا أحد مجبر على القبول بمثل هذه المعاملة، وينبغي عدم السكوت عن الأمر.

جسدك ملكك أنت وليس لأي شخص آخر. والرفيق الذي يعاملك بطريقة سيئة ليس صديقاً حقيقياً. لا يمكن بناء صداقة على هذا الأساس. لا يحق لشخص أكبر منك أن يؤذيك، حتى لو كان شخصاً ناضجاً. فقد يحدث أحياناً، ولو في حالات نادرة، أن يؤذي شخص ناضج طفلاً صغيراً، يحضنه بقوة ويؤلمه، أو يضربه أو حتى يلمس جسمه بطريقة غير لائقة. الكبار الذين يؤذون الصغار يعاقبهم القانون، وأحياناً يدخلون السجن. ويمكن أن يعاقب الأولاد أيضاً إذا أساؤوا التصرّف.

هنالك دوماً سبب للعنف. فعامر يتعرض هو أيضاً لسوء معاملة الأولاد الأكبر منه. لذلك يقول في نفسه: «ولم لا افعل ذلك انا ايضاً؟». أحياناً نكرر تصرفات شريرة دون قصد، وإذا كان عامر شرّيراً فهذا ليس ذنبه، هو أيضاً ضحيّة. لكن هذا لا يعني أن علينا قبول تصرفاته. في كل الأحوال علينا أن نرفض العنف أو نخبر شخصاً ناضجاً اننا نتعرّض للعنف».

ابني هو المعتدي

يمضي وقته بالشجار والقتال، وأنت تجدين نفسك في مواجهة نظرات غاضبة وأمهات يردّدن بحنق: «ابنك ضرب ابني مرة أخرى في الملعب»، أو «أرجوك، راقبي ابنك»، كما لو كنت أنت المذنبة...

لا ترتعبي بل حلّلي الوضع. تذكري أولاً أن أي سلوك غاضب وعدائي يكشف عن شعور بالانزعاج. ما الذي يخفيه ابنك خلف سلوكه الشرس؟ قد يكون منزعجاً من شيء ما حالياً؟ غالباً ما يحدث ذلك عندما يتشاجر الاهل، أو حين يشعر الولد بأن والديه قد ينفصلان أو يتطلقان، وكذلك عندما يشعر بأنك قلقة أو أن والده قلق، إلخ. أو ربما تعرّض هو للإهانة، أو الرفض، أو سوء المعاملة. يجب أن تحاولي تحليل الوضع، وبخاصة أن تتكلمي معه في الموضوع.

هذا السلوك قد يفضح أيضاً غياب الحوار. حاولي أن تجعلي والده يتدخّل. سوف يضع له حدوداً ويذكّره ببعض القيم كالاستقامة، وأصول الرفقة والصداقة. وإذا رأيت أن الحوار قد انقطع مع الولد، تكلّمي عند الحاجة إلى طبيبه إذا كان يهتمّ بالمشاكل النفسية لدى الأطفال الذين يزورونه، أو استشيري طبيباً نفسياً. أحياناً تكفي جلسة واحدة لحلّ المشكلة.

الولد الذي أراد أن يكون شيئاً آخر

كان جهاد في السادسة من عمره، له شعر أسود وخشن،
رانيا في الحادية عشرة من عمرها، وسنّ ناقصة
ما يجعله يلفظ الحروف بشكل مضحك.
كل هذا عادي جداً.
في أول يوم دراسي
التقى جهاد بسامي.
كان شعر سامي مجعداً وعيناه رفيعتين جداً
ويرتدي كنزة عليها ديناصور أزرق.

سأله جهاد: «أتريد أن نكون أصدقاء؟».

هز سامي كتفيه وأجابه: «كما تريد».

هكذا بدأت صداقتهما.

كان سامي أكبر من جهاد بقليل

يستطيع العد حتى مئة ألف

يرسم رجالاً آليين لهم هوائيات عملاقة

ويعرف حلول كل الأحاجي.

لكن أكثر ما يبرع به هو لعبة كرة القدم.

لا أحد يتفوق عليه في تسديد الأهداف

ويتقن ترقيص الكرة مثل بطل حقيقي.

عندما يقبض على الكرة بين قدميه

لا أحد يستطيع أن يأخذها منه.

لذلك كان الجميع يريدون

أن يكون سامي ضمن فريقهم.

فبوجوده يضمنون الربح.

كان جهاد فخوراً بصديقه.

بعد كل مباراة يتجه نحوه ويعطيه

حبات البونبون التي أعطته إياها أمه

وهي على شكل زجاجات كولا.

بعد ظهر أحد الأيام، دعى سامي جهاد إلى منزله.

رأى في غرفته عشرة رجال آليين بأحجام مختلفة،

وتلفازاً صغيراً وحاسوباً خاصاً به!

شاهدا معاً فيلم زورو

وهما يأكلان مثلجات بطعم الليمون الحامض.

راح جهاد يفكّر بغرفته الصغيرة التي يتقاسمها مع أخته الكبرى،

والتي تنتشر في أنحائها الكتب والأوراق،

وقطع قديمة من المعجون الملوّن وأقلام تلوين جافة.

فكّر أيضاً بأخته الصغرى جيجي

التي تصدر ضجيجاً أعلى من صوت التلفزيون

مع أن عمرها لم يتعدّ ثلاثة أسابيع.

في منزله، غالباً ما تغضب أمه إذا أثاروا ضجّة.

تقول: «كلما ضاق بنا المكان، تشاجرنا أكثر.

سيتحسن الوضع عندما ننتقل إلى منزل جديد».

لكنهم لم ينتقلوا إلى منزل جديد.

فكّر جهاد: «في منزلي، ليس لديّ مساحة كافية

لذلك لا أعرف أن ألعب بكرة القدم

ولا أن أرسم رجالاً آليين لهم هوائيات ضخمة مثلما يفعل سامي».

عندما ترك سامي في تلك الليلة

عاد جهاد إلى منزله

وفي داخله سخط كبير.

كانت أمه قد حضّرت للعشاء طبق قنبيط بالفرن.

فاحت رائحة القنبيط حتى أسفل السلالم

فقال جهاد: «القنبيط مقرف جداً».
ورأى على الأرض مصّاصة أخته الصغيرة
فوجه لها ركلة عنيفة وصرخ:
«هذا المكان ضيق جداً! أنا أكرهه!».
فاستحق صفعتين.
وزاد صراخه: «أريد أن أشاهد التلفزيون».
راح يقفز في مكانه وارتمى على الأرض فقالت له أمه:
«اذهب إلى غرفتك واهدأ».
نعم، ولكن جهاد لم يستطع أن يهدأ!
للمرة الأولى في حياته
راح يتساءل لماذا كان هو وليس شخصاً آخر،
لماذا هو جهاد؟ ولماذا سامي هو سامي؟
لماذا ولد في هذه العائلة؟
ولماذا لديه أم تحضّر طبق القنبيط بالفرن
وليس صينية لحم في الفرن مثلاً؟
كل تلك الأسئلة كانت تشكل في رأس جهاد
غيمة سوداء كبيرة.
في المدرسة، لم يعد يفكّر جيداً.
عندما كانت المعلّمة تطرح سؤالاً
كان ينظر خلسة إلى صديقه
ويجيب تماماً مثل سامي، لا أكثر ولا أقلّ.

حتى أنه راح يرسم كما يفعل سامي
رجالاً آليين لهم أذرعة قصيرة وهزيلة
وأقداماً كبيرة مسطّحة.
كان يرى أنهم الرجال الآليون الأجمل في العالم.
أما المعلمة فكانت تعبس وتقول له:
«ارسم ما تشعر به يا جهاد
لا فائدة من تقليد الآخرين!
أين باقات الزهر الجميلة التي كنت ترسمها
وتشبه لوحات الرسام سيزان؟».
لكن جهاد لم يعد يعرف كيف يرسمها.
راح يرتجف كالورقة.
في الصباح، كان يلبس جاربيه بالمقلوب.
باختصار كان يتصرف دون تفكير.
وبعد ظهر أحد الأيام، تبادل جهاد وسامي كنزتيهما.
ارتدى جهاد الكنزة التي رسم عليها الديناصور الأزرق،
وسامي قميص الركبي المخطط باللونين الأصفر والأخضر.
لقد خلع كل منهما قميصه في الحمام قبل أن يعودا إلى المنزل.
راحت نينا، أخته الكبرى، تضحك ساخرة منهما:
«آه، إنه مغروم! إنه مغروم! وحدهم العشاق يتبادلون الثياب.
هل سامي خطيبتك؟».
ردّ جهاد: «الشقيقات الكبيرات غبيات، بل غبيات جداً».

اسمع بقية القصة.

مرّت الأيام، وأصبح جهاد يشبه سامي إلى حدّ بعيد.

شعره الخشن أصبح بنياً مجعداً،

وتلوّنت عيناه بلون عيني سامي العسليتين،

وراح يمشي متمايلاً مثله.

وفي عصر أحد الأيام أخطأت مربية سامي

واصطحبت معها جهاد إلى البيت.

سألها جهاد وهو يدعو السماء لكي لا يكون الطعام قنبيطاً:

«ماذا نأكل الليلة؟»

أجابته:

- نقانق وبطاطا مهروسة.

وتنهدت (لأنها من النوع الذي يتنهد كثيراً).

شاهد جهاد فيلم زورو ثلاث مرات،

لعب بالقلعة، وفكّ أحد الرجال الآليين

لكثرة ما أحس بالوحدة.

جلس على الأريكة، على السرير، على الكرسي الدوّار أمام مكتب سامي

وتمدد أرضاً على السجادة.

ولكن الغريب أنه لم يعد يعرف أين يجلس.

المكان كبير جداً.. وصامت جداً!

راح يفكّر: «لست معتاداً على هذا.

ربما يلزمني بعض الوقت لأصبح تماماً مثل سامي».

ولكن كلما اقترب من حياة سامي

كلما وجد فراغاً وصمتاً ثقيلين.

منزل سامي من دون وجود سامي فيه لا معنى له أبداً.

إنه منزل كبير لكنه فارغ.

مربيته تتنهد ولا تقول شيئاً.

صحيح أن رائحة القنبيط لا تفوح في البيت

لكن البيت لا تعبق فيه أي رائحة أخرى.

مع مرور الوقت راح إحساس غريب يتعاظم في داخله.

أخذ يفكر بمنزله، بالضجيج الذي تثيره نينا وأخته الصغيرة جيجي

ظلّ يفكّر ويفكّر بتلك الأشياء

حتى عاد شعره خشناً مثل كومة قش.

اشتاق لسماع نكات أخته نينا

وشمّ رائحة الشقة، حتى رائحة رضّاعات جيجي.

وراح جهاد يتمنى أن يعود إلى حقيقته.

انتعل حذاءه الرياضي، وفتح الباب وخرج.

رأته المربية يخرج ففركت عينيها:

«آه، أنت هنا يا جهاد؟ لكني لم أرك تدخل!»

هرب جهاد بأقصى سرعة إلى منزله قبل أن تكتشف المربية أمره.

عندما وصل إلى أسفل الدرج سمع ضحكات طفلة.

إنها جيجي، أخته الصغيرة!

راح قلبه يخفق بسرعة.

أحاط أمه بذراعيه وراح يشد عليها بقوة.

في اليوم التالي، عندما ذهب إلى المدرسة،

عاد جهاد يرسم أزهار الأقحوان

التي تشبه رسوم لوحات الرسام سيزان.

وعاد أيضاً يلثغ بسبب سنّه الناقصة.

غمز لسامي بطرف عينه، وصافحه بحرارة.

كان يرغب بأن يقول له أشياء كثيرة.

«أنت سامي، وأنا جهاد.

أنت صديقي المفضّل، وهذا كل شيء،

ليتك تعلم كم أنا سعيد لأنني كما أنا!

ما قصة الصديق المفضّل

ما بين سن السادسة والتاسعة، يبدأ الأولاد بالانفتاح على المجتمع. يكفّ الولد عن التعلّق حصرياً بعائلته، ويتعلّق بمجموعة رفاق صغيرة. في هذه المرحلة قد يظهر «الصديق المفضّل»، ويكتسب أهمية كبرى لأنه مرآة وقطب يجعل الأحاسيس تتبلور، مثل الاعجاب والاحترام.

دوره

طرح علماء اجتماع السؤال التالي على تلاميذ في الصفين الابتدائي الاول والثاني: ما معنى صديق؟ فأجابوا أن الصديق هو شخص نثق به (96٪ من الصبيان، و90٪ من البنات)، ولا يفشي الأسرار (84٪ من الصبيان،

و76٪ من البنات)، شخص نلعب معه (66٪ من الصبيان، 63٪ من البنات) وهو أيضاً «الاقوى» وشخص نحاول «أن نشبهه». الصديق المفضّل يمثّل بالنسبة للولد مساعداً رائعاً على مواجهة العالم الخارجي (مثلاً في النادي الرياضي أو اثناء العطلة)، كما يساعده على تحمّل المشاكل العائلية (انفصال، طلاق). لهذا السبب يلتصق الولد به.

في بعض الأحيان قد يتعلق الولد بصديقه إلى حدّ يجعله يقلّد صديقه فيفعل ما يفعله، ويلبس ما يلبسه، وينتعل الحذاء ذاته. يملك الصديقان الاكسسوارات نفسها والالعاب نفسها... لا داعي طبعاً للقلق من هذا الوضع. يمكنكم بالطبع أن تحللوا الموقف، وتتساءلوا لماذا يحتاج الولد في هذا الوقت بالذات إلى أن يرى نفسه في حياة ولد آخر. هل السبب هو ولادة أخ أو أخت جديدة له أم شعور متفاقم بالوحدة؟

ناقشوا الأمر معه

«عندما تكون افكارنا مضطربة، عندما نشعر ببعض الحزن نتمنى أن نكون شخصاً آخر. هل اختبرت مثل هذا الشعور من قبل؟

إذا نظرنا من بعيد إلى بعض العائلات أو بعض المنازل فقد نحسدها. ولكن عندما نتقرّب منها اكثر. حين نبدأ بزيارة ذلك الرفيق، نكتشف أن حياته في تلك العائلة أو ذلك المنزل ليست مثالية كما بدت لنا للوهلة الأولى».

فادي مغروم

ثمة قصة يتناقلها الجميع اليوم في المدرسة.

عندما دخل الأولاد الصف،

كانت المعلّمة تمسك فتاة صغيرة

لها ضفيرتان معقودتان بشريطين ورديين.

قالت المعلمة: «أقدم لكم لين.

انتقلت لين حديثاً إلى حيّنا.

أتمنى أن تتصرفوا كلكم بلطف معها».

ثم أشارت إلى المقعد الفارغ قرب فادي وقالت:

«لين، اجلسي قرب فادي».

أخفض فادي نظره وقال في نفسه:

«هذا ما يحصل دائماً. تختارني أنا دائماً. هذا ليس عدلاً».

ومن خلفه همس له هادي:

«تختارك أنت دائماً! هذا ليس عدلاً».

فابتسم فادي

لأن لين كانت جميلة

بضفيرتيها الطويلتين وعقدتيها الورديتين الصغيرتين

وعينيها السوداوين الغريبتين.

فسواد عينيها داكن جداً إلى حد أنك

حين تنظر إليهما لا تعود تعرف أين أنت.

راح فادي ينقر الطاولة بمحاته التي على شكل باتمان،

ويلعب بقلمه الذي رأسه رأس زورو،

وأراها مبراته التي تشبه الأكورديون.

لم يصغِ جيداً لشرح درس الحساب،

وأثناء الاستراحة بقي مع لين،

جلس قربها، من دون أن يتفوّه بكلمة

حتى لا يسخر منه أحد.

لم يذهب فادي للعب كرة القدم.

كان ينظر إلى لين التي كانت تحدّق بحذائها.

اقتربت منه المعلمة وابتسامة كبيرة تعلو وجهها

وقالت له بشيء من السخرية: «تستطيع إن أردت أن تذهب للعب

يا فادي.

أنت تعلم أن لين كبيرة ما فيه الكفاية

لتدبّر أمرها وحدها!

يجب أن تجد لها أصدقاء».

«حسناً» غمغم فادي وهو يفكر:

«دعيني وشأني!

ماذا لو كنت أريد أن أبقى هنا

من دون أن أقول كلمة

أو أقوم بحركة؟»

في اليوم التالي، حين حضر فادي إلى المدرسة

كانت لين واقفة مع أسامة

كان أسامة يحدّث لين

ولين تبتسم لأسامة!

شعر فادي بدمه يغلي في عروقه

لمح على الأرض مبراة قديمة

لم ترتكب أي ذنب
فوجّه إليها ركلة قوية.
«لين لي أنا. إنها لي.
ولن أعيرها لأحد. إنها ملكي!»
ثم راح فادي يحلل،
«أنا أصغر ولد في الصف.
ربما لا تحب لين سوى الكبار مثل أسامة؟
آآآآآآآه! ليتني أستطيع أن أكبر قليلاً فقط...»
وشعر فادي بتعاسة شديدة شديدة.
عندما دخلت الصف، اتجهت لين
إلى مقعدها قرب فادي،
ابتسمت له وأضاءت عيناها
عيناها السوداوان اللتان تنسيانك كل شيء،
وطال النسيان،
نصف دقيقة تقريباً.
عندئذ تأكد فادي أنه مغرم فعلاً.
لديه الآن الحبيبة.
إنها المرة الأولى. وستبقى حبيبته طول العمر!
«عندما نكبر سنتزوج أنا ولين.
سأرتدي أنا بذة رسمية وهي ستلبس فستاناً
أبيض كالثلج، مزيّناً بمئة ألف زهرة.

سندعو المعلمة إلى عرسنا
وعندما تدير وجهها
سنقبّل واحدنا الآخر قبلات صغيرة.

ما قصة الغرام؟

ابتداءً من سن الرابعة أو الخامسة، وربما قبل ذلك، تولد بين ولدين مشاعر رقيقة. وأحياناً قد تكون تلك المشاعر قوية جداً كحب من النظرة الأولى! وتترافق مشاعر الحب الطفولي هذه بأحلام الزواج (خاصة لدى الفتيات) والتخطيط للمستقبل.

ما العمل؟

يؤكد الإخصائي الإيطالي في علم النفس الاجتماعي فرنشيسكو ألبيروني في كتابه «الحب الأول»، أن معظم الأولاد ما بين الخامسة والسادسة يكونون قد عرفوا مشاعر حب رقيقة. في حين أن «الكبار» (ما بين 9 - 10 سنوات تقريباً) يجيبون، بنسبة 77٪ من الصبيان و82٪ من البنات، أنهم قد وقعوا في الحب من قبل. أحياناً لا يجرؤ الولد على الاعتراف بشعوره فيأتي رد فعله معاكساً. إذ يظهر انزعاجاً عندما يذكر أحدهم الشخص الذي يحبه، أو يعلن أنه يكره الشخص الذي يعجبه في الحقيقة!

المهم هو ألا تعطوا الأمر أهمية مبالغاً فيها! نحن نرى أحياناً بعض الناضجين يركزون بشكل مفرط على غراميات أولادهم فيتكلمون بلهجة نصفها سخرية ونصفها الآخر جدّ. من المؤكد أنهم يجنون فوائد جانبية!

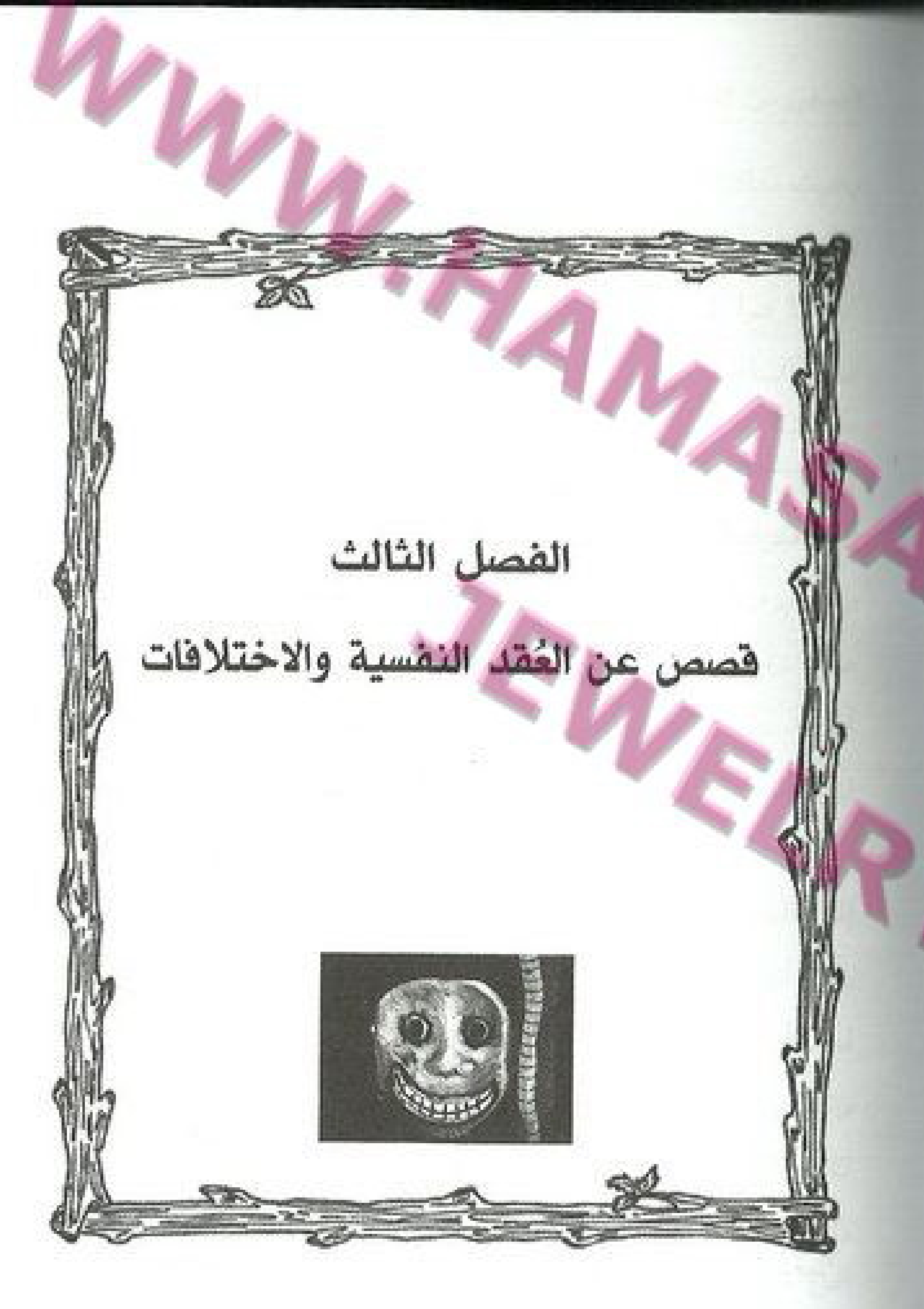
لا تستخفوا بالأمر أيضاً. فالأولاد الذين لا يتمتعون بروح مرحة جداً أو بالقدرة على الاستهزاء بأنفسهم، لا يتحمّلون «السخرية». فنحن نتصرف كالأولاد أو كاهل يؤذون أولادهم،عندما نسأله: «أنت؟ هل لديك حبيبة؟

هيا قل لي! آه، انت تحمرّ، هذا صحيح إذاً». في عمر الخامسة أو السادسة يحقّ للولد أن يحتفظ بأسراره.

ناقشوا الأمر معه

«من الطبيعي أن نحب، هذا يحدث للجميع ويثبت اننا أصبحنا كباراً. أحياناً يمكن أن يحزننا الحب كثيراً إذا كنّا غير واثقين من أن الشخص الذي نحبه يبادلنا الحب، أو إذا كان من نحبه معجباً بشخص آخر. هذا ما يسمى «نكسة عاطفية» وهي تحصل للعديد من الناس.

عندما تكون قصص الحب جميلة فمن الممتع جداً أن نعيشها. نرغب بأن نبقى إلى الأبد مع الشخص الذي نحبه، وبأن نسعده، ونتصرّف بلطف معه... وأن يدوم ذلك العمر كله!»



الفصل الثالث

قصص عن العُقد النفسية والاختلافات

الساحرة الصغيرة ونظّارتها السحرية

الساحرات فتيات صغيرات كغيرهن،

صدّق أو لا تصدّق.

وهن لسن دوماً بصحة جيدة

ولا يثرثرن دوماً ساخرات من الآخرين

أو يخفن الناس

أو يجعلن الأميرات الجميلات ينمن.

قد يصبن أحياناً بالرشح أو التهاب الأذنين، أو يعانين بسبب الحذاء الجديد من ألم في القدمين أو يشعرن بألم في البطن من كثرة ما أكلن من حلويات وكريمة.

بعضهن خجولات جداً وأخريات يقضمن أظافرهن أو يشعرن بدوار حين يطرن على مكانسهن.

لكن كتب الحكايات لا تتحدث عن هؤلاء الساحرات اللواتي يبقين في المنازل مختبئات.

عرفت واحدة قصيرة النظر

بحيث تكاد تكون عمياء

فلا ترى أبعد من إصبعها.

كل ما حولها مشوّش وكأنها تسير في الضباب.

هذه الساحرة الصغيرة، وبسبب رؤيتها القصيرة، تعرضت على مكنستها لحوادث كثيرة.

في أحد الأيام، أثناء عاصفة هوجاء، اندفعت نحو صاعقة وعادت إلى منزلها سوداء قاتمة.

وفي يوم آخر، لم تحسن الحطّ بمكنستها فوقعت في وسط صفها على رأس معلمتها!

أخيراً، حصل أنها دخلت ذات مرة

في قلب الإعصار مباشرة

بينما كانت صديقاتها الساحرات

إلى الطرف الآخر من العالم هاربات.

وبما أنها لا ترى بوضوح

لم تكن تحسن قراءة كتاب السحر الكبير

وتلقي أحياناً سحراً غريباً عجيباً.

لقد حوّلت هرّها الأمين إلى مقعد برتقالي.

وأهدت أختها في عيد ميلادها باقة أشواك ظنتها ورود فحولتها إلى حشرة بحجم البعوض.

وفي عيد الأب، أهدت أباها زجاجة شراب سحري فتحوّل على الفور إلى ضفدع!

واضطرت أمها سريعاً لتحضير ثريا، بعيده إلى ما كان عليه قبل أن يدوسه أحد على الطريق.

قالت لها أمها: «هذا الوضع لا يحتمل. سآخذك إلى الطبيب ليعطيك نظّارة جميلة».

- لا أريد!

وراحت الساحرة الصغيرة تبكي ومن الخوف على جمالها تشكي.

- سيسخرون مني في المدرسة.

فما من ساحرة في الكون تضع نظارة

ولا حتى الساحرة نعناعة ولا ساحرة «بياض الثلج» الشريرة التي كانت قبيحة لكن نظرها كنظر النسر ولا حتى عرابة «الجميلة النائمة» الفظيعة.

هؤلاء الساحرات كنّ شريرات لكن عيونهن قوية».

أجابتها أمها قائلة:

- وإن يكن؟ فهؤلاء الساحرات عانين الكثير، فساحرة بياض الثلج العجوز تعاني من التواء كبير في ظهرها؛ وأنف الساحرة نعناعة أحمر وسمعها ثقيل.

أما أنت فمحظوظة، ستحصلين على أجمل نظّارة وسيحسدك الكل! وستصبحين الأكثر براعة بين الساحرات».

اختارت الساحرة الصغيرة نظارة جميلة صفراء من دائرتين كأنهما شمسين وراحت تشعر الآن وكأن على وجهها نوراً.

واكتشفت من جديد العالم والمحيط.

وبما أنها كانت قصيرة النظر، لم تر يوماً عيني هرها الأسود

تلمعان وابتسامة أمها تسطع على الأكوان كما لم تر أباها يفتل الشاربين.

ومن على مكنستها، ومن بعد آلاف الكيلومترات عن الأرض، كانت ترى كل التفاصيل:

الأولاد الذين يتعلمون في الصفوف وهم يحلمون بالتحليق كالطيور، والمعلمة التي تفكّر بخطيبها العزيز وهي تقرأ الإملاء للتلاميذ، إلى الرجل العجوز الحزين لأنه فقد هرّه الصغير.

وكانت الساحرة الصغيرة ترى ما لا يراه الآخرون!

حتى لتظن أنها نظارة سحرية...

كم كان العالم يبدو لها جميلاً!

تعلّمت بفضل هذه النظارة أن تمارس السحر بمهارة.

فأعادت الهر الصغير إلى السيد العجوز وحوّلت الدموع إلى ابتسامات والحصى إلى حلويات والمعلمات إلى جنيّات لطيفات والضفادع طبعاً إلى أمراء وسيمين.

وحصلت على علامة «ممتازة» في الامتحانات.

وشعرت صديقاتها بغيرة شديدة.

وقيل: «إنّ نظّارتها سحرية.

نظّارة جنية!».

فالساحرات الصغيرات ليس لهن سوى حلم واحد: التحوّل إلى جنيّات طيبات.

حينذاك، كانت رفيقاتها كلهن يطلبن من أمهاتهن:

«اشتري لي نظّارة! فأنا لا أرى شيئاً!».

وكانت الساحرة الصغيرة تضحك في سرّها

لأنها كانت تعلم جيداً أنها لم تتغيّر إلى هذا الحد.

لا، لم تتحوّل إلى جنيّة طيّبة بعد!

لكن، ربما مع هذه النظارة، ظهرت أخيراً حقيقتها: ساحرة صغيرة تفهم كل ما حولها وترى التفاصيل كلها بعين صقر حقيقيّة!

ويا له من عالم جميل!

أحياناً، كانت الساحرة الصغيرة تنزع النظارة المستديرة.

كانت تنزعها عندما ترغب في الابتعاد عن العالم في الاستراحة والبقاء في الضباب فلا ترى أو تفهم كل ما حولها.

وعندما ترغب في أن تصبح أفضل الساحرات وأن تتعلم في المدرسة وأن تتدرّب على ألاعيب سحرية جديدة،

على ألاعيب لطيفة فقط،

كانت تضع نظّارتها السحرية.

ولم تعد تحطّ أبداً على رؤوس المدرّسات.

أميرة الصغيرة

كان اسمها أميرة

لكنهم ينادونها أميرة الصغيرة

ولمَ الصغيرة؟

لأنها حين تقول إنّ عمرها سبع سنوات، كان الكل يسخر منها.

ويقولون لها: «سبعة أعوام، أنت؟

أتسخرين منا؟

أربع أو خمس سنوات، صح؟»

لطالما كانت أميرة هي الأصغر

في المدرسة، في عائلتها وفي حفلات الأولاد،

في المتاحف وفي المترو وفي الباص.

في كل مكان، كل مكان، كل مكان!

كانوا يدعونها «برغوثتي» أو «بسبوسة»

أو حتى «نحولة»، و«عصفورة»، و«فجولة»

وكانت تتذمر وتقول: «لمَ لا يدعونني أيضاً

بنملتي وعنكبوتتي أو حتى سمكتي؟»

ليأتيها الجواب: «لا تغضبي يا عصفورة!

فكل ما هو صغير جميل يا أمورة!»

كان للكل تعليق

على حجمها الصغير.

عندما تذهب إلى الفرن،

كانت البائعة تقول:

«انظروا، رغيف الخبز أكبر منها!»

ليضحك كل من في المتجر.

وعندما تعود من المدرسة، كانت تسمع تعليقات:

«آه، آه، هذه حقيبة أكبر من حاملتها»

وعندما يحل فصل الصيف، كانوا يقولون لها:

«لا تسبحي فستغرقين في كوب ماء!».

وعندما يأتي فصل الربيع، كانت تسمعهم يقولون:

«أين أميرة؟

- إنها مختبئة في برعم ورد!

وعندما يحل الخريف، كان الكل ينصحها بألاّ تحمل مظلّة لئلا تطير كتلك المربية في الفيلم «ميري بوبنز»!

آه، آه، آه! كم كانت التعليقات مسلية!

وكان الكل يضحك إلاّ أميرة.

كانت أميرة تعتقد أنّ حياة الصغار مليئة بالصعاب.

في المدرسة، من يجلس دوماً في الصف الأول؟

أميرة!

وفي صورة الصف الجماعية، لم يختلف الحال.

فها هي أمام الآخرين، وفي أول الأولين لكي يلاحظها الآخرون قليلاً.

ولكي تأخذ ملابسها، عليها أن تصعد إلى أعلى السلم الصغير.

ملابسها؟ فلنتحدث عنها.

كانت تغرق فيها.

فهي طويلة جداً وواسعة جداً.

وكان لا بد دوماً من لفّها بدبابيس تخزها.

في الطول والعرض والوسط.

حوايش، حوايش وحواش!

لكن المصيبة الكبرى هي الحساء الذي يُقال إنه يجعل الفتاة تكبر.

كانت أميرة تشرب منه أطناناً وأطنان!

حساء الكراث والجزر،

مرق القرع والبروكولي، ومرق الدجاج...

وكانت أميرة تود في بعض الأحيان لو تختفي في جحر الفئران.

«لم لست فأرة؟»، سؤال طرحته مراراً.

كنت لأختفي في الظلام،

وأسد أذني عن الكلام.

لم أختر أن أكون صغيرة!

ولو استطعت، لاخترت أن أكون كبيرة!

طويلة كالزرافة!

فالطويل والبدين

لا يتعرضان لهذا القدر من التعليق...»

وفي يوم من الأيام، كانت الرياح عاصفة

وأميرة من المدرسة عائدة

على ظهرها حقيبة.

كانت تسير بخطى حثيثة

خوفاً من أن تطير!

وفجأة، سمعت في أذنها ضحكة ندية

«مرحباً أميرة. هذه أنا الريح.

هل تريدين أن تصبحي كبيرة، كبيرة، كبيرة؟

هل تريدينني أن أحملك في رحلة، إلى الأعلى؟

أنت الخفيفة، الخفيفة كالنسيم».

وافقت أميرة، وارتفعت في السماء، إلى الأعلى!

كل ما رأته بدا صغيراً من الأعلى.

بدا العالم الكبير كحبة حمص صغيرة.

عالم لا يستحق أن تقصر أو أن تضيق لأجله ملابسها!

بدت المدرسة كجحر فأرة.

والمعلمة صغيرة أشبه بإبرة.

وتابعت أميرة نزهتها،

حتى أنزلتها الريح!

بنعومة ورفق على فراش من غيوم.

«إلى اللقاء يا أميرة. هذا ما قالته الريح

وهي تطبع قبلة على عنقها.

سأعود لأحملك

لنزهات أخرى».

وفي نهاية الحكاية

كنت أود لو أقول

إن أميرة كبرت فجأة.

لكن هذا غير صحيح.

فحجم أميرة بقي صغيراً ووزنها خفيفاً.

وقد دارت حول العالم في منطاد

وراحت ترسم لوحات كبيرة

تسير عليها وهي ترسمها؛

وتعلّمت العزف على الكونترباص

ورزقت بسبعة أطفال صغار!

وهؤلاء الأطفال جعلوها من الكبار الكبار...

ما قصة قسوة الأولاد؟

الكل يعلم أنّ الأطفال لا يتساهلون. وهم أحياناً قساة جداً نحو بعضهم البعض. لقد تعلّمنا نحن الراشدون ألاّ نسخر من أحد وأن نحترم من يختلف عنا، لكن هل نفعل فعلاً؟ كما تعلّمنا بشكل خاص ألاّ نضحك أمام من هو قصير أو بدين أو أحول...

لماذا؟

يشعر الأطفال في سن مبكرة جداً بالحاجة إلى مقارنة بعضهم ببعض، والانتماء إلى جماعة ما. وهم يتقولبون منذ دخولهم إلى الحضانة، في سن الرابعة أو الخامسة. فهم يريدون حذاء الرياضة هذا والقميص ذاك والدفاتر من الماركة تلك... باختصار، سرعان ما يصبحون متأثرين بنظرة الآخر إليهم ما يبرز الفوارق الجسدية أكثر.

ومنذ الصغر، يلعب الأولاد لعبة «قياس الطول» (يقارنون طولهم): «أنت قصير جداً!»، «أنظري يا أمي لم يكبر!»

تجدر الإشارة إلى أنّ الأطفال يتمتعون بحاسة سادسة تجعلهم يدركون نقاط ضعف الآخرين. وعندما يشعرون أن سهامهم تصيب وتراً حساساً وأن الضحية تتفاعل سريعاً، يزيدون ويلجأون أحياناً إلى التكتّل لإطلاق

سهامهم. وهكذا، يتشكّل كبش المحرقة والضحية.

ناقشوا الأمر معه

«هل ترى أنك مختلف عن الآخرين؟ هل أنت أقصر، أنحف، أكثر بدانة؟ هذا طبيعي، فكل واحد منا يختلف عن الآخر. فآذان البعض كبيرة، وأسنان البعض الآخر بارزة، وبعضنا يعاني من ركبتين غائرتين، ومن صغر أصابعه ومن التواء في قدميه... لكن الجسم يتغيّر مع مرور الأيام. أتعرف قصة البطة البشعة التي تحوّلت إلى بجعة أو قصة الدودة التي تحوّلت إلى فراشة؟».

«أحياناً يكون الاختلاف واضحاً فيستغله الآخرون. وكلما كان الاختلاف واضحاً، أصبحنا هدفاً للسخرية والهزء. لأنّ هذا سهل وحسب، لا بل سهل جداً!

«غالباً ما يحاول الآخرون أن يتسلوا في ما بينهم على حساب طفل آخر. وغالباً ما يعتقد أولئك الذين يشعرون بأنهم ليسوا أقوياء بما يكفي أو ليسوا محبوبين بما يكفي، أنهم مجبرون على فعل ذلك. إنها طريقة للضحك معاً، ولتشكيل مجموعة. هذا ليس بتصرف لطيف طبعاً، لكنه ليس موجّهاً ضدك أنت تحديداً».

افهموه أنّ هذا الوضع مؤقت. وقولوا له عند الحاجة: «أتعلم، كان والدك صغيراً جداً في مثل سنك، لكنّ الأمور تتطوّر أسرع مما تتصوّر. فجأة، ستجد نفسك كبيراً كبيراً!».

علّموه أيضاً ألاّ يتأثر وأن يبقى من جليد في مواجهة السخرية وأن ينمّي لديه حسّ الجواب الحاضر والجاهز. شجّعوه على أن يكون إيجابياً في تفكيره: «ما يقولونه سخيف». «إن لم أقم بأيّ ردّ فعل فسيتوقفون عن السخرية مني».

سر صقر الفار

في كل ليلة، في منزل أسرة الفار

كانت تتعالى أصوات غريبة.

صوت خطى فارة مسرعة

ونظرات سباه منهمرة

وصوت مناشف مستعملة

وفي كل ليلة، كانت الفارة الأم تلتفت إلى زوجها،

«أتسمع أصواتاً غريبة في الأعلى،

في غرفة الأولاد؟»

فيتذمر الفار الأب، «أصغي،

فلدي اجتماع هام جداً في الغد».

وتستدير الفارة الأم إلى الناحية الأخرى

وتغط في النوم مرة أخرى.

لكن الفارة الأم وككل الأمهات

لا تغط دوماً في السبات.

وظنت في النهاية أنّ المنزل مسكون بالأشباح.

عندما تتناهى أصوات إلى سمع الإنسان

يخطر له فوراً أنها فئران!

أما الفئران فتفكّر دوماً في الأشباح

هذا هو الحال.

لكن قصتنا هذه ليست قصة أشباح

بل قصة صقر الفأر ابن الخمس سنوات

الذي في كل ليلة، عند منتصف الليل إلاّ عشرة

يتبوّل في السرير.

وفي كل ليلة، كان صقر الفأر يستفيق

بسرواله البارد ووجهه الأحمر خجلاً!

لأنه كان يتبوّل في السرير، ما يجعله يشعر بالخجل!

لقد فات زمن وضع الحفاض، أليس كذلك؟

وكان يخشى أن ينكشف سره

فيحاول أن ينظّف بوله ليخفي أمره.

كان صقر الفأر يشعر وكأن وزنه كبير

لأنه يحمل وحده هذا السرّ الثقيل

ولأنه يعيش في عالم مختلف.

لم يكن بإمكانه أن يشرب شراب اللوز ليلاً

(خوفاً من أحداث فيضان)،

ولا يستطيع حتى أن ينام عند الرفاق!

وفي كل ليلة، كان الحال أشبه بسوق شديد الزحام

كي يتمكّن من إخفاء «الأمر».

كان صقر يتسلل من سريره بخفة

ويتوجّه إلى الحمام خلسة،

فيصعد على كرسي مرتفعة

ويلتقط من المناشف ثلاث أو أربع.

كان يحاول امتصاص البول

لكنه يبقى ولا يختفي

وتبقى تلك الرائحة الكريهة. وسخ! وسخ! وسخ!

وكان صقر الفأر يغتسل أيضاً ثم يأخذ زجاجة العطر

ويحاول أن يرش على السرير بعض العطر.

فتختفي الرائحة الكريهة.

حسناً، لكن ماذا عن البلل؟

لإخفاء الرطوبة

كان صقر الفأر يستعين بمجفف الشعر

فيجفف الشراشف

ليتمكّن أخيراً من النوم.

وفي أحد الأيام، وعند موعد الفطور، أعلنت الفأرة الأم:

«حسناً، لقد طفح الكيل. سأضع فخاً للأشباح في العلّية».

وتوجّهت إلى السوق لتشتري المطلوب.

وفي الليلة التالية، وعند منتصف الليل إلاّ عشرة

عادت الأصوات الخافتة كما في كل مرة.

صعدت الفأرة الأم السلم على مهل

وكم تفاجأت حين رأت صقر الفأر

يروح ويجيء، مع زجاجة العطر

ومجفف الشعر

ومناشفه الأربع
وكرسيه الصغير.
وعادت إلى النوم حزينة
وهي تفكر: «يا لصقر المسكين،
إنه خجل ويظن أنه يرتكب حماقة.
ماذا يمكن أن أفعل لأجعله يشعر بالراحة؟»
وفي اليوم التالي بعد الفطور
همست الفأرة الأم في أذن صقر الصغير:
«عزيزي صقر، سأعطيك فخ الأشباح هذا،
لتحبس فيه ذاك الجزء منك
الذي يمنعك من الاستيقاظ ليلاً
والذي يشبه الشبح قليلاً
والذي ترغب في التخلّص منه.
لن تنجح طبعاً من أول مرة
وهذا طبيعي. فنحن نحتاج وقتاً كي نختطف الأشباح
وكي يستيقظ جسدنا عندما نريده أن يستفيق
وكي تتزامن رغباتنا مع إرادتنا.
هذا الفخ الصغير هو سرنا».
ووضعت فخ الأشباح فوق الخزانة
ودست تحته وعاءً صغيراً
اشترته من السوق الكبير.

لا أعرف حقاً ختام الحكاية. لكنني أتخيّل أنّ صقر الفأر لم يحتج لوقت طويل جداً كي يتوقّف عن التبوّل في السرير.

ما قصة التبوّل في السرير؟

ينبغي أن يكون الطفل في سن الثالثة أو الرابعة قادراً على السيطرة على رغباته في الليل وعلى الاستيقاظ للتوجّه إلى الحمام. إلاّ أنّ 20٪ من الأولاد في الخامسة من العمر و10٪ من الأولاد في السادسة من العمر يتبوّلون في السرير و60٪ من الحالات هي لصبيان. ونتحدّث عن «سلس بول ابتدائي أو أولي» إذا لم يتخلص الطفل بعد من عادة التبوّل في السرير ليلاً ونتحدث عن «سلس بول ثانوي» عندما يعاود التبوّل ليلاً بعد أن تخلّص من هذه العادة. يتبوّل البعض في السرير حتى سن الثانية عشرة أو الثالثة عشر، لكن هذه الحالات نادرة وتختفي بشكل عام في سن الرشد.

الأسباب النفسية

هل من أسباب خاصة ومن مواصفات نفسية للطفل الذي يعاني من سلس البول؟ يمكننا أن نقول إنّ هؤلاء الأطفال كانوا محاطين بكثير من الرعاية، وإنهم يشعرون بأنهم ضعفاء، سريعو العطب... لكن هذا لا ينطبق على جميع الحالات!

بعض الأحداث قد تؤدي إلى سلس بول ثانوي، ومن بين الأكثر شيوعاً: انفصال الوالدين الفجائي، ولادة أخ أو أخت. وفي هذه الحالة الأخيرة، يمكن أن تتملك الكبير الرغبة في أن يعود طفلاً. وهذا ما يسميه علماء النفس الرجعة التقليدية الصغيرة.

ما العمل؟

يجب تجنّب إعطاء أيّ سوائل للطفل قبل النوم وحثّه على الدخول إلى الحمام قبل النوم مباشرة. يمكنكم عند الحاجة إيقاظه بلطف حين تخلدون إلى النوم كي يتبوّل مرة أخيرة.

راقبوا موقفه لاحقاً. هل يشعر بالخجل، بالخزي أو بالرضا لأنكم تهتمون به فتغيّرون الملاءات وتساعدونه على ارتداء ملابس نظيفة للنوم؟ ينبغي ألاّ نقلل من شأن هذه «الفوائد الجانبية». لعله يستفيد نوعاً ما من الوضع؟

بشكل عام، تجنبوا إزعاجه وإذلاله والتعليقات المزعجة أثناء النهار. وتجنبوا أيضاً اللطف المفرط. إذا لم تعترضي أبداً فسيظن ابنك أنك موافقة على ما يفعله وأنه أصغر من أن يكون نظيفاً. وبالتالي، ستؤخرين استقلاليته.

إذا ما تجاوز الولد العاشرة أو الحادية عشرة من عمره، فاطلبي منه بلطف أن يتولى مسؤولية هذه المشكلة بشكل كامل. أوكلي إليه مهمة تهوئة غرفته وتغيير ملاءات السرير.

ناقشوا الأمر معه

«صقر تعيس جداً لأنه ما زال يتبوّل في السرير وهو يريد أن يحفظ السر لأنه يشعر بالخجل.

أظن أنه يتمنى لو يستطيع أن يستيقظ ليدخل إلى الحمام، لكن شيئاً ما في داخله يمنعه من الاستيقاظ. هل تظن أنّ السبب هو رغبته في أن يبقى طفلاً دوماً؟ أم أنّ ثمة سبب آخر؟

صقر تعيس جداً لكن أمه تعيسة أيضاً لأنها تراه غير سعيد. فهي تعلم جيداً أنّ صقر كبير وأنه قادر على عدم التبوّل في السرير».

حسّان صاحب الأذنين الكبيرتين

في الأدغال، لا تعيش الفيلة وحيدة

فهي تتنقل ضمن قطعان.

ولكل قطيع من الفيلة زعيم هو الأكبر سناً

(له شارب طويل أبيض يعلو نابيه، وجلده سميك وكأنه عاش مئة وخمسين عاماً).

تتجمع الفيلة بحسب شكل أنيابها، وطول خرطومها وكبر أذنيها.

وهذا عملي جداً:

فيسمح لها بتمييز بعضها في الأدغال ويجنّبها اللحاق بأيّ كان.

فتجد قطيع الآذان الصغيرة أو الآذان الكبيرة

وقطيع الحجم الصغير أو الحجم الكبير

وقطيع الفيلة الرمادية الباهتة أو الرمادية الداكنة،

وقطيع الفيلة من دون أنياب...

والفيلة في القطيع نفسه

تشبه بعضها البعض كالتوائم كلها، ما عدا... حسّان

نزل حسّان من بطن أمه

بأذنين كبيرتين جداً وخرطوم صغير صغير.

كان هذا غريباً، لأن آذان أبيه وأمه جميلة وصغيرة.

ولهذا، كانت عائلة حسّان من قطيع الفيلة الصغيرة الآذان...

لكن الطبيعة وفي مكان ما أخطأت في الحسبان.

وهذا يحصل في بعض الأحيان!

ورغم صغر حجمه، كان حسان يلفت الأنظار بخرطومه الصغير وأذنيه الكبيرتين.

ومن حوله، كان الكل يسخر منه...

لأنّ الناس يسخرون عادة ممن يختلف عنهم.

«انتبه يا دامبو (الفيل)! ستطير!»

«مرحباً حسان. هل فتحت مظلّتيك؟»

وعندما يتعرض القطيع لخطر يستوجب الفرار

كانوا يقولون له: «رفرف بجناحيك يا ملاك!»

وكان حسان يحاول تجاهل هذا المزاح المزعج ولا يسمعه (وكأن هذا ممكن!)

لكن ويا للأسف، فبسبب أذنيه

كان سمعه خارقاً.

فيسمع كلاماً كان يفضّل ألاّ يسمعه...

حاول حسان مراراً

أن يطوي أذنيه

وأن يشدّ خرطومه

عبر تثبيته ليلاً في جذع شجرة.

لكن الأذنين كانتا تعودان وتنبسطان

فيما يرفض الخرطوم أن يكبر ويتغيّر.

وفي يوم من الأيام، وبعد أنّ ملّ هذا المزاح

قال حسان لأمه:

«لا أريد هاتين الأذنين.

هل يستطيع الطبيب أن يخلّصني منهما؟»

ردت الأم التي أحزنها أن ترى ابنها تعساً:

- أتعلم! نحن نحبك كما أنت!

الآخرون يسخرون منك لأنهم يشعرون بالغيرة.

إنهم يغارون لأنّ سمعك مرهف

ولأنك تستطيع أن تسمع دبيب النملة!

من المفيد جداً أن يسمع المرء جيداً.

فالفيلة معروفة بسمعها الشديد!»

ضحكت الأم ضحكة عالية.

لكن حسان لم يقتنع بهذا الكلام...

كان يفضّل أن يكون أصم

وألاّ يكون له أذنان!

فهذا الحال يجعله تعساً.

بالإضافة إلى أذنيه الكبيرتين وخرطومه الصغير

أصبح قلبه الآن ثقيلاً كصخرة.

وهذا ما جعله مختلفاً عن الفيلة الخالية البال.

لأنه لا يوجد قطيع فيلة بقلوب مثقلة بالهمّ.

وفي يوم من الأيام، لم يعد يرافق قطيعه ليخفي ضخامة أذنيه وصغر خرطومه.

ومنذ ذاك اليوم، تجنّب النظر إلى صورته في البحيرة واختبأ في الغابة خلف أقدام شجيرة ولم يعد يخرج من ذاك المخبأ.

وخطر له: «أن يكون المرء مختلفاً لأمر صعب جداً».

وفي صباح أحد الأيام، وفيما هو خلف شجرته

تردد في أذنيه صدى صوت غريب.

ومن على بعد آلاف الكيلومترات،

سمع وقع خطى نمور آسيا

التي تتنقل بخفة.

وسمع أيضاً بعض الزمجرة:

كانت النمور تستعد للهجوم.

راح حسّان يعدو بكل ما أوتي من قوة لينبّه الزعيم العجوز ذا الشارب الأبيض.

وبأذنيه الصغيرتين، لم يكن الزعيم يسمع شيئاً. . .

لكنه وثق به.

وهكذا، نجت الفيلة من المجزرة ومن الموت المحتّم.

ووُضع على رأس حسّان تاج

وعيّنه الزعيم مساعداً له.

وهكذا، أصبح حسّان أذن الأدغال

وبالطبع، لم يعد أحد يسخر أبداً

من ورقتي الملفوف فوق رأس الفيل الصغير.

وبعد حين، وخلال إحدى النزهات

وقع حسّان في الغرام

غرام فيلة صغيرة ذات ذيل لولبي الشكل.

ورزقا بصغار لا يشبهون أحداً.

وكانا فخورين بهم إلى حد أنهما أسسا

قطيع «الفيلة المختلفة».

ومنذ ذاك اليوم، رأى الكل أنّ هذه الفيلة

متناسبة جداً في اختلافها

بحيث لم يعد يسعى أحداً إلى جمعها

بحسب حجم آذانها وطول خراطيمها.

وعاش الكل سعيداً مسروراً.

ما قصة الاختلاف؟

نحن نعيش في مجتمع متطلب، حيث يصل السعي إلى بلوغ الكمال إلى حده الأقصى وحيث يُنظر إلى الاختلاف بعين الشك والريبة ولا يتم تقبّله بسهولة. لطالما حلمنا بالطفل المثالي، وهذا الطفل المثالي طويل القامة، قوي البنية، ذكي، الخ... حتى أننا نقيس الطفل وهو لا يزال في رحم أمه؛ فنضعه على المنحنى؛ ونخضعه «للمعايير». إنها بداية التصنيف بحسب المعايير. وهنا، الأمر لا يتعلق بالأولاد: فالراشدون هم من بنوا «هذا العالم المثالي»!

الاختلاف: عقدة الولد أم الأهل؟

لا يرحم الأولاد بعضهم البعض منذ نعومة أظافرهم، لكنهم واعتباراً من المرحلة الابتدائية في المدرسة حين يصبح التواصل مع الآخرين أمراً أساسياً، يشعرون بالانزعاج مما يميّزهم عن سواهم.

لكن الطريقة التي يتعامل بها الولد مع اختلافه تعتمد أيضاً على الطريقة التي يتعامل بها الراشدون، لا سيّما والديه، مع هذا الاختلاف. هل هو أمر تافه أم جرح نرجسي بالنسبة إليهم؟ غالباً ما تزور الأمهات اختصائيات التغذية مع بناتهن اللواتي يبلغن من العمر 8 أو 9 سنوات واللواتي تعتبرنهن ممتلئات الجسم قليلاً...

كما لا ينفك البعض عن قياس طول الطفل أو وزنه. يجب تخفيف الضغط قليلاً، إذ قد يتحوّل الاختلاف الصغير إلى عقدة كبيرة.

ناقشوا الأمر معه

«نعتقد أنّ الكل يتشابه، وهذا خطأ. فالعالم مكوّن من أناس مختلفين. وقد يكون الإنسان أسود أو أبيض أو أصفر. وحتى عندما نكون من العرق الأبيض، فقد تكون البشرة متفاوتة البياض أو أكثر ميلاً إلى اللون الزهري. نجد أشخاصاً طويلي القامة، وآخرين قصيري القامة، كما نجد البدين والنحيل؛ أشخاصاً أقدامهم صغيرة وآخرون كبيرة؛ ونجد أنوفاً صغيرة وأخرى كبيرة؛ أولاد موهوبون في الرسم، وآخرون في الرياضة؛ أولاد يجيدون القراءة في الرابعة من العمر وآخرون في السابعة... ولا يكفي هذا الكتاب كله للحديث عن كافة الاختلافات الموجودة على الأرض. أحياناً، يكون الاختلاف ظاهراً كما هو الحال مع حسّان وأذنيه الكبيرتين. وهنا، يستفيد الآخرون من الوضع. لماذا؟ لأننا وبكل بساطة نسخر من ذلك الذي لا يشبهنا. وهذا لا معنى له لأن العالم، الكون بأسره، مكوّن من أمور مختلفة!

أن يختلف الإنسان عن الآخرين أمر صعب. لكن هذا ما يشكّل شخصيتنا. هل شعرت أنت أيضاً انك مختلف عن الآخرين؟ هل أشار الآخرون إلى ذلك وبطريقة ليست لطيفة جداً؟ للدفاع عن نفسك، يمكنك أن تجيب مثلاً: «نعم، أنا أقصر قامة منكم. وماذا في ذلك؟ لكني الأذكى»، الخ...»



الفصل الرابع

قصص عن الانفعالات

كيف تقتل الوحش

جوليان حزين جداً.

كان يقضي العطلة عند جدته،

مزاجه سيء جداً.

فراح يصرخ ويبكي ويرغي ويزبد ويشوي وينتحب ويضرب الأرض برجليه

التجأ إلى غرفته حيث استلقى على سريره حرداً.

من ماذا؟ لم يعد يعلم.

من نفسه من دون شك.

لكن ها هي جدته تدخل

وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة غريبة وحملت بين يديها كتاباً صغيراً عجيباً

كتاباً أخضر، مع غلاف مغطى بالغبار.

قرأت العنوان: دليل قاتل الوحوش.

التمعت عينا الجدة.

«كان جدّي، أي جد جدك، قاتل وحوش».

همست الجدة:

«هذا سر بيننا.

ولن نبوح به لأحد. أليس كذلك؟».

وتابعت تقول: «عندما كنت صغيرة

علّمني كيف أقتل الوحوش.

واليوم، حان الوقت كي أنقل إليك هذا السر».

التمعت عينا جوليان

فيما راحت الجدة تقلّب بعناية الصفحات الرقيقة كالدانتيل.

الفصل الأول: كيف نعرف الوحش

شرحت الجدة: «كان جدّي يقول إنّ الوحوش لا تعيش خارج أنفسنا.

ونحن لا نجدها في الغابات أو في الحدائق العامة، أو في أيّ مكان آخر.

إنها في داخلنا.

إنها تنام في داخلنا، وفي أول فرصة سانحة

تخرج وتصرخ وتضرب الأرض بأقدامها.

وقبل أن نتمكّن من قتلها،

علينا أن نعرف كيف نكشفها.

هذه لائحة صغيرة وضعها جدي.

وحش الخوف: إنه أخضر اللون، ساقاه رخوتان، وأسنانه كبيرة

تصطك. نصادفه أثناء العاصفة، عندما يشق البرق السماء، عندما نكون على متن مركب ويهوج البحر، عندما نضطر للقفز أعلى صخرة أو عندما نعبر الغابة بعد حلول الظلام.

وحش القلق: ثمة سواد في رأسه، حلقه منقبض، ظهره محني. نصادفه أحياناً أثناء الليل، وحيداً في سريره. وهو من يحوّل الأحلام الجميلة إلى كوابيس. نصادفه أحياناً حين نكون وحيدين، عندما نشعر بالملل، وأحياناً من دون سبب.

وحش الغضب: إنه أحمر وأصفر وأخضر وأزرق، وعيناه تطلقان شرارات. إنه تنين حقيقي! يخرج كلما سنحت له الفرصة: عندما يأخذ أحد رفاقك لعبتك، عندما لا يفي والداك بوعودهما. كما يخرج أيضاً حين لا تنام كتابة.

وحش المزاج السيء: لونه زهري ويبكي كالطفل. أعتقد أنه يشرب الحليب بالرضاعة ويتبوّل في السرير. هذا ما قالته الجدة هامسة.

وحش الحزن: إنه معتم ويبكي كثيراً. نلتقيه أحياناً حين نودّع صديقاً، حين نرحل بعيداً عن منزلنا، حين نودّع والدينا (وخفضت الجدة صوتها) ونصادفه أيضاً حين يموت أحدهم.

آه! نسيت وحش الغيرة والحسد.

وحش الحسد عيناه تتطفلان وتبحثان في كل مكان، ويداه عملاقتان لتلتقطا كل ما يخطر له. إنه يفضّل أن يكون وحش الغضب أو وحش المزاج السيء، أو أياً كان، إنما شخص آخر. في الواقع، هذا الوحش المسكين يثير الشفقة لأنه لا يحب نفسه أبداً».

وتوقّفت الجدة عن القراءة لحظة

ثم سألت: «هل تعرف وحوشاً أخرى؟».

فكّر جوليان: «نسيتِ وحش الملل».

- آه، آه، طبعاً، كيف أمكنني أن أنساه؟

وحش الملل رمادي اللون يجلس في زاويته منطوياً على ذاته. وهو لا يرغب في القيام بأيّ نشاط. وقد يتحوّل أحياناً إلى قلق أو مزاج سيء. هل تعرف وحش الملل جيداً أنت؟

قال جوليان الذي لم يكن له أخ أو أخت ويشكي غالباً من الملل: «نعم».

- حسناً، سأعلّمك كيف تقتل هذه الوحوش...

وتابعت الجدة القراءة بصوتها الرفيع والرقيق.

الفصل الثاني: كيف تقلّص وحشاً

«لقتل الوحش، لا ينبغي أن نقطع رأسه

بل الأفضل هو أن نقلّصه حتى نحوّله إلى غبار.

إنها الوسيلة الوحيدة للتخلّص منه».

وتابعت الجدّة القراءة:

«لتحويل الوحش إلى غبار، لا بدّ:

أولاً من النظر إليه مباشرة في عينيه

ثانياً تأمله بشبه ابتسامة هادئة وحتى ضحكة؛

ثالثاً التحدث إليه بهدوء وبلطف خصوصاً. لأننا إذا رفعنا صوتنا، يتحوّل الوحش إلى كرة كالقنفذ ولا يمكننا أن نحصل على شيء منه.

علينا أن نقول له:

«عزيزي وحش المزاج السيء، أعلم أنك تريد إزعاجي.

لكنني وكما ترى سحبت سيفي ولا أخشى شيئاً.

بعد أن تتبع هذه المراحل كلها،

سترى وحشك يصغر كدولاب مثقوب!

وسيتقلّص حتى يختفي.

وأضافت الجدة: «اعلم أنّ القدرة على قتل الوحوش تتزايد مع السن.

أي كلما كنا صغاراً في السن، كان ذلك أصعب.

عند الكبار الذين يستطيعون التحكّم بأعصابهم أكثر يصبح تقليص الوحوش أسهل».

وتنهدت الجدة: «لكن هذا يأتي للأسف مع الشيخوخة».

وسألها جوليان: «وأنت يا جدتي، ألم يعد لديك وحوش أبداً، أبداً؟»

فردّت الجدة وهي تشير بيدها وكأنها تجرد سيفها: «بلى، لكني أبعدها عني! الويل لها إذا ما اقتربت!».

وتوقّفت الجدة عن الكلام.

فهم جوليان عن أيّ وحش تتحدث.

لكن الجدة عادت تقول بصوتها الرفيع: «انتظر، انتظر! لم تنتهِ الحكاية بعد. بقي الفصل الأخير».

الفصل الثالث: عودة الوحوش

وتابعت الجدة القراءة:

«بعد قتل الوحش

لا تعتقد أنك انتصرت إلى الأبد.

أبداً! فهذا سيبدو سهلاً جداً!

يمكن للوحش أن يعود.

هل أعجبك قطار صغير جميل أزرق اللون لدى بائع الألعاب؟

يكفي هذا ليتحرك وحش الحسد في أعماقك.

أنت وحيد في الحديقة العامة

ولا تعرف اللعبة التي يلعبها الأولاد من حولك؟

وها هو وحش الحزن يتململ في داخلك.

هل ترغب في تناول السكاكر قبل العشاء؟ ها هو!

إنه وحش المزاج السيء يطل برأسه».

وأخفضت الجدة رأسها.

«يجب أن تعلم أنّ الوحوش غالباً ما تعود.

لكن المهم هو أن تحاول دوماً قتلها،

وأن تكون كفارس الوحوش

وأن تحمل دوماً سيفك معك

حتى وإن كان السيف ثقيلاً.

وأن تقول له:

«مرحباً أيها الوحش، عدْ إلى ديارك

لأني لا أريدك هنا ولا أرغب في رؤيتك!».

وأطبقت الجدة الكتاب الصغير

بما أمكنها من الرقة والنعومة.

«حسناً. هذا كل ما أخبرني إياه جدي.

هل ستجيد الآن التعامل مع الوحوش؟».

هزّ جوليان رأسه سروراً.

من الآن وصاعداً، سيصبح صياداً كبيراً.

أكبر صيّاد عرفته الأرض!

ما قصة النزوات، الغضب، الرغبات...

يصعب في عصر الاستهلاك المفرط الذي نعيش فيه ألاّ نشعر برغبة في شراء سيارة أو لوحة أو قرص ممغنط. والأولاد الذين لا يجيدون بعد التحكّم برغباتهم، يعجزون غالباً عن مقاومة الإغراءات. وهذا ما يعرفه حق المعرفة كل والد ووالدة ذهبا للتسوّق برفقة ولدهما!

تربية الرغبة

إذا ما حققنا نزوات الطفل على الفور، لا نستطيع إفهامه أهمية رغبته. تشير المحللة النفسية كريستيان أوليفيه إلى «أنّ ثمة تربية للرغبة وهي أساسية. لا يتجرأ العديد من الأهل اليوم على معارضة أولادهم، وعلى رفض طلباتهم وعلى قول كلمة «لا». إلاّ أنّ هذا ضروري! فإذا لم نقف في وجهه، لا يمكن للولد أن يدرك قيمة رغبته، ما يفسح المجال أمام ظهور أجيال من الأولاد المتراخين الذين يعجزون عن اتخاذ قرار بشأن

حياتهم، أولاد لا يرغبون في مفارقة أهلهم ولا يعرفون أيّ مهنة يختارون».

إذا خرجتِ للتسوّق معه، فكوني واضحة منذ البداية: «ليس لديّ ما يكفي من المال لهذا يمكنك أن تتفرّج، لكني لن أشتري لك شيئاً».

لا تضعفي أمام الطلبات المتكررة. لتكن نبرتك حازمة إذ سيبقى الولد مصراً حتى تلبي رغبته إذا ما أحس بأيّ تردد في صوتك.

اعلمي أنّ الطفل يحزن ويشعر بالتعاسة عندما نلبي رغبته فوراً. وكيف لا يشعر بالخيبة؟ فقد حوّلنا رغبته، الغرض الذي يشتهيه، إلى غرض عادي، في غضون خمس ثوانٍ، وبمجرد «شراء» ما يرغب فيه، انتقلنا من الحلم إلى الواقع. وهذا الواقع يخيب الأمل حكماً لأن أجمل غرض في العالم لا يمكن أن يقدّم إلاّ ما لديه! بعد تقليبه وأكله والنظر إليه وتأمله من كافة الجوانب، سيرغب الطفل في شيء آخر.

في كتابها «Tout est langage»، تتحدث فرانسواز دولتو عن حالة «طفل السكاكر» الطفل الذي يطلب قطعة سكاكر، غالباً ما يفعل هذا كي نتحدّث إليه، وبحثاً عن الحب والعاطفة. وتكتب دولتو «من المثير للاهتمام أن نرى، إذا ما قلنا للولد: «وكيف هي قطعة السكاكر هذه؟ هل هي حمراء اللون؟»، وتحدّثنا عن طعم قطعة السكاكر بحسب لونها؛ يمكننا حتى أن نرسم قطع سكاكر. وسينسى الطفل أنه أراد تناول قطعة السكاكر. لكن يا له من حوار جيد أجراه حول قطعة السكاكر! ويا لها من لحظة ممتعة أمضاها!» لقد تذوّق الطفل قطع السكاكر الخيالية.

وفي السياق نفسه، راقبي ولداً في الخامسة أو السادسة من عمره يتصفح لساعات كتيّبات الألعاب. ألا يشعر بسرور عظيم في لحظات الحلم هذه؟

اقترحي عليه أن يحفظ الفكرة: «صحيح أنّ هذا جميل جداً. سأتذكره لعيد ميلادك أو لمناسبة أخرى. أنت أيضاً حاول أن تتذكر...». عندما تتجولين

في السوبرماركت معه أو عندما تمران أمام متجر ألعاب، سيسره أن «يحفظ» الفكرة، أي أن يوضّبها في متجره الخاص للرغبات السرية. رغبات يمكن أن يخرجها ويتذوقها ويمكن أن يحلم بها إلى ما لا نهاية.. أو على الأقل إلى يوم ميلاده أو يوم «المفاجأة» التي قررتها له.

معلومات عن الغضب

إذا ما كان الأولاد في سن الثانية يتميّزون بثورات الغضب، فإن هذه الثورات قد تستمر حتى سن الخامسة أو السادسة. وهي غالباً ما تظهر في المتاجر أو في الحديقة العامة أو في مكان عام حيث يعلم الطفل أن موقفك فيه أضعف منه في المنزل.

يشرح ت. بري برازلتون وهو أستاذ في جامعة هارفرد، كيف تواجهين غضب طفلك. يرى طبيب الأطفال الشهير أنّ الحل الأمثل يكمن في تجاهل هذا الغضب تماماً. وهذا صعب طبعاً، لكن الأهل يطيلون غالباً نوبة الغضب في محاولتهم حلّها.

ويمكنك إذا ما حصلت نوبة الغضب في المتجر «أن تأخذي الطفل وترجئي عملية التسوّق. عودي نحو السيارة (أو إلى الشارع) ودعيه يخرج غضبه في أمان تام. بعدئذ، احمليه بين ذراعيك وتعاطفي معه. قولي له: «أن يشعر الإنسان بالغضب أمر فظيع أليس كذلك؟».

ناقشوا الأمر معه

«غضب جوليان لأنه رغب في الحصول على شيء ما. فكر في الأمر: كلما رأينا ألعاباً، كلما رغبنا في الحصول عليها، أليس كذلك؟ لا بد أنك شعرت بالرغبة في الحصول على ثلاث، ست، اثنتي عشرة، خمس عشرة لعبة. فهناك الكثير منها! لكن من المستحيل أن تحصل عليها كلها. عليك أن تختار.

عندما تشعر بأن الوحش سيخرج منك، حاول أن تفعل كجوليان. هل تريد أن تصبح أنت أيضاً صائد وحوش عظيماً؟».

تفاحة التي تعيش في عالم دائري

(يمكن قراءة هذه القصة لشرح مسائل الموت أو الشيخوخة أو مرض الوالدين أو الطلاق)

إنها قصة هرة صغيرة اسمها تفاحة.

أسمتها أمها تفاحة

لأنها كانت تحلم بعالم كالدائرة،

عالم لامع، بسيط، مثالي وممتلئ، كالتفاحة.

كان الهر الأب والهرة الأم

يعتبران أن الأرض دائرية كالCD.

وكان الكل سعيداً.

في أسرة تفاحة، لم يكن الهر يسمّى هراً

ثمة كلمات مسموحة

وكلمات ممنوعة.

فهم لا يستخدمون مثلاً كلمات: «موت»، «سيء»، «تبوّل في ثيابه»، «دهسته سيارة»، «كابوس» أو «شجار».

كما يتجنبون كلمات أخرى مثل: «غرق»، «هر ضائع من دون طوق»

وكل الكلمات التي تسبب الألم.

وفي أحد الأيام، وقعت مأساة في أسرة تفاحة حيث غرق أخوها

الصغير في البحيرة.

وهذا أمر يحصل بين الهررة الصغيرة.

وفقدان هر صغير بهذه الطريقة يسبب أحزاناً كثيرة كثيرة.

لم يخبر الأهل تفاحة الصغيرة.

فكيف ينقلون إليها مثل هذا الخبر؟

فهذا يتطلب استعمال الكلمات الممنوعة.

وأم تفاحة، ككل الأمهات

أرادت أن تحميها من أحزان الأرض كلها ومصائبها.

فهل من أم ترغب في إيلام ولدها؟

المشكلة كانت في ذاك الصمت، ذاك الصمت الرهيب الذي تشمّه تفاحة في كل زاوية من زوايا البيت منذ موت أخيها الصغير.

لم يكن صمت ربيع خفيف وناعم

بل رياح باردة وجامدة.

صمت شتاء يعصف من دون ضجة.

كان والد تفاحة يتنهد ويبكي.

وكان الأب والأم يتهامسان من حين إلى آخر وعندما تصل تفاحة على رؤوس أصابعها الزهرية بصمت كغيرها من الهررة، كانت تسمع:

«ش! أصمت! ليس أمام الصغيرة!»

وها هو السواد يعود ليغطي العالم كله.

وكانت تفاحة طبعاً تتساءل:

«ما الذي حصل لأخي الصغير؟ هل سيعود؟

ما الخطأ الذي ارتكبته؟ هل سيخطفونني أنا أيضاً؟»

لكنها كانت تطرح على نفسها أيضاً ذاك السؤال الفظيع:

«هل الذنب ذنبي؟

لعلني من جعل أخي الصغير يختفي».

لأن تفاحة وككل الأطفال كانت تغار كثيراً من أخيها الصغير.

ولكثرة ما فكرت في هذه المسألة أصبحت تفاحة واثقة ومقتنعة:

إنها هي من جعلته يختفي.

هذا الثقب الأسود الكبير من الأسئلة التي بقيت من دون أجوبة

ثقب الصمت الأسود الكبير هذا ملأ صدرها.

ومرضت تفاحة وأصبحت تراودها الكوابيس.

كما رفضت أن تتناول الطعام.

وتشاجر الوالدان كقطين غاضبين وتعالى المواء، تعالى في المنزل!

وراحا يسددان لبعضهما الضربات بالقدمين:

«لقد أخبرت تفاحة!

بعد أن وعدتني بألاّ تخبرها».

- لا! لم أقل لها شيئاً! أنت من أخبرها!

لكن أحداً لم يقل شيئاً لتفاحة ولم يكونا يعلمان أنّ تفاحة تنتظر أن يخبرها أحدهما شيئاً.

وفي كوابيسها،

كانت تفاحة تقول: «أريد أن أعرف، أريد أن أعرف!».

وخلف هذه الكلمات، أرادت أن تقول:

«العالم ليس دائرياً، وليس أملس، أو لامعاً أو ممتلئاً...

قولا لي الحقيقة عن أخي الصغير».

وفي أحد الأيام، كانت حرارتها مرتفعة مرتفعة

تجرأت (ربما بسبب الحرارة) على أن تسأل أمها.

«أمي، قولي لي الحقيقة. هل مات أخي الصغير؟

هل سيعود يوماً؟».

وتفاجأت الأم طبعاً بشكل فظيع وشنيع.

كيف هذا؟ وهي التي حاولت جاهدة أن تحمي تفاحتها الصغيرة،
وأن تبعدها عن هذه الأمور الرهيبة...

وحاولت أم تفاحة طبعاً أن تتكلم، وأن تجد الكلمات لتشرح.

وكان ذلك طويلاً وصعباً ومليئاً بالتردد،

أشبه بإيجاد طرف الخيط في بكرة متشابكة.

لكنها أخبرتها أن أخاها الصغير الطائش مات.

وأنه لن يعود أبداً.

هذا ما حصل:

والذنب ليس ذنب أحد.

وليس ذنبها هي خاصة!

عندئذ، شعرت تفاحة بنور عظيم يضيء قلبها.

وقالت بسرور:

«إذن يا أمي، أنت تحبينني؟

تحبينني طالما تخبرينني الحقيقة، كل الحقيقة؟».

ومنذ ذاك اليوم، لم يعد هناك

كلام ممنوع وآخر مسموح.

وعادت أسرة تفاحة تستخدم من جديد تلك الكلمات الممنوعة.

فهي ضرورية كالشرب والأكل واللعب.

لم يشعروا حكماً بسعادة أكبر لكنهم شعروا بالحمل يخف أكثر.

ما قصة قول الحقيقة للأطفال؟

إنّ الرغبة في حماية أطفالنا هي شعور يتشاركه الأهل كلهم. لكن هل يعني هذا أن ندعهم يعيشون في عالم مزيّف، عالم مظاهر؟ بالطبع لا.

الأطفال وحاستهم السادسة

على الرغم من أن الأطفال هم من هواة الأحلام والأساطير والجنيّات والعفاريت، إلاّ أنهم لا يصدقوننا دوماً حين نروي لهم الأكاذيب. كتبت فرنسواز دولتو: «في المنزل، الأطفال والقطط مطلعون دوماً على كل ما يجري». إذا توفي الجدّ ولم يخبر أحد الطفل، فسيرى الكل يتنهد، وسيرى الدموع تسيل، فيفسّر هذه الإشارات على طريقته. يكفي أن نقول له بعض الكلمات لنشرح له الوضع: «أنا حزينة لأنّ جدك مريض جداً». قد لا يفهم الكلمات لكنه سيدرك النيّة. سيدرك أنّ الذنب ليس ذنبه في مرض الجد، فالأطفال يميلون دوماً إلى الشعور بالذنب وتحميل أنفسهم مسؤولية الأحداث من حولهم.

اعلموا أنه يسهل عليه قبل سن السادسة أن يتحمّل الحداد أو المرض. اعتباراً من سن السادسة يبدأ إيمانه ببعض الأساطير (جنيات، عفاريت، بابا نويل، الخ...) يضعف ويتفكك، ويدخل الطفل عالم الكبار، فيدرك فداحة الخبر.

كيف سيكون ردّ فعله؟ يمكن أن يعود بهدوء إلى ألعابه أو أن يقول: «ماما، أنا جائع. هل يمكنني أن آكل بعض الحلوى». إنه سلوك لحماية الذات من الألم والمعاناة. من الأفضل ألاّ تصروا كثيراً على المسألة. يمكنك أن تناقشي المسألة معه في يوم آخر.

ناقشوا الأمر معه

إذا أخفيت عنه أو ما زلت تخفين عنه حقيقة يصعب قولها: «هل شعرت أحياناً كتفاحة؟ هل ظننت أحياناً أنّ شيئاً خطراً حصل بسببك؟».

«تفاحة مسرورة لأن أمها تخبرها الحقيقة، هذا دليل حب بالنسبة إليها وهي محقّة. يجب قول الحقيقة للذين نحبهم. لكن هذا صعب جداً أحياناً. فنحن نود ألاّ نخبرهم إلاّ الأمور السارة، الجميلة! لكن الحياة لا تسير على هذا النحو. أحياناً، تحصل أمور أصعب من غيرها».

قولي له أيضاً: «إذا أردت أن تتحدّث إليّ عن الموضوع أو أن تطرح عليّ أي سؤال، فستجدني دوماً مستعدة للرد عليك».

حكاية زاكي الباكي

كان اسمه زاكي، وكان دوماً باكياً

كان يبكي كثيراً وغالباً

بحيث راحت عيناه تنتفخان

كحقيبتين مليئتين بالدموع.

عند أقل مناسبة، كان زاكي يبكي.

عندما تطلب منه المعلمة انتظار دوره حتى يتكلم،

عندما يرفض والداه أن يشتريا له المثلجات

عندما يحين موعد الاستحمام أو الخروج من الحمام

أو الخلود إلى النوم أو تناول الطعام،

كان يضرب الأرض بقدميه ويبكي ويصرف بأسنانه!

في المدرسة، كان زاكي يبقى وحيداً غالباً.

فما من أحد يدعوه للعب كرة القدم أو الكلّة.

وكان رفاقه يقولون: «إذا خسر فسيبكي ويبكي».

وهكذا، كان زاكي يشعر بالملل.

كان يذهب إلى المدرسة باكياً؛ ويعود إلى المنزل شاكياً.

وإذا ما احتسبنا الدموع لوصلنا بالتأكيد إلى ملايين ومليارات الدموع، لا بل أكثر!

ما يعادل مياه المحيط من دون شك.

أخذته أمه إلى الطبيب لكنه لم يجد أي مشكلة.

وقال الطبيب: «غدد الدمع تعمل بشكل صحيح. سيتجاوز الأمر مع التقدم في السن».

لكن شيئاً لم يتغير.

وفي أحد أيام الربيع، وفي ملعب المدرسة، وقف سمير الكبير، أطول الأولاد في الصف أمام زاكي.

وسرعان ما وجد زاكي نفسه سجيناً وسط حلقة من الأولاد.

أولاد يصرخون: «زاكي بايبي! زاكي بايبي!».

ولم يكتفوا بمرة أو اثنتين... فراح زاكي يشهق ويبكي.

وأخذت حلقة الأولاد تصرخ:

«زاكي الباكي!».

وقفز زاكي من الحلقة وراح يركض ويركض حتى وجد نفسه في الغابة في مكان لا يعرفه حتى.

وعاد يسير حتى وصل إلى مستنقع.

كان المشهد جميلاً بشمسه وهوائه العليل وزقزقة العصافير بحيث راح زاكي يبكي.

وتجمعت الدموع لتشكّل بركة صغيرة عند قدميه.

وفجأة، سمع زاكي صوتاً يأتيه من بعيد «ذكي! ذكي!».

من يجرؤ على السخرية منه؟

إنه يبكي فيما أحدهم يناديه «الذكي»؟

أرهف زاكي السمع. كان الصوت يتعالى من البركة!

انحنى فوق المياه الساكنة...

وهناك، رآه.

خلف وجهه الملئ بالدموع، رأى بوضوح شديد وجهاً آخر في المياه.

وجه صبي صغير يبتسم.

- ماذا تفعل؟ من أنت؟ سأله زاكي مدهوشاً.

هل تعيش في المياه؟.

وأخذت صورة الصبي الصغير ترتج وتتشوّش كما لو أننا رمينا حصاة صغيرة في المياه.

فرك زاكي عينيه.

- لا تتحرك كثيراً! أنا لا أرى شيئاً!

فقال الصبي الصغير: «أنا أتحرك لأني أفكّر.

في الحقيقة، ليس لي اسم.

لعلي أدعى صبي المستنقع الصغير، وهذا كل ما في الأمر».

شعر زاكي بأنّ الصبي الصغير ينظر إليه بانتباه.

«أتعلم، منذ قليل، كانت مياه المستنقع مالحة جداً.

لقد شعرت بهذا، وقد أموت! هل أردت أن تسممني؟».

فتح زاكي عينيه مدهوشاً وقال: «بالطبع لا».

«الدموع بالنسبة إليّ أشبه بالسم».

وأضاف صبي المستنقع الصغير: «سأخبرك سراً.

عندما تبكي، تسيل دموعك لتصل مباشرة إلى المستنقع.

فأغرق أكثر وأكثر في المياه المالحة.

لكن، عندما لا تبكي أشعر بالسعادة».

وعاد الصبي الصغير يقول:

«الدموع هي سم.

والمستنقعات تموت من كثرة البكاء».

ذاك اليوم، عندما عاد زاكي إلى المنزل كانت ابتسامة عريضة ترتسم على وجهه.

- لديّ صديق جديد، هذا ما قاله لأمه بكل بساطة.

لم يتحدث زاكي عن لقائه بصبي المستنقع الصغير.

كان يخشى أن يجعله يختفي.

وتغيرت الأمور.

فعندما يشعر برغبة في البكاء

كان يسمع ضحكة صبي المستنقع الصغير الرنانة.

عندئذ، يختار أن يبتسم.

فهذا أسهل بكثير!

إذ يكفي أن نريد..

ومنذ ذاك الحين، أصبح لزاكي الكثير من الأصدقاء.

وذات مساء، قال أبوه: «لقد تغيّر زاكي كثيراً». فردّت أمه: «أظنه كبر وحسب».

ما قصة البكاء والنحيب؟

لمَ ينوح الأولاد ويشكون من دون سبب أو مبرر واضح، في حين أنهم تناولوا الطعام وتدللوا وليسوا متعبين؟ ربما للفت الأنظار إليهم...

ما العمل؟

لا تنفعلي أمام بكائه وصرير أسنانه. اهتمي به وهو لطيف بقدر ما تهتمين به وهو ينوح... اقترحي عليه لعبة ما، حتى عندما يكون هادئاً. إذا كنت لا تنزلين من برجك العاجي إلاّ حين يوتر لك أعصابك، فسرعان ما سيدرك ما عليه فعله: الدموع تعادل الاهتمام والانتباه من الوالدة. تجنبي

النواح والشكوى أنت أيضاً، وتجنبي الاحتجاج على عملك وعلى حماتك وعلى العالم بأسره. غالباً ما يتساءل الراشدون «عما فعلوه للرب حتى يرزقهم بولد كهذا»، من دون أن يدركوا أنهم يقدمون للولد المثل السيء.

ناقشوا الأمر معه

ركِّزي اهتمامك على اللحظات التي لا يبكي فيها.

هنئيه واشكريه على ابتساماته.

اشرحي له بوضوح كيف ينبغي أن يتكلم أو يطلب شيئاً ما أيّ من دون نواح. كرري له الشرح حتى يفهم. اسمحي له بأن يبكي فقط في غرفته دون سواها. وإذا راح يبكي أو يصرخ، فأرسليه إلى غرفته. قولي له: «هذا مؤسف، ها أنت تعود إلى البكاء. اذهب إلى غرفتك على الفور، لأني لا أحتمل صراخك. لا يمكنك أن تفرض عليّ سماع هذا. ستعود حين تستعيد هدوءك».

غدار الجبار وهمّه الصغير

أكبر أسماك القرش هو القرش الأزرق الذي يعيش في المحيط الهادئ.

وكان غدار الجبار واحداً من هذه الأسماك.

كان اسمه «جبار» بسبب زعنفته المسننة كالخنجر وجانبيه المستديرين المفتولي العضلات.

وخصوصاً أسنانه الطويلة والحادة التي تقطّع كما لا تفعل أسنان أيّ قرش آخر وتلمع كالسكاكين.

كان غدار الجبار الذي لم يكن سوى قرش صغير يحب أن يلعب لعبة إشاعة الرعب في مياه المحيط الدافئة.

لكن ما يعجبه أكثر هو تأمل قوته في صورته المنعكسة على المياه ولا سيما أسنانه التي تجعله قوياً وجباراً.

وعندما يحلو له، أي كل دقيقتين تقريباً، كان يلاحق سرباً من الأسماك الصغيرة ويسخر من السمكة المهرجة، ويلتهم سمكة سلور ويتحلّى بأخرى.

وفي أحد الأيام، وفيما هو يمضغ سمكة صغيرة

لاحظ غدار الجبار

أنّ شيئاً ما يتحرك في فمه.

فمرر لسانه يتفقد المكان.

يا للهول، إحدى أسنانه الرائعة تتحرك!

كيف يمكن ذلك؟

وللحظة، شعر غدار الجبار

وكأنه يسقط في حفرة كبيرة سوداء

حفرة القلق السوداء.

إنه كابوس.

فُخيّل إليه أنه سيفقد أسنانه الواحدة تلو الأخرى وأن فمه سيصبح خالياً من الأسنان كالجد العجوز!

وتحسس أسنانه الأخرى، بطرف لسانه الواحدة تلو الأخرى. لا، لم تكن تهتز أو تتحرك.

لكن سنّه هذه ترتجف، فكيف ستقع؟

هل سينزف دماء كثيرة؟ هل ستعذبه هذه السن وستولمه ألماً فظيعاً؟

وشرحت له أمه: «إنها مجرد سن من أسنان الحليب، ستسقط ومن ثم سيصبح لديك أسنان قرش كبير راشد.

لا تقلق! لن تشعر بشيء.

أسنانك الجديدة لن تقع وستكون أقوى

والآن، اذهب والعب هيا!»

لكن القرش الأزرق الصغير كان أصفر من الخوف

أصفر مائل إلى الرمادي بالنسبة إلى قرش.

كان يتخيل مشاهد دموية.

وفي الليل، يرى كوابيس مريعة.

حيث يستيقظ من دون أسنان، يدافع بها عن نفسه.

كوابيس تهتز فيها أسنانه كلها في آن معاً.

وكانت أمه تمازحه، «قرش كبير مثلك!

أتترك سناً صغيرة تافهة تزعجك!

ألا تخجل من نفسك؟»

لا لم يكن غدار يشعر بالخجل.

إذ اكتشف لتوه معنى الهم،

وهو ذاك الشيء الصغير الذي يزعجك في أعماق نفسك.

وهو لا يتركك لحالك ولو للحظة.

إنها سن صغيرة تافهة

لكنها تمتص كل ما لديه كقرش من قوة!

ولم يعد غدار الجبار يتباهى بنفسه

في وسط المحيط الفسيح.

ولم يعد يلاحق أسراب الأسماك

أو يسخر من السمكة ـ المهرجة

أو يلتهم صدفة بعض أسماك السلّور المفترسة.

كل الأسماك الصغيرة ما زالت تتذكر

ذاك الوقت حين لم يعد غدّار الجبار يثير أيّ خوف يُذكر!

وراح جانباه المفتولا العضلات يترهلان

أخذ غدّار الجبار يفقد من وزنه ويضعف.

وقبع منزوياً خلف صخرته التي وضع عليها لافتة: هتي الجميل.

ضحكت أمه ساخرة: «كيف يمكنك أن تتحدث عن همّ؟

فالهم كلمة لأسماك القرش الكبيرة

الهم هو ألاّ تجد ما تأكله ولا حتى سمكة صغيرة

الهم هو أن تلاحقك بندقية غطّاس مسننة.

إنها أمور أخطر من سقوط أسنان الحليب».

لم يجبها غدّار الجبار.

لكنه راح يفكر في سره: «هذا خطأ.

فالكل لديه هموم

الصغار والكبار».

كان يعلم أنه محق.

فللأولاد همومهم

ولصغار القرش همومهم

وحتى للأطفال الصغار همومهم

حين يشعرون بألم في البطن ويبكون.

هل تعرف نهاية الحكاية؟

في صباح أحد الأيام، فقد غدّار الجبار سنه وهو يغطس ولم يشعر بأيّ ألم.

فدفنها في الرمال، كما هي العادة عند القرش.

كانت السن الأخرى قد بدأت تظهر.

فأصبح لغدّار الجبار أسنانه الجديدة

أسنان أقوى وأجمل من الأولى.

ولاحقاً، عرف هموماً أخرى ووساوس أخرى،

الخوف من بنادق الصيادين الغطاسين

ومن التيارات المعاكسة

ومن كل ما يؤثر على حياة القرش.

لكنه بقي يتذكر دوماً همه الأول.

وعندما يقلقه شيء ما، كان يقول،

«اصبر يا غدّار العزيز!

سيختفي همك كسنك الأولى!

ثم تدفنه في الرمال».

وكان يقول أيضاً: «الهموم تأتي وتروح.

وتمر علينا كسنٍ تقع».

كما اعتاد أن يقول،

«هذا الهم الصغير لن يلتهم هذا القرش الكبير!»

ويعود للنوم بأمان كطفل صغير.

وهكذا، أدرك غدّار الجبار أننا دوماً أكبر،

أكبر من الهم الصغير.

ما قصة الخوف من طبيب الأسنان وظهور الهموم الصغيرة؟

● القراءة الأولى: الخوف من الأسنان التي تسقط ومن طبيب الأسنان

يرتبط سقوط الأسنان في الخيال بخسارة القوة. ويشعر بعض الأولاد بخوف عظيم من فكرة فقدان أسنان الحليب. أليس هذا هو الحداد الأول، أول تنازل يُقدّم لعالم الكبار؟ ولعل هذا ما يجعل قصّة الفارة الصغيرة ضرورية، فهي تجعل «المسألة تمرّ على خير» وتضع هذه الأمور كلها في عالم الطفولة الخيالي والسحري.

وكي لا تزيدي من خوفه وقلقه، تجنّبي ملاحقته وتفحّص فمه مراراً وتكراراً بشيء من القلق، لتري إن كانت الأسنان النهائية تظهر. ولا تحاولي استباق الأمور أو استعجالها عبر نزع أسنانه الأولى. فهي ستسقط عاجلاً أم آجلاً ومن دون أيّ مشكلة!

تجنّبي إخافته بطبيب الأسنان كل ليلة: «إن لم تنظّف أسنانك فسنذهب إلى عيادة الطبيب، وهذا ليس بالأمر المسلي! بل إنه يؤلم كثيراً». يجب تجنّب مثل هذا الكلام حتى وإن رغبنا في قوله. يُفضّل أن تتحدّثي عن الوقت الذي سيضيع إذا ما ذهبتما لرؤية طبيب الأسنان: «بدلاً من أن تلعب، ستضطر للذهاب إلى الطبيب ليعاين أسنانك». في ما يتعلق بالعلاقة بطبيب الأسنان، يُفضّل أن تأخذيه إليه في وقت مبكر، أي قرابة سن الثالثة أو الرابعة، في زيارة تعارف وديّة (يُفضّل أن يكون طبيب العائلة).

دعيه يتأمل الكرسي الكبير والمعدات، الخ...

● القراءة الثانية: المخاوف والهموم الأولى

الهموم ليست مرتبطة دوماً بسن الرشد! حتى وإن بدت لنا هموم أولادنا تافهة وعادية، ينبغي ألاّ نسخر منها. يجب تجنّب العبارات القاطعة مثل «ألا تخجل من نفسك» أو «أنت، في مثل هذه السن» التي تدفعه إلى كبت مخاوفه.

ما من وصفة جاهزة لمعالجة المخاوف. ربما يكفي أن نحيط الطفل بجو هادئ ومسترخٍ بدلاً من الضغط النفسي وأن نتجنّب تأكيد فكرة أن العالم لا يرحم، وأننا نعيش في عالم تسود فيه شريعة الغاب، الخ...

ناقشوا الأمر معه

يصادف الكل من حين إلى آخر هموماً معينة. وهذا ينطبق على الأمهات والآباء والأولاد أيضاً فما من داعي للخجل. المهم هو أن نتحدث عما يشغلنا لئلا يبقى في داخلنا. عندما لا نتحدث عن هذه الهموم الصغيرة، نشعر أحياناً وكأنها عالقة في بطوننا أو حناجرنا أو رؤوسنا فتسبب لنا الألم.

في هذه القصة، يشعر غدّار بالقلق لأنّ سنه ستقع. لعل هذا يبدو لك غريباً؟ لكن كل واحد منا لديه ما يقلقه: الخوف من الظلام، الخوف من المدرسة أو الخوف من الأماكن العالية. تبقى المسألة الأساسية أن نقول إنّ هذا الهم سيختفي يوماً ما. ولعل هذا سيحصل عندما نصبح كباراً.

قصة الفتى الطويل الخجول

كان يا ما كان، في مدرسة من الكرتون

صبياً طويلاً من الكرتون مطوياً أربع طيات يسمونه «الأحمق الكبير».

كل يوم، كان يصل مطوياً، مجعداً، مغضناً.

ولم يكن مطوياً من كثرة الضحك، لا بل كدجاجة من ورق.

وكان الآخرون يقولون له:

«افرد نفسك! هيا، ستصاب بألم في البطن.

أو «آه، كم هو خجول، هذا الأحمر الكبير!»

ولم يعد يسمع إلا مثل هذا الكلام، هذا الصبي الطويل من ورق:

«خجل»، «خجول»

كما كان يسمع أيضاً: «أبله»، «بليد»

«أخرق»، «ابن أمه»...

ولم يعد يعرف أن يكون سوى كذلك.

وهذا طبيعي حين لا تسمع إلا كلاماً كهذا.

عندما تسمع «يا له من ولد شرير»، ترغب في أن تكون شريراً.

عندما تسمع «يا له من ولد جبان»، تحمر خجلاً

لم يناده أحد باسمه يوماً.

بل كانوا يقولون: «آه، انظر! هذا الأحمر الكبير.

مرحباً أيها الخجول».

كيف يفرد طوله؟

لقد حاول الأحمر الكبير مراراً

لكن عموده الفقري أصبح تنيلاً

وهذا وضع صعب حتى وإن كنا من ورق.

كان يود أن يتصرف كالآخرين

الآخرون الذين يشبهون اللوحات

لأنهم يمسكون بأيدي بعضهم البعض.

الآخرون الذين يتنسون ويفردون أجسادهم كقطع ورق صغيرة خفيفة والذين يطيرون ويمرحون ويضحكون في الهواء.

لكنه كان يبقى مطوياً.

في درس الحساب، كان ينطوي ثماني عشرة طية وفي درس القراءة، كان ينطوي على شكل مغلف

وفي الاستراحات، يتحول إلى مربع صغير صغير

مغضن بشكل عظيم.

وعندما يشعر برغبة في الضحك، يتقلص بعض الشيء، لكن هذا لا يدوم سوى ثلاث ثوانٍ ليس إلا.

وفي أحد الأيام، قال له أحدهم: «أيها الأحمر الكبير!

أنا واثق من أنك قادر على أن تتحول إلى قبعة!»

احمر الأحمر الكبير وانطوى أكثر على نفسه

وأصبح يشبه نصف دجاجة مطوية ست طيات.

ودجاجة حمراء أيضاً.

لكن ليلى، الفتاة الصغيرة الماكرة، كانت تمر بالمكان فأصرت: «هيا! تحول إلى قبعة.

ماذا تنتظر لتتحول إلى قبعة مثلثة الأطراف؟

هيا، أظهر بعض الشجاعة يا فتى».

ويا للمفاجأة حين حاول الأحمر الكبير.

فمدّ يداً ومن ثم الأخرى...

وفي لمح البصر، أصبح قبعة من ورق.

«رائع! قالت الفتاة الصغيرة الماكرة.

والآن، لنرى إن كنت تستطيع أن تتحوّل إلى مركب!».

- مركب؟ هذا غاية في السهولة!

قال الفتى الخجول هذا وهو يمدّ ذراعيه الكبيرتين قبل أن يخرج رأسه كمقدّمة سفينة.

وعاد الأحمر الكبير يقول: «آه، هذا مذهل!

أشعر أنني في أحسن حال كمركب».

صفقت الفتاة الصغيرة الذكية وقالت:

«أرأيت، أنت قادر على أن تكون شخصاً آخر غير الفتى الخجول».

شكر الأحمر الكبير الفتاة الصغيرة الذكية التي أصبح بفضلها شخصاً آخر غير الأحمر الكبير الخجول الأشبه بجريدة مطوية.

قال: «أشعر أنني أستطيع أن أتحوّل إلى قدح، إلى قفزة، إلى حوض استحمام، إلى سفينة قراصنة، إلى ركلة وإلى ألف شكل وشكل».

وعند المساء، عاد الأحمر الكبير فارداً طوله إلى بيته فملأ السرور قلب والدته!

نجلا، الساحرة الخجلى

نجلا ساحرة صغيرة خجولة إلى حدّ فظيع.

(والساحرات يعانين دوماً من شيء ما إلى حدّ فظيع أو مريع أو كارثي).

فهي تحمرّ خجلاً أمام الأمراء الوسيمين وتتلعثم عند رؤية ضفدع وتفرّ هاربة عندما يمرّ بها هرّ أسود.

عندما يُقال لها:

«نجلا، أرينا بعض عروض السحر التي تعلّمتها في المدرسة».

أتعلم ماذا تفعل؟

تتحوّل إلى ضفدع صغير، إلى نملة أو فأرة، إلى ذبابة صغيرة أو عنكبوتة أو سرطان.

تتحوّل إلى أصغر ما في الكون وإلى أتفه ما في الطبيعة.

وهكذا، لا يلاحظها أحد!

حتى كاد أحدهم يدوسها ذات يوم!

في سن السادسة، وبسبب خجلها لم تكن نجلا تنال علامات عالية في السحر.

عندما تناديها المدرسة إلى اللوح الأسود كانت تتحوّل إلى قطعة طبشور.

وفي الملعب، كانت تتأمّل طرفي قدميها المستدقي الرأس وتقضم أظافرها الصغيرة فيما تلعب صديقاتها بألعابهن المفضّلة والمبتكرة.

وعلى دفتر العلامات، كتبت معلمتها:

«لا تتكلم. لا تشارك. خجولة جداً».

وهذه صفات خطيرة جداً عند الساحرات.

بل هي أسوأ من الوقاحة والفظاظة.

في المنزل، كان والداها يجادلانها قليلاً

«كيف تريدين أن تنجح عروضك إن كنت تحمرين طيلة الوقت؟».

وكانا يقولان لها: «انظري إلى كل ما فعلناه من أجلك!».

صحيح أنهما فعلا الكثير من أجلها!

فقد بنيا لها منزلاً صغيراً للعب وبركة جميلة سوداء قاتمة مليئة بطيور الوطواط،

ولعبة مكانس طائرة، ومنزلاً مسكوناً بخمسة عشر ألف شبح، وحلبة تزحلق تضحك هازئة حين تتزحلق عليها...

وكلها أمور تعجب الساحرات الصغيرات أشد العجب!

كل هذه الألعاب صنعاها بأيديهما!

ولأنهما كانا يشعران بالحزن لأن ابنتهما ساحرة صغيرة خجولة

اعتادا أن يفعلا الكثير بدلاً منها.

كانا يتحدثان بدلاً عنها، ويردان بدلاً عنها

ويقومان بعروض السحر كلها بدلاً عنها.

لكن نجلا كانت تشعر أحياناً بالاختناق.

كل ما لا تقوله وما لا تفعله يتراكم في داخلها.

فالكلمات لا تطير في الهواء، ولا تضيع في الفضاء.

وكان أبوها وأمها يتساءلان أحياناً كيف أنجبا، وهما زعيما السحر الكبيران، مثل هذه الفتاة الصغيرة الخجولة الخجولة.

كانت الأم تقول: «هذا غريب فعلاً.

ما من أحد خجول في الأسرة.

لا سيبل ولا كيبل ولا حتى شرشبيل».

وفي إحدى الأمسيات، أقام والدا نجلا حفلاً راقياً على شرف الأم التي نالت مكافأة في قضايا السحر العليا. وعندما ترجّل أول المدعوين عن مكانسهم وقد شعث الهواء شعورهم، سارعت نجلا إلى تحويل نفسها إلى بزّاقة (كان الجو ماطراً في الخارج).

وبقيت هناك تحت المطر لساعات وساعات.

تقوقعت في صدفتها وهي تصف خجلها بكلمات لم تخرج من القوقعة.

لكن البزّاق يصاب بالرشح وحتى بالتهاب الرئة.

وعندما حلّ المساء، عادت نجلا إلى الدار وقد ارتفعت حرارتها كثيراً لتصبح أربعين وأصيبت بزكام شديد.

وضعتها أمها في السرير وأحضرت لها شراباً سحرياً محضّراً من لُعاب الفيل وأظافر فرس النهر وكمادات من الخفافيش.

لكن نجلا رفضت تناوله!

وقالت: «لا، توقفي عن العمل بدلاً مني. هذا كثير وقد طفح الكيل. علي أن أداوي نفسي بنفسي وأن أحضّر شرابي السحري بيدي».

هذا التصرف فاجأ الأم كثيراً.

ولعلها ظنت أن نجلا تهذي من شدة الحمى؟

لكن لا.

فقد حضرت نجلا شراباً صغيراً شفاها.

ومنذ ذاك الحين، استعادت ثقتها بنفسها ولم تعد أبداً خجلى.

وبعد حين، أصبحت ساحرة عظيمة متخصصة في المستحضرات الطبية ولم تحاول أبداً أن تتحول إلى ضفدع صغير أو عنكبوتة أو سلحفاة أو أيّ حيوان آخر صغير صغير وسخيف.

ما قصة الأولاد الخجولين

يلتصق بك، يحمرّ خجلاً، يخفض رأسه، لا يلقي التحية... باختصار، طفلك الصغير خجول كبير. لكن، إن كان يمرّ بمرحلة صعبة فلا تصرّي على الموضوع!

ما العمل؟

لا تصفيه «بالخجول» أبداً ولا تقولي أمام الآخرين: «ابني خجول جداً». عندئذ، سيقتنع الطفل بأنه خجول ويصبح كذلك، وذلك ليتطابق مع وصفك له ليس إلا؛ أي أنّ الطفل الحساس جداً على مستوى هويته الشخصية، يسعى لأن يصبح ما يقوله الآخرون عنه.

إذا التصق ولدك بك ورفض رؤية أصدقائه أو حتى الخروج، فيمكن للأب أن يحل محلك، لا سيما إذا كان الطفل صبياً. لعل الولد ملتصق قليلاً بأمه؟

يمكن للوالدين صاحبي النوايا الحسنة والمشاعر الطيّبة أن يعززا خجل الطفل وكبته. إن كنا نفعل كل شيء بدلاً عنه، فكيف يمكن له أن يطوّر ثقته بنفسه؟

عدم الثقة بنفسه قد تتأتى عن شعور بعدم الأمان على المستوى العاطفي،

فهو يخشى ألا يحبه أهله بطريقة مطلقة وغير مشروطة. لعله سمع كلمات تعيسة مثل: «إذا لم تتوقّف عن فعل هذا، فلن أحبك» أو «سأضعك في مدرسة داخلية إن تصرّفت بشكل لا يطاق» الخ... ربما يشعر بأنّ حب والديه مشروط؟ وأحياناً، يساهم الوالدان النشيطان جداً والمتطلبان والموهوبان جداً في زيادة خجل الولد.

ناقشوا الأمر معه

«هل تشعر بأنك تخاف من الآخرين؟ ترغب بالاقتراب منهم وبالانفتاح وبالتواصل معهم، لكن شيئاً ما في داخلك يمنعك ويقول لك: «لن أتمكّن من ذلك، سوف ينبذونني».

هل تخشى ما قد يقولونه عنك؟ أتعلم، لا يمكن للشخص أن يعجب كل الناس. ثمة أشخاص تحبهم كثيراً؛ أما الآخرين فالأمر ليس مهماً جداً.

هل يخطر لك من حين إلى آخر: «هذا، لن أنجح فيه أبداً، فأنا لست جيداً بما يكفي»؟ في الواقع، غالباً ما نفشل لأننا لا نملك ما يكفي من الثقة بالنفس. يكفي أن تؤمن بنفسك لتنجح».

الولد الذي يشعر بالملل والولد الذي يلعب وحده

كان يا ما كان، كان هناك ولد يشعر بالملل.

كان يشعر بالملل في السينما وفي صالة الرياضة

وعلى دراجته الهوائية، وفي العطلات، وفي المدرسة

وهو يأكل البسكويت، وهو يتناول المثلجات

وهو يلعب الورق أو الدومينو أو بلعبة الفيديو أو برجله الآلي العملاق.

ولهذا، كانوا يسمونه «الولد الذي يشعر بالملل».

قبل أن يولد، كان يشعر بالملل وهو يجلس في زاوية من زوايا بطن أمه.

وحرد، فشبك ذراعيه وزمّ فمه.

ورفض أن يلعب بالحبل السرّي

(التي يُقال إنها أول لعبة في العالم)، وأن يتشقلب في المياه، كما يفعل الأولاد - الأسماك كلهم.

اليوم أيضاً لم يتغيّر الوضع.

كان الولد الذي يشعر بالملل يجلس في إحدى زوايا غرفته شابكاً ذراعيه، متنهداً طيلة النهار.

من حين إلى آخر، وبشكل مفاجىء وبالصدفة، كان يتسلى لربع ثانية.

عندما يلتهم رجلاً آلياً أكولاً جيشاً من ستمائة رجل،

عندما يظهر السواد التام على شاشة السينما،

عندما يلاحق الديناصور حيواناً صغيراً وهو يكشر عن أنيابه،

حينما يُقدّم قالب حلوى عيد الميلاد الذي تعلوه الشموع،

حينما يمزّق ورقة هدايا الميلاد.

في هذه اللحظات، كان قلبه يخفق بشيء من السرعة.

وللحظة، كان لا يشعر بالملل

لكن، ما إن ينهي الرجل الآلي الأكول طعامه

وما إن يفر الحيوان الصغير من أمام الديناصور

وما إن تطفأ الشموع وتمزّق الأوراق، يعود ويتنهد.

«كم يُشعرني هذا الرجل الآلي الآتي من الفضاء، والذي يأكل أهل المريخ بالملل.

وكم تشعرني بالملل كافة الديناصورات والحيوانات».

وكان يطالب بهدايا أخرى ويسأل من دون توقّف:

«متى يحين عيد ميلادي؟».

ويقول أيضاً: «لا أريد هذه الألعاب كلها!

اشتري لي سيارة تُوقِّه عن بعد!»

وكان يبكي ويبكي بفم مزموم.

لأنّ أسهل الحلول عندما تشعر بالملل هو البكاء.

كانت أمه تحكّ رأسها وتتساءل ماذا عليها أن تفعل.

لقد جربت كافة الحلول، رفع القدمين على الحائط، وتكشيرات القرود

والشعر المستعار الأخضر والأزرق

كما تنكّرت على شكل حبة طماطم حمراء

وعبوة كوكا كولا، وكطفل مستاء.

لكنه لم يبتسم حتى!

وبما أنّ شيئاً لم ينجح أخذت الولد الذي يشعر بالملل إلى الطبيب.

«همم. همم. لا أرى أيّ مشكلة».

هذا ما قاله الطبيب بعد أن فحص عينيه (اللتين تبكيان كثيراً)،

وفمه المزموم دوماً

وقلبه الثقيل كالحجر.

ووصف له الطبيب

بعض الكتب المسلية، والرسوم المتحركة الظريفة.

والألعاب المضحكة والرياضات العنيفة.

وقال: «للأسف، ليس لدي شراب سحري يجعله يضحك كالمجنون».

وأضاف من دون اقتناع:

«خذيه إلى الحديقة حيث يرى غيره من الأطفال.

من يعلم، كلما زاد العدد، ازداد المرح!».

لكن الأولاد الآخرين كانوا يلعبون اللقيطة ولعبة الورق وبالكرة

ألعاب يعتبرها الولد الذي يشعر بالملل مملة جداً.

لكن، وفي أحد الأيام، حصل أمر غريب للولد الذي يشعر بالملل.

ففي الحديقة العامة الصغيرة، وفيما كان جالساً شابكاً ذراعيه على مقعد صغير،

رأى الولد الذي يلعب لوحده أمامه جالساً على العشب.

كانت عيناه تلمعان، وزاويتا فمه تبتسمان.

ولعل الأغرب هو تلك العلبة الصغيرة الفارغة أمامه.

اقترب الولد الذي يشعر بالملل منه وسأله بنبرة متكبرة: «ماذا تفعل؟».

فأجابه الولد الذي يلعب وحده:

- ألعب. أتسلى. ألا ترى هذا؟

وأغلق علبته الصغيرة.

- هذا مستحيل.

هذا ما قاله الولد الذي يشعر بالملل بصوته الصغير الرفيع، وأضاف:

«ما من أحد يتسلى بعلبة فارغة!».

لم يجبه الولد الذي يلعب وحده،

لكنه فتح علبته من جديد.

«إنها علبة جبن قديمة وقذرة!

علبة قديمة ووسخة!».

قال هذا الولد الذي يشعر بالملل بصوته البكّاء.

فرد الولد الذي يلعب وحده: «لعلها علبة قديمة وسخة لكنها ليست فارغة.

انظر، أترى الفيلة السبعة التي تقوم بالحراسة في علبتي، لأن الأسود ستصل من الأدغال».

وأغلق العلبة.

«إنني أغلقها لئلا تهرب.

حسناً، ها هي سجينة.

وهي تحتوي أيضاً عشرة من طيور البجع (وفتح العلبة مجدداً).

أترى تلك الطيور بمنقارها الطويل والجيب الصغير الذي تحته؟

لن تحزر أبداً ما تضعه في ذلك الجيب الصغير!

غطاء من الصوف لأشهر الشتاء،

ومنبه لإيقاظها وإخراجها من السرير في الصباح، وثلاثة طيور بجع صغيرة!».

وهمس الولد الذي يلعب وحده وكأنه يكلّم نفسه،

«جيب كهذا عمليّ جداً

هي لديها جيب وأنا لديّ علبتي.

على أيّ حال، سأغلقها

لأني أسمع جيشاً من الأسود قادماً».

وأدار الولد الذي يلعب وحده عينيه،

«الأسود تعشق طيور البجع».

علّق الولد الذي يشعر بالملل: «أحقاً؟

كنت أعلم أنها تأكل الغزلان والإبلة والزرافات لكنني لم أقرأ يوماً أنّ الأسود تأكل طيور البجع».

فردّ الولد الذي يلعب وحده: «ولا أنا. لكن يسهل تخيّل ذلك، أليس كذلك؟

أنا أتخيّل وأخترع ذلك في رأسي.

طيور البجع، يجب حمايتها بأيّ ثمن».

وأغلق العلبة.

ثم قال: «حسناً، لقد رحلت الأسود. نلت منها حقاً!».

وراح الولد الذي يلعب وحده يضحك وحده.

«الآن، إذا ما فتحت العلبة

(وفتحها ببطء وعناية شديدين)

سترتفع نحو السماء، وترحل.

انظر! ها هي تطير فوق المحيط، مع صغارها في جيوبها. تبدو سعيدة!».

ورفع الولد الذي يشعر بالملل رأسه، مفتوناً

رغم أنه يعلم أنّ ما من شيء ليراه.

وعاد الولد الذي يلعب وحده يقول:

«في علبتي الكثير الكثير من الحكايات الأخرى

هناك مئة، وألف، وثلاثة ملايين فكرة

خمسمائة وخمسين مليار مليون طائر بجع!».

كانت عينا الولد الذي يلعب وحده تلمعان.

ابتسم الولد الذي يشعر بالملل.

وأدرك أنه سواء أكان لديه علبة أم لا

فآلاف وملايين الألعاب يمكن أن تخرج من رأس طفل صغير.

وفهم ذلك جيداً بحيث قال له:

«أظن أنّ علبتك كرأسك تقريباً

تفتحها وتغلقها وتفعل بها ما تشاء».

فقال الولد الذي يلعب وحده،

«أنت أيضاً، يمكنك أن تفعل الشيء نفسه!

كل ما تحتاجه هو بعض البودرة السحرية».

وقلب علبته بعناية شديدة،

وقام بخدعة صغيرة ثم فتحها من جديد.

قال للولد الذي يشعر بالملل: «أعطني يدك».

ومدّ له يده التي لم تكن تحمل شيئاً.

«إليك بعض البودرة السحرية من علبتي السحرية.

اسكبها في علبتك؛

وانتظر أربع وعشرين ساعة (نهار وليلة)،

وسترى لصوصاً وفرساناً وجنيات وديناصورات وكل ما تشاء.

بعدئذ، كيف يمكنك أن تشعر بالملل؟».

وضحك الولدان وراحا يخترعان حكاية جديدة.

ما قصة الولد الذي لا يعرف كيف يلعب وحده؟

لا يكتسب الولد الاستقلالية في أربع وعشرين ساعة. ومن الطبيعي جداً حتى سن السادسة تقريباً أن يتوقّف الولد عن التركيز بشكل متكرر كل عشرين أو ثلاثين دقيقة تقريباً.

طوّروا قدرته على الإبداع

إذا ما لم يتوقّف عن العودة إليك للشكوى والتذمر، فاطرحي على نفسك بعض الأسئلة:

– هل أنت (أو الأشخاص الذين يرعونه) تميلين إلى توجيهه كثيراً؟ هل تشغّلين غالباً التلفاز؟ هل تميلين بسهولة إلى اختيار النشاطات «الجاهزة»؟

– هل برنامج نشاطات طفلك مثقل أثناء الأسبوع؟ في هذه الحالة، لعله سيشعر بالملل ما إن يكون لديه لحظة فراغ. لتطوير القدرة على الإبداع لديهم، يحتاج الأولاد لشواطىء صغيرة من الكسل والبطالة والحلم.

باختصار، طوّري قدرة طفلك على الإبداع. إذا أعلن أنه يشعر بالملل، فلا تسارعي في كل مرة إلى تلبية طلباته ونزواته. من الجيد أن تخصصي بعض الوقت لتلعبا معاً وأوقات أخرى حيث يلعب وحده.

سالمة الحالمة

كانت سالمة حالمة دوماً!

بدت دوماً في عالم آخر

في القمر أو على المريخ أو زحل أو عطارد...

على أيّ حال، بعيدة بعيدة عن الأرض.

كان المعلم يقول: «سالمة إلى اللوح».

فتتوجه إلى الباحة.

ويقول لها المعلم: «سالمة، اقرئي لي شعراً».

فتغني له أغنية.

وفي موعد تناول الطعام

كانت سالمة ترتدي ملابس الرياضة،

وفي حصة الرياضة، كانت تتأمل الكرة بما يشبه الحلم...

وتنسى رميها مجدداً!

وفي الصباح، كانت تضع ملابس نومها في الثلاجة

وتسكب صحناً كبيراً من العسل بدلاً من حبوب الفطور

ثم تنظّف أسنانها بالمايونيز

وتضع سروالها على رأسها كقبعة.

كان والداها يسألانها:

«يا إلهي يا سالمة! أين عقلك؟».

كان والد سالمة

الذي يعمل كمراقب للطائرات في الجو،

يشدّها من أذنها غالباً:

«هل تتخيلين كم من طائرة كانت لتتحطم

لو أني لست موجوداً لأنظم حركة المرور في السماء،

لو بقيت أحلم مثلك؟

أين أنت يا سالمة؟».

أين كانت؟ يا له من ذكي من يجيب عن هكذا سؤال، هل هي

على القمر أم على المريخ أم عطارد أم زحل؟

أحياناً، كانت سالمة تشعر بالحزن وأحياناً أخرى بالملل.

لكنها كانت تحلم دوماً، وتقول:

«عندما أكبر، سأسافر إلى كواكب أخرى

سأصبح رائدة فضاء!».

فيجيب أبوها ضاحكاً: «رائدة فضاء؟

فكّري أولاً في أن تصبحي معلمة جغرافيا.

سيكون هذا أفضل.

فالنجاح في المستقبل يا فتاة يتطلب التخفيف من الأحلام».

حاولت سالمة أن تبذل بعض الجهود لتصبح معلمة جغرافيا جيدة.

في المدرسة، كانت تقطّب جبينها لتستمع إلى الأستاذ.

لكن هذا لا يدوم سوى ثانيتين اثنتين،

ليقفز فكرها نحو الغيمة الرمادية الكبيرة وتبقى عيناها غائمتين.

وكان الأستاذ يعلم جيداً أنها لا تستمع إليه فالأولاد الوديعون جداً

يجهدون ليكونوا وديعين ولا يستمعون إلى ما يقال.

وفي أحد الأيام، استدعى مدير المدرسة والديّ سالمة.

«هذا غير معـ ـقول! إنها تز ـ عج ـ الجـ ـميع!

هذه و ـ قا ـ حة!».

راح المدير يشدد على كل حرف من كلماته لشدة ما خشي أن

يكون والداها مثلها لا يستمعان. لكن والديّ سالمة جلسا مستقيمين

كلوحي خشب.

لم يكونا يحلمان كثيراً بل يعملان طويلاً.

لم يكن هناك مكان للحلم لديهما.

ولعل هذا ما جعل سالمة تحلم كثيراً.

عندما خرجا من مكتب المدير،

قال الوالد لسالمة: «خيّبتِ أملي».

وهذا يعني: «أنت لست كما أريدك.

أنت أنتِ ولست أنا».

علماً أن سالمة حاولت أن تبذل بعض الجهد لكن الغيمة الرمادية

الكبيرة في رأسها كانت تدفعها دوماً بعيداً عن ذاتها.

كان عقلها أشبه بطائرة تقلع كلما سنحت له الفرصة!

وهذا أفضل طبعاً من أن تشعر بالملل، أليس كذلك؟

وهذا أفضل بحسب سالمة من هذا العالم المخيف حيث عليها أن تحسب وتتعلم القراءة وأن تراقب حركة الطائرات في السماء...

كما لو أننا لا نستطيع أن نترك هذه الطائرات المسكينة تحلم وتخط طريقها بنفسها بسكينة!

وكانت سالمة تقول، «عندما أكبر، سأصبح رائدة فضاء».

عندما كبرت سالمة أخذت تقرأ الكتب وتسمع الموسيقى وتعزف على الكمان وتؤلف الجميل من الألحان

عندئذ، تخلّت عن رغبتها في أن تصبح رائدة فضاء.

تخلّت عنها تماماً، كما تخلت عن طيشها.

وبين ليلة وضحاها، صارت تملأ صحنها بالكورن فليكس وليس بالعسل؛

ولم تعد تنظف أسنانها بالمايونيز بل بمعجون بطعم الفراولة؛

ولم تعد تضع ثياب نومها في الثلاجة؛

وراحت تضع قبعات جميلة ذات شرائط من الساتان بدلاً من سراويلها الداخلية!

لأن بعض الأولاد يبقون هنا وعلى الأرض.

في حين أن آخرين، ولسبب أو لآخر،

يعيشون في عالم آخر.

(لأن الوالدين يتشاجران

أو لأنهم ليسوا سعداء في المدرسة

أو لأنهم يشعرون بالملل

أو لأيّ سبب آخر لا يعنينا).

أيعيشون على القمر؟ يصعب علينا الرد عن هذا السؤال.

إذ يمكن أن يكون على المريخ أو عطارد أو زحل أو حتى على قيمة كبيرة رمادية.

في عالم آخر حيث يشعرون بالأمان وأحياناً يعزفون على البيانو، أو يقرأون الكتب أو يلعبون الورق.

على أيّ حال، إنهم في المكان الذي ينتمون إليه.

وهذا هو المهم والأهم.

ما قصة الولد الحالم طوال الوقت؟

كم من مرّة نسمع هذه العبارة؟ وكم من مرة سمعناها حين كنا صغاراً؟ هذه هي الوجهة المفضّلة للأطفال في أيامنا هذه بحسب أطباء الأطفال! تلميذ من أصل عشرة يعيش غالباً في الحلم. وتؤكد طبيبة الأطفال أدويغ انتييه في كتابها «أساعد طفلي على التركيز»: «أنّ اضطرابات التركيز هي السبب الرئيسي للمشاكل الدراسية».

شرود وتركيز

حللي نوع شروده. هل هو إيجابي: الولد يفكّر، يحب أن يلعب، هل هو مأخوذ بهذا النشاط أو ذلك؟ أم أنّ شروده سلبي: هل يبدو حزيناً وقلقاً، هل هو وحيد؟ ولمساعدتك، اسألي المعلمة أو حددي موعداً مع طبيبه إذا ما اضطر الأمر.

ساعديه على أن يكتسب وتيرة حياة جيدة: حثّيه على أن يخلد إلى النوم باكراً. مراحل النوم ضرورية للتركيز.

حذاري التلفزيون! لا تدعيه يشاهد التلفزيون في الصباح وفي وقت متأخر من الليل. وهذا لا يعني إلغاء التلفزيون (فهذا سيدفعه للتعلّق به

أكثر) بل تحديد أوقات معيّنة لمشاهدته: الحل المثالي هو تخصيص أواخر النهار لمشاهدة التلفزيون بعد الانتهاء من الدرس وقبل تناول العشاء أو في الأيام الماطرة طبعاً.

لا تكثري من النشاطات الإضافية: لاحظنا أن تركيز الولد يتراجع حين يكون برنامجه اليومي حافلاً بالنشاطات. أليس هذا منطقياً؟ يجب أن نترك له مساحة كافية ليحلم.

لا تحوّلي الأمر إلى هوس أو تجبريه: حتى وإن كنت تحاولين زيادة قدراته، لا تتجاوزي مدة التركيز المناسبة لعمره (30 دقيقة في سن السادسة، 40 دقيقة في سن العاشرة، 45 دقيقة في سن الحادية عشر).

ناقشوا الأمر معه

«أحياناً نكون في عالم آخر تماماً، في عالم خاص بنا. وربما يعود السبب إلى أننا لسنا سعداء من أنفسنا أو على العكس لأننا نركّز تماماً على عمل نحب أن نقوم به.

من الجيد أن يكون للمرء لحظات يحلم فيها، لا بل إنّ هذا طبيعي. جميل أن نحلم وأن نتخيّل ما يمكن أن يحدث أو لا يحدث. لكن ينبغي أحياناً «أن نعود إلى الأرض» وأن نركّز على ما نفعله. في المدرسة مثلاً، حين تستمع إلى المعلمة أو تلعب مع أصدقائك، يجب أن تبقي قدميك على الأرض وأن تكون حاضراً.

يحق لك طبعاً أن تحتفظ بالأسرار وأن يكون لك عالمك الخاص. لكن، إن شعرت بالحزن أو بالهم فأود لو تخبرني. اعلم أني ساكون دوماً إلى جانبك لأستمع إليك وأنصحك».

الأميرة وردة تبتسم كثيراً!

كان يا ما كان في قصر باراتان
أميرة صغيرة ولدت لتوها
في مهدها الملكي.
اسمها وردة
بسبب خدّيها الحمراوين
ولأنّ الورود تبتسم في الحقول
ولا تزعج أحد.
عندما يداعبها الريح
تتمايل من دون أن تنطق بكلمة
وتتحول أوراقها الحمراء
إلى ثوب أشبه بثوب راقصة الباليه.
ذاك الصباح، كان ملك وملكة باراتان
يحتفلان بتعميد الأميرة.
وكانت ملكة باراتان قد دعت
كافة الجنيات العرابات الأكثر رقّة
والأكثر تهذيباً ورقياً،
وقالت لهن:
«ابذلن قصارى جهدكن
أرغب في أن تكون ابنتي الصغيرة

دائمة الابتسام، فاتنة

وقليلة الكلام.

أكره الأولاد الصياحين

والأولاد الذين يتحدثون عند تناول الطعام

والأولاد الذين يصرخون والذين يبكون

من دون أن ندعوهم لذلك».

نقضت الملكة مرة أخيرة

ثوبها ذا الذيل الذي يبلغ طوله ثلاثمائة وأربعين متراً

ورتّب الملك ربطة عنقه المرصّعة بالياقوت

وبدأ التعميد.

اقتربت الجنية ابتسام من المهد

ونطقت بصوت خفيف:

«لن تبكي أبداً،

ولن تنوحي أبداً، ولن تشتكي أبداً».

وقالت لها الجنية شحرورة:

«أبداً، أبداً لن تصرخي

حتى عندما تكونين غير مسرورة.

ستغنين!»

وأشارت الجنية ضحوكة بعصاها

إلى سرّة الأميرة بشكل مهدد وقالت:

«لن تعرفي الحزن أبداً. ستبتسمين دوماً

لأنّ الفتيات الصغيرات لسن ساحرات إلاّ وهن مبتسمات!»

أخيراً، وفي الختام، تنبأت لها أقوى الجنيات، رئيسة الجنيات التي

تدعى تاج الناس:

«ستعجبين كل الناس، والكل سيحبك».

رأى ملك وملكة باراتان

أنّ هذه العطايا حكيمة جداً.

كانت وجنتا الأميرة وردة تحمرّان وهي مستلقية بهدوء في مهدها

من دون أن تبكي، من دون أن تشكو ومن دون أن تطالب.

كانت دوماً موافقة على كل شيء،

حتى حين تتعرض لمكروه!

وفي أحد الأيام، وقعت على حجر كبير

فسال الدم من ركبتها. لكن وبدلاً من أن تبكي

راحت تغني لحناً أيطالياً جميلاً.

وعندما تشعر بالجوع، وبدلاً من أن تصرخ:

«أنا جائعة! أريد حلوى، أريد سكاكر»

كانت تبتسم وتنتظر موعد الوجبات.

حتى معدتها، الشديدة الأدب

لم تكن أبداً تقول «غلوب، بلوب، بولوب، فررشش»

كما تفعل معدة الجياع.

في الحديقة، حين يستولي أحدهم على ألعابها الذهبية كانت

تضحك وتبتسم.

وتقول، «ماذا يمكنني أن أفعل أيضاً لإرضائك؟ هل تريد ثوبي؟ هل تريد دراجتي الهوائية الذهبية المرصّعة بالألماس؟»

وهذا طبعاً تصرّف كريم للغاية.

وكان الكل يقول، «يا لها من فتاة ساحرة!»

لكن، وفي أحد الأيام،

شعرت الأميرة بألم شديد، شديد في بطنها.

حصل هذا ذات صباح،

أحست بحرقة وكأن شيئاً ما يتلوى في البطن الملكي.

لكن الأميرة بقيت تبتسم طبعاً

بحيث لم يدركوا على الفور ما بها.

كانت تقول، «أشعر بألم. أشعر بألم شديد، شديد»، مع ابتسامة عريضة أو مع ضحكة مدوية

فوجد الكل صعوبة في تصديقها.

كانت تئن، «أشعر بألم. آه، يا إلهي، كم أشعر بالألم»

بصوت أبريالي جميل.

قالت الملكة، «لا تخترعي الحكايات يا عزيزتي»،

وقال الملك، «لا تسخري منا. أنت تحزنيننا»،

فردّت وردة، «أرجو أن تعذراني. حسناً كما تشاءان»،

لأنّ الأميرة يجب أن تعجب الناس كلهم بدءً بأهلها.

كانت وردة تتلوى على سريرها من الضحك.

فاتصل أهلها بالطبيب الذي وجد بطنها كبيراً جداً

وقرر إجراء عملية للصغيرة.

كانت عملية طويلة طويلة

ففي داخل البطن، وجد الطبيب

الكثير من الأمور الغريبة،

حبل من الكلام غير مقطوع، وصرخات صغيرة وصياح،

صرخات تعجب وألم، وجدت مخبأ لها هناك.

وجد جملاً مقطوعة، تصرخ:

«لا أريد الابتسام»، «أريد أن أبكي»

«أشعر بالملل»، «طفح الكيل»،

وحماقات، وحماقات...

أخرج منها العشرات،

«أريد أن أقفز على الأسرّة

وأكتب على جدران المملكة».

ودهش كل من في المملكة

لأن هذه الأميرة الصغيرة، الجميلة واللطيفة

تخفي مثل هذه القبح في داخلها!

أما ملكة باراتان فشحب وجهها

وأصبحت على وشك أن تفقد وعيها.

ونامت الأميرة وردة بهدوء وسلام

مستلقية في سريرها العريض.

بدت هادئة كما لو أنها مرّت بنوبة غضب.

وتحدث الطبيب إلى ملك وملكة باراتان:
«هذه الصغيرة تحتفظ بالكثير في داخلها!
يجب أن تتكلم من حين إلى آخر،
وأن تبكي وتشكي وتتذمر».
وعلى الفور استُدعيت العرابات
كي يلغينَ ما قلنه من أمنيات.
وأعلنت الملكة:
«أفضل ابنة صغيرة تبتسم أقل
لكنها لا تعاني من ألم كهذا في البطن».
واستمرت الحياة في قصر باراتان.
وبقي اسم الأميرة وردة
لكن عندما ترفع الرياح ثوبها معاكسة،
كانت تحتج بلطف وتقول:
«أنت أيتها الرياح
هلاّ تركتني بسلام؟».
لقد تغيّرت وردة.
فأصبحت تبتسم أقل وتتكلم أكثر.
لكن الملك والملكة كانا مفتونين بابنتهما الجديدة
التي تحتفظ بالكثير في داخلها.

ما قصة الأولاد الشديدي الوداعة؟

مفهوم «الولد الشديد الوداعة» سيضحك البعض حتماً! لكن، واعتباراً من سن الخامسة أو السادسة، حين يدخل الطفل مرحلة «قبيل البلوغ» (كمون الغرائز)، يحمّل نفسه الكثير من المسؤولية. وأحياناً أكثر من اللازم!

يجب أن يعبّر الولد عن مشاعره

في سن الخامسة أو السادسة، ينتقل الولد إلى المدرسة الابتدائية. وفي هذه المرحلة، يتعرّض لضغط مدرسي واجتماعي كبير كالمحافظة على تركيزه لساعات طويلة. في هذه المرحلة، تظهر بشكل عام آلام البطن وغيرها من الاضطرابات النفسية ـ الجسدية، لا سيّما لدى الأطفال المنطوين على أنفسهم.

لا يعني هذا طبعاً أن نعلّمهم الصراخ أو الزعيق ليُخرجوا ما يكبتونه في داخلهم، بل على العكس من ذلك. فالتربية تستند إلى توجيه وإعلاء هذه الغرائز. لكن ينبغي علينا أن نحثّهم على أن يكونوا على طبيعتهم وأن يعبّروا عما يزعجهم وألاّ يشعروا «بالضغط» من جرّاء نظرة الآخرين. ربما ينبغي إظهار بعض التسامح عند حصول «نوبات إفراغ مشاعر» بسيطة في المنزل...

ناقشوا الأمر معه

من الجيد أن يكون المرء وديعاً جداً، إنما ينبغي أيضاً أن يعبّر عن مشاعره وعن أفكاره. غالباً ما نرغب في إرضاء الجميع، وفي أن نكون لطفاء، وألاّ نعترف بأننا تعساء أو خائبو الأمل أو غير سعداء. فعلى سبيل المثال، إذا خيّب أحد الرفاق أملنا، أو إذا عدنا بنتائج سيئة من المدرسة، فلا نرغب في إخبار الآخرين عند العودة إلى البيت. وبالتالي،

نحتفظ بكل ذاك الحزن في داخلنا فيتكتل ويتحوّل إلى عقد تزعجنا. أحياناً، يجعلنا الصمت وعدم البوح بأفكارنا نشعر بالمرض.

جودا الدودة

في فصل الربيع، عندما تخرج الديدان
من شرانقها
وتتحوّل إلى فراشات،
تحرك أحد جناحيها بالآخر
ويبتدئ هنا رقصة الحرية.
تقارن الفراشات ألوان أثوابها،
برتقالي موشّح بالبني، زهري وأصفر...
وكم يسعدها أن تطير
بعد أن زحفت وتلوّت على الأرض
لسنوات طوال.
لكن جودا الدودة
لم تخرج من شرنقتها
لم تشأ أن تتحوّل إلى فراشة.
بقيت محبوسة، مقيّدة ومتقوقعة
تحت العشرات والمئات من خيوط الحرير.
في الخارج، الكل نفد صبره. فقد حان وقت الخروج!
كان أخوها الكبير يقول: «هلاّ توقّفت عن الحرد!»

ويقول أبوها: «هلاّ خرجت!»
وتقول صديقاتها: «لا تبقي في الداخل فأنت تضايقيننا!»
لكن جودا كانت تشعر أنها بأحسن حال في الداخل، مغلّفة بشرنقة من حرير
وكأنها دبدوب كبير!
كانت تضع خيطاً من الحرير في فمها
ما يسمح لها أن تعلك قليلاً
وأن تخدع جوعها.
لكن هذا لن يدوم طبعاً
ويتوجّب عليها أن تخرج.
إنها كطفل صغير في بطن أمه، أليس كذلك؟
من ناحيتها، كانت الفراشة الأم تشعر بغضب شديد. وتعتقد أنّ ابنتها الصغيرة غير مطيعة.
وكانت تقول: «هذه سنّة الحياة!
كل الديدان الصغيرة تتحوّل يوماً إلى فراشات،
والطيران أمر ممتع بالذات!»
وتعود وتضيف: «لا يمكنك أن تبقي في شرنقتك فتموتي من الجوع والضجر».
ولم تكن جودا تجيب
لأنها تخشى أن يسخروا منها.
في الواقع، لو بذل أحدهم بعض الجهد

واتحنى ووضع أذنه على الشرنقة

لسمع سرّ جودا وعرفه.

كانت جودا خائفة. لكن مِمّ هي خائفة؟

خشيت أن تُصاب بدوار، وألا تتمكّن من تنشّق الهواء.

لكن جلّ ما تخشاه هو أن تكون خفيفة جداً في الخارج

بجناحيها، جناحيّ الفراشة الجديدين.

خشيت أن تطير فتضيع ولا تعرف الطريق.

لأننا، عندما نبقى في شرنقتنا

نتخيّل دوماً أموراً رهيبة

أمور أفظع مما هي عليه في الحقيقة!

وفي أحد الأيام،

وفيما هي تحيك شرنقتها،

سمعت جودا مجموعة من الفراشات

يقلن كلمات رهيبة:

«قنبلة»، «انفجار»، «حرب ضد الحشرات»...

كانت تتحدث عن منتجات تُستخدم لقتل الحشرات.

ثم غادرت الفراشات

وحمل الهواء الكلمات

لكن بعضاً منها علق في ذهن جودا.

عندما تكونين دودة صغيرة

مخبأة في قعر الشرنقة

لا ترغبين في إظهار نفسك.

وفي اليوم الثالث، طرق شقيق جودا الأكبر باب الشرنقة.

«هيا يا جودا، هل نسيت كم المشهد جميل في الخارج؟

جئت لمساعدتك.

سأعلّمك الطيران، وسأحملك على ظهري.

لا تخافي.

لن تطيري عالياً عالياً.

وعندما تشعرين بالتعب

ستحطين في قلب وردة

وقلب الورود شرنقة غاية في الجمال.

المكان ناعم جداً

وهو أفضل من أن تكوني مقيّدة بالخيوط!».

هذا ما قاله لها أخوها الكبير.

هناك أشياء، وكلمات

وألوان وروائح تجعلنا نحلم

وقلب الورود جعل جودا الدودة تحلم.

وفي يوم من الأيام، ومن دون أن تطيل التفكير، خرجت من شرنقتها.

من دون أن تريد ذلك، لكن هذا ما حصل.

لم تكن تفكّر في شيء،

أو لعلها فكرت في قلب الورود.

لأننا نحتاج دوماً إلى مكان دافئ، ومعطّر

لننام ونرتاح.

سواء أكنا دودة أم طفلاً صغيراً.

كانت السماء جميلة جداً، ولم تهب الرياح،

كان الوقت مبكراً في الصباح.

فَرَدَت جودا جناحيها.

كم شعرت بأنها بأحسن حال، وكم شعرت بأنها جميلة!

كل الفراشات من حولها صفّقت لها.

«لقد كبرت! أنت تطيرين! هذا رائع»

فركت جودا أحد جناحيها بالآخر

لتؤدي رقصة الحرية الشهيرة.

واكتشفت ثوبها الجديد

زهري فاتح تتخلله دوائر ذهبية كبيرة.

ما قصة عدم الإحساس بالإمان؟

تُعتبر الحدائق العامة ميداناً رائعاً للمراقبة، إذ نجد فيها أولاداً واثقين من أنفسهم، جاهزين دوماً للتوجّه نحو المزلقة الأعلى، مغامرين نجدهم في لمح البصر عند أعلى شبكة العنكبوت فيما نرى آخرين تؤنبهم أمهاتهم: «هيا، اذهب! اكبر! ما من شيء تخشاه هناك، هيا!»

الثقة بالنفس تكتسب

إنّ الثقة بالنفس والإحساس بالأمان ليسا فطريين طبعاً، بل يتطوران خلال فترة الطفولة كلها. نعلم اليوم أنّ الرد إيجابياً ومن دون إظهار قلق مفرط على بكاء الرضيع يعزز ثقته بنفسه. يكفي ألاّ نبالغ... فكما يرى طبيب الأطفال دونالد وينيكوت في كتابه «نصائح للأهل»: «الأهل يخطئون غالباً بسبب المبالغة. فالأهل الذين يحيطون الأولاد بكثير من الرعاية إلى حدّ المبالغة يثيرون لديهم نوعاً من الضيق، كما أنّ أولئك الذين يفتقرون إلى الأمان يثيرون الخوف والحيرة والارتباك». إذا عاملت طفلك كشخص فزع، فستجعلين منه صغيراً خجولاً.

تبقى الأحداث البسيطة التي يمكن أن تتسبب بخلل في حياة الطفل وفي إحساسه بالأمان، كالسقوط من أعلى سرير مزدوج. إذا خشي الصغير الصعود إلى أعلى المزلقة لبعض الوقت فهذا منطقي. في هذه الحالة، يكفي أن تقوما بزيارة صغيرة إلى طبيب الأطفال حيث تتحدثان عما جرى وعن الذكريات المرتبطة بالحادث وبالخوف الذي أثاره (لدينا نحن الأهل، ولديهم هم الأطفال) وينتهي الأمر سريعاً في بعض الأحيان.

ناقشوا الأمر معه

تجنّبي اللحاق به كيفما اتجه، ولا تكرري له عبارة «هيا اذهب» في كل مرة، ولا تقارنيه بالمغامرين. تجنّبي العبارات الجارحة مثل: «انظر فلان، إنه لا يخاف»، «هذا الولد، يا له من بطل» أو «شجاع إنما لست متهوراً، أليس كذلك يا عزيزي». الخ.

وبدلاً من أن تبالغي في إحاطته بالرعاية، حاولي أن تزيدي من ثقته بنفسه. لا تبالغي، إنما شددي على حسناته: «أرى أنك رائع فعلاً في الرسم، في التلوين وفي الموسيقى» أو «لقد أصبحت قوياً جداً، لقد كبرت»، الخ... قولي له ما من شأنه أن يشجّعه على أن يحب نفسه أكثر

وأن يحسّن رأيه بنفسه.

أخيراً، قولي له إنّ الحب الذي نحمله لأنفسنا يمكن أن يحرك الجبال.

واوا ميمي

كان يا ما كان فتاة صغيرة تدعى ميمي

وتمضي عطلتها عند جدتها.

وكانت العطلة جيدة جداً

إلّا أنّ ميمي وقعت اليوم

عن دراجتها

فجرحت ركبتها. آي!

راح الدم يسيل

وأنت تعلم أفضل مني أنّ الألم يزيد

عندما يسيل الدم! ويجري!

صرخت ميمي: «آي، آي!»

(وهذا ما نفعله كلنا عندما نحس بأيّ ألم، أليس كذلك؟)

لكن أمها ليست هنا.

لهذا، ذهبت لرؤية جدتها

التي كانت تقطف التفاح في البستان.

قالت الجدة: «آه، آه. واوا!

هذا مؤسف جداً».

لكنها سرعان ما ابتسمت:

«هل شرحت لك أمك طريقة التخلّص من الواوا؟»

ناحت ميمي: «لا، ليس بعد. لكنني أتألم!»

- تعالي... الواوا نزيله عبر النفخ عليه.

ونفخت الجدة بلطف،

كما تنفخ على زهرة في الحقول.

«تخيلي أنّ الواوا هو إحدى هذه الزهور الرقيقة التي تتطاير

أوراقها ويحملها هواء الصيف.

حسناً، هذا الواوا أشبه بأوراق الزهور وقد طار!»

توقّفت الفتاة الصغيرة عن الأنين لثوانٍ

ثم تأوهت مجدداً إنما أقل من ذي قبل:

«هذه النفخة كاذبة! لم تنجح!

بقي الألم قليلاً في ركبتي».

قطبت الجدة وقالت:

«همم؟ هذا... هذا غريب، إذن...

هذا صحيح، لم يتطاير

إني أشعر به تحت أصابعي

علينا أن ننتقل إلى الطريقة الثانية: القبلة المجنونة.

سأقبل ركبتك وهوب!

سيبدأ الواوا بالذوبان، ويذوب ويذوب...

ويختفي».

ووضعت الجدة شفتيها بنعومة على الركبة.

- هل نجحت الطريقة؟

أخفضت ميمي رأسها وكذبت قليلاً

لأنها أرادت معرفة ما تبقّى من الحكاية.

قالت وهي تبكي أقل من ذي قبل:

«لا، لم تنجح.

بقي القليل من الألم!».

تنهدت الجدة:

«حسناً، هذا وارا شاكس وعنيد!».

وأضافت بجدّية: «الطريقة رقم ثلاثة...».

- آه، وما هي طريقتك رقم ثلاثة؟

- إنها اليد السحرية التي تعيد الوارا إلى الداخل.

وبطرف أصابعها دلّكت الجدة جيداً

بعد أن أغمضت عينيها.

لكن ميمي التي لم تعد تشعر بأيّ ألم، هزّت رأسها نافية.

«حسناً تبقى الطريقة رقم أربعة:

الفم الملتهم».

وفتحت الجدة فمها على اتساعه

وتظاهرت بأنها تبلع: «ميام! انتهينا».

حاولت ميمي أن تتمالك نفسها لئلا تضحك.

لكنها كانت ترغب في معرفة الطريقة رقم خمسة

فقالت: «لم تنجح هذه الطريقة».

فقالت الجدة: «يبدو لي هذا الوارا عنيداً جداً!

لذا، لا أرى سوى حلّ واحد:

الدغدغة القاتلة».

وأخذت ميمي بين ذراعيها

وضمّتها إليها بقوة شديدة.

وهوب، راحت تقرصها

وتدغدغها على ذراعيها!

ضحكت ميمي ضحكة مدوّية

فيما قالت الجدة وهي تضعها أرضاً:

«حسناً، لقد طار الوارا مع الضحكات

لا أعرف ما هو أفضل

من عناق مدغدغ!».

وأمسكت بذقن حفيدتها:

«الجيد في الدغدغة القاتلة

أنها تستطيع أن تقضي على أيّ وارا.

النفخة السحرية، ثم القبلة الشافية

ثم اليد المدلّكة، والفم الذي يلتهم

وأخيراً الدغدغة القاتلة.

هل ستتذكرين؟».

ردّت الفتاة الصغيرة: «أعدك بذلك وسأقوله لأمي».

فقالت الجدة: «ستقولين لها أيضاً

إنها تنفع أيضاً للأحزان

الصغيرة وحتى الكبيرة جداً منها.

هل ستتذكرين كلامي؟

فردت ميمي: «أعدك بذلك».

ثم انطلقت فوراً على دراجتها الهوائية!

ما قصة الواوا؟

هل أذى طفلك نفسه؟ لا تسارعي على الفور إلى إخراج معداتك الطبية كلها! أحياناً، تكفي قبلة أو عناق لشفائه.

الحركات السحرية

أولاً، حاولي أن تحافظي على أعصابك وعلى رباطة جأشك حتى وإن كان هذا صعباً مع طفلك وهو يصرخ.

إذا ما ثارت أعصابك، وإذا ما أظهرت له وجهاً يكسوه القلق، فستضاعفين ألمه ودموعه. نحن ننسى أحياناً أنّ الابتسامة والصوت الناعم الرقيق يهدئان بقدر الضمادة الجميلة.

لِمَ هذه الحركات السحرية فاعلة؟ لأنها تشتمل على كل الحب والحنان اللذين يحملاننا ونحن صغار. نحن نأخذ الواوا على عاتقنا؛ ونجعل منه قدراً!

حتى وإن كان طفلك مغامراً، تجنبي اللحاق به دوماً مثل أولئك الأمهات اللواتي نراهن في الحديقة ونسمعهن يقلن دوماً: «لا تفعل هذا، لا تفعل ذاك، ستقع»... فهذه أفضل وسيلة أيضاً كي يقع الولد ويؤذي نفسه. وفي هذا الإطار أيضاً، لا ينصح أطباء الأطفال بإحاطة الطفل دوماً وكأننا نجعله يعيش في شرنقة. لعله من الأفضل أن نجعله يعتاد الواقع منذ البداية.

ناقشوا الأمر معه

لا تقولي له «هذا ليس بشيء»؛ لا تعامليه كطفل رقيق. فما من شيء نسمعه أسوأ من هذا الكلام عندما يزعجنا شيء ما ويؤلمنا! قولي له إنك تفهمين معاناته وألمه.

حتى إن لم يطعك طفلك، وصعد على الكرسي ليأخذ الحلوى، فهذا الوقت ليس مناسباً لتأنيبه. حدّثيه لاحقاً في هذا الموضوع.

حكاية كرة الحزن

كان يا ما كان كرة صغيرة.

ليست كرة مطاط أو كرة بلياردو

ولا حتى كرة للعب أو مدببة...

إنها كرة حزن صغيرة

تشكلت من نحيب مبلوع

وأحقاد ومخاوف ودموع.

كل هذا في كرة؟ نعم، لأن الأحزان

تضغط، تثقل وتداس بالأقدام

كي تتماسك معاً.

هذه الكرات الصغيرة، نراها أحياناً

في قلوب أو حناجر الناس.

سأبوح لك بسر:

تتجمع كرة صغيرة في حنجرة

بعض الكبار
تسبب لهم الألم عند ابتلاع الطعام.
فيقصدون الطبيب الذي يقول:
«يا له من التهاب!»
لكنه ليس التهاباً
بل هي كرة قد احمرت خجلاً.
كرة الحزن هذه في هذه اللحظة عالقة
في حنجرة ولد.
لم تكن تمنع صالح الصغير من التنفّس
لأنها صغيرة جداً
كنصف ظفر إصبعك الصغير.
كانت الكرة تكبر أحياناً
فيجد صعوبة في ابتلاع حساء الخضار.
وأحياناً أخرى، كانت تختفي
فيشعر بأنه فرح وخفيف
كنسيم الصيف العليل.
لكن كان من المستحيل طردها.
أما كرة الحزن الصغيرة
فكانت تشعر بملل شديد.
تمنت لو ترحل، تلعب، تتدحرج، تضرب!
فالكرات وُجدت لتتدحرج

وليس لتسجن
في أعماق حنجرة.
كانت تشكو وتتذمر:
«ليتني كرة مطاطية تافهة لا قيمة لها
أو حتى كرة حديدية
تتدحرج على الرمال تحت الأشجار».
وكانت تضرب برجليها وتتذمر
في حنجرة صالح الصغير.
وخطرت لها حتى أفكار إرهابية.
فلِمَ لا تصنع قنبلة
قنبلة تسحقها وتطيرها؟
لكن القرار يعود لصالح
فهي في حنجرته سجينة،
وهذه حنجرته.
وما هي إلا سجينة.
وفي أحد الأيام، سمع صالح الصغير
كلام كرة الأحزان الصغيرة.
فقرر أن يخنق هذه الكرة التي تخنقه.
وصاح بها: «كفى! كفى!
لم أعد أريد رؤيتك، فارحلي واختفي!
لقد رأيتك بما يكفي! فهل فهمت كلامي؟».

عندما بدأ بالصراخ

راحت الكرة في حنجرته بالتدحرج.

وانحلّت وطارت مسرعة.

شعر صالح الصغير بارتياح عظيم

فأخذ يغني بصوت عالٍ رخيم.

أعرف ما حلّ بكرة الحزن الصغيرة

تزوّجت قطعة من الغيم وطارا معاً في الهواء

وعاشا معاً سعيدين وأنجبا الكثير من الأولاد.

ما قصة الاضطرابات الجسدية والنفسية؟

لا يعيش الأولاد دوماً في جنة عدن، فهم أيضاً تتملكهم المخاوف والهموم. الفرق بينهم وبين الراشدين هو أنّ هؤلاء تعلموا أن يتحدثوا عما يزعجهم فيما يظهر الأولاد مخاوفهم عبر أجسادهم، هذا ما يُعرف باسم الاضطرابات الجسدية ـ النفسية لدى الطفل أو «الانقلاب العضوي».

تعلّم السيطرة على الجسد

يعرف بعض الأولاد مشكلة «انقباض الحنجرة» وآلام البطن، اعتباراً من سن السادسة. في الواقع، عند بدء الدراسة، يُطلب من الولد أن يبذل جهداً هاماً في الدراسة وأن يكون مطيعاً ومهذباً، الخ... وهذه المتطلبات تترافق أحياناً مع اضطرابات نفسية ـ جسدية.

حاولي أن تشرحي له ما يجري في داخله، فيتمكن من السيطرة على الأعراض بشكل أفضل.

ناقشوا الأمر معه

أحياناً نشعر بحزن عميق لكننا لا نرغب في التعبير عنه أو في البكاء أو في الصراخ. وهكذا، يصبح الأمر أشبه بابتلاعه وحفظه في داخلنا. ويتحوّل الحزن إلى كرة، ما يتسبب بألم في الحنجرة أو في البطن. نشعر بألم في البطن كما لو أننا نعاني من الزائدة الدودية، لكن سبب الألم هو ببساطة ذاك الحزن الذي نحمله في قلبنا. أحياناً، من الأفضل أن نبكي ونصرخ، فهذا ليس حكراً على الأطفال الصغار فقط.

تمارين استرخاء

الأطفال زبائن مثاليون لتمارين الاسترخاء الصغيرة. في بعض الحضانات، وبعد تناول الطعام، يحثّ بعض المعلمين تلامذتهم على الاستلقاء والاسترخاء. وهذا لا يؤمّن لهم الراحة وحسب بل إنّ هذه التقنيات تعلّمهم كيف يواجهون مخاوفهم.

يقترح هذه التمارين الطبيبان النفسيان غاربر وسبيزمان في كتابهما «مخاوف أطفالنا».

1) أتنفس من البطن:

استلقي على الأرض مع طفلك وقومي بتمرين «البطن بالون». البطن هو بالون يجب ملأه بالهواء عبر الاستنشاق ومن ثم إفراغه عبر زفر الهواء. اجعليه يعدّ: 3 ثوانٍ للشهيق و5 ثوانٍ للزفير. كرري التمرين عشر مرات.

2) أنا دمية تُحرّك بالخيطان:

استلقيا على الأرض واسترخيا كلياً كالدمية. ارفعا أحد الذراعين بضعة سنتمترات عن الأرض كما لو أن أحدهم يرفعهما بخيط. عدّي حتى عشرة ثم أسقطا الذراعين أرضاً كما لو أنّ الخيط قد قُطع. انتقلا بعدئذ إلى الذراع الأخرى ومن ثم الساقين.

3) الرحلة:

أرخيا عضلاتكما، واستلقيا على ظهريكما، وتنفسا من البطن. حاولا أن تستعيدا ذكرى جميلة. يمكن وصف مشهد على البحر: حرارة الشمس، صوت النورس، ذكرى صيف مضى. أو اقرأ حكاية صغيرة...

الصبي الصغير الذي لا ينفك عن الحركة لأنه يرغب دوماً في أن يكون في مكان آخر

كان هادي صبياً صغيراً لا يستقر في موضع واحد. في الواقع، كان الكل يسميه العفريت.

أتعلم لماذا؟ لأنه يتحرك طيلة الوقت، كلعبة العفريت الذي يقف على رسور. فهو يركض ويمشي على رجل واحدة، ويدور حول نفسه كالبلبل، ويهز رأسه ويغمز بعينه، ويدور ويتهزهز بعنف، ويتململ ويتمايل.

لم يكن يستقر في مكان واحد، ولو لدقيقة أو حتى ثانية! أحياناً، كان جسده يتحرك من تلقاء نفسه:

تبدأ أصابعه بالنقر وساقاه بالرقص تحت الطاولة ومنخاراه بالارتعاش، كما لو أنّ الطاقة التي يحملها في داخله تنفجر في كافة أجزاء جسده.

في المدرسة، كان هادي يعيش كابوساً حقيقياً. وبما أنّ عليه أن يبقى جالساً طيلة النهار، كان يرف بعينيه ويصرخ ويصيح ويدندن في الصف. كانت المعلمة تصفه بالولد الذي لا يحتمل وبالبطارية الكهربائية وبالوقح. وكانت السيدات العاملات في مطعم المدرسة يرين أطباق البطاطا تطير وحبوب البازيلا تدور وتدور في الهواء،

وكان هادي يتحرك كثيراً بحيث أننا نجد في نهاية الوجبة قطع اللحم في شعره والبطاطا المهروسة على حاجبيه والحلوى في أذنيه.

أما عندما يتناول الطعام مع أمه وأبيه فالوضع أسوأ. فما إن يتناول هادي اللقمة الأولى حتى ينطلق ويدور حول الطاولة على قدم واحدة. وكان يُحرم دوماً من تناول التحلية كقصاص له بسبب رقصته الحرة المرتجلة.

ما أكثر ما يكرهه؟ الرحلات في السيارة حيث يجلس محصوراً بين أخيه الصغير وأخته الكبرى، في المكان الصغير في الوسط، خلف مكبح اليد، حيث ما من نافذة للنظر إلى الخارج.

فهادي هو الطفل الثاني في العائلة، وهو دوماً الطفل الذي في الوسط. الوسط في كل مكان وفي كل شيء! لم يكن البكر قط ولا الأصغر. ليس الأول وليس الأخير، بل الطفل الواقع بين شطريّ السندويش.

وكان هادي يتساءل: «من أنا؟ لست الكبير ولست الصغير».

خلال الرحلات في السيارة، كان الكبير يقرأ في كتبه والصغير يشرب الحليب. أما هادي الواقع في الوسط، فينطلق من جنب إلى آخر ويقول «فروم، فروم» لساعات كأنه يقود دراجة نارية. وأحياناً، كان يقفز ليتعلّق بعنق أمه التي تقود السيارة، كما لو أنّ برغبة وحزنه.

يا لوالديّ هادي المسكينين! لم يعودا يعرفان ماذا يفعلان. حتى أنهما اشتريا كتاباً واكتشفا للأسف أنّ هادي طفل «مفرط النشاط»، ما يعني أنّ في داخله الكثير من القوة والكثير من الطاقة.

وكان يُفترض بهما طبعاً أن يقيّدا يديه وقدميه أو أن يضعا له قطعة فلّين في الفم أو أن يحبساه في الظلام (فهذه هي الحلول التي وجداها في الكتاب نفسه). لكن هادي ليس بعدو لهما بل إنه طفلهما الحبيب!

كان والده يقول متنهداً طيلة النهار: «ماذا سنفعل به؟ ماذا سنفعل به؟»، وكانت الأم تهتف بنبرة متعبة: «هادي! هادي!».

كانا كليهما متعبين للغاية بسبب قلة النوم.

وكل هذا بسبب هادي. فاحزر ماذا يفعل عندما يحلّ المساء... كان يرقص طبعاً! بدا وكأنه لا يشعر بالتعب أبداً، رغم أنه يمارس الكثير من الرياضة! لقد جرب كافة أنواع الرياضات: الجيدو، التجذيف، ركوب الدراجة الهوائية عند الخامسة صباحاً، وسباحة الفراشة (سباحة الأبطال الأولمبيين)، والغطس تحت الماء...

أخيراً، حين يغط بمحض الصدفة في سبات عميق، كان هادي يربض ما يعني أنه يستمر في السير في الشقة وهو نائم!

واقترح الدكتور حنوش: «اعطيه ملعقة كبيرة من الشراب المنوّم المنكّه بالموز».

وقال بلباقة وأدب الدكتور نعوّس الذي يحب النوم كثيراً: «إليكِ هذه الوصفة الجيدة: اربطي يديه ورجليه. هذا سهل وبسيط. فبهذه الطريقة تفقد العضلات القدرة على الحركة».

وأوصى طبيب ثالث بإخضاع العفريت لعلاج بالتنويم.

ورأى والدا هادي أنّ هذا الحل الأخير هو الأفضل. لكن، لكثرة ما نام، أصبح هادي رخواً، رخواً، رخواً، كقط كسول. وعلى الفور، أوقف الوالدان العلاج لأنّ هادي أصبح ينام في كل مكان حتى

في الصف، وبقيت معلماته يصفنه بالولد الذي لا يحتمل وبالوقح.

أتساءل كيف تنتهي القصة؟

عندما كبر، أصبح هادي أهدأ وأعقل بعض الشيء، لأننا لا نملك الطاقة نفسها طيلة حياتنا! بقي أكثر نشاطاً وهياجاً من أخيه البكر وهو «الكبير»، ومن أخيه الأخير في العائلة الذي ينادونه «الصغير». لكنهم نجحوا أخيراً في تهدئته.

وبعد زمن طويل، وبعد أن أصبح كبيراً وحتى أباً، أصبح هادي عالماً بالمحيطات يستكشف عالم النبات والحيوان تحت الماء ويعرف غيباً أسماء كافة الطحالب والأسماك الصغيرة. وهكذا، تخلّص من الرغبة في الحركة، وأصبح ينام نوماً عميقاً من دون حراك، حتى عندما يسافر على متن مركبه. عند تناول الطعام، وحتى والبحر هائج، كان ينهي تحليته بهدوء وسلام من دون أن توسخ أذناه، ومن دون أن يستقر اللحم في شعره والبطاطا المهروسة على حاجبيه! لقد وجد طريقه والمكان المناسب له.

وهكذا، لم يعد أحد يناديه «الولد الذي لا يحتمل» أو حتى «العفريت» بل «المسافر الكبير». وهذا أفضل بكثير.

ما قصة الأولاد المفرطي النشاط؟

يكثر الحديث حالياً عن الأطفال المفرطي النشاط وكأنهم أصبحوا لاخصائيي الأطفال الشاغل الجديد. هؤلاء العفاريت في سراويلهم القصيرة يتحركون، لا يثبتون في مكان واحد، و«يتشيطنون». لكن، هل ينبغي لذلك معالجتهم؟

ما العمل؟

يكثر الاختصائيون اليوم من وصف دواء الريتالين (Ritaline) عشوائياً لتهدئة الأطفال «الشياطين». إنه انحراف حقيقي. ويؤكد أحد الأطباء النفسيين: «عندما يفقد راشد مكتئب القدرة على العمل، يصف له الأطباء البروزاك. واليوم، نشهد الأمر نفسه مع الريتالين».

يبقى أن 54٪ من الفرنسيين يرون أنّ أطفال اليوم هم أكثر صخباً وهياجاً من أطفال الأجيال السابقة.

ويلقى اللوم في ذلك على غياب سلطة بعض الأهل الذين لا يعارضون أولادهم. ويحلل أحد الأطباء النفسيين الأمر بقوله: «وكأنهم يفتقرون إلى إطار، إلى حاوٍ، وعندما يتصرفون على هذا الشكل، ربما ليطالبوا بطريقة لا واعية، بعقوبة».

هل هذا هو أحد أسباب تزايد العنف في المدارس؟ أما فرانسواز دولتو فتقول: «إنّ الطفل لا يثبت في مكان واحد عندما لا يعرف ما هو موقعه في العائلة». ربما ينبغي البحث عن الحقيقة من هذه الناحية...

ناقشوا الأمر معه

«ما رأيك في هادي ومشكلته؟ يصعب عليه أن يبقى ثابتاً في مكانه. لِمَ يرغب دوماً في أن يتحرك وأن ينطنط؟ هل تظن أنك مثله تجد صعوبة في إيجاد المكان الذي يناسبك؟ في العائلة أو في المدرسة؟ هل تفكر في حلٍ ما بشكل خاص؟

هادي، عندما كبر، راح يسافر ويدرس عمق المحيطات. هل من شيء يعجبك فعلاً، أنت أيضاً؟»

بشاشة الفراشة

أنت تعرف الفراشات.
كل الفراشات تطير
وتنتقل من زهرة إلى زهرة
لتتغذى وتسافر وترفرف.
لتكون سعيدة.
أما بشاشة فلم تشأ مغادرة الزهرة حيث تعيش.
كانت صديقاتها يتنقلن من زهرة إلى أخرى
فيما تبقى هي متشبثة بقلب زهرتها
وكان حياتها متعلقة بها.
وعندما يتوجب عليها الرحيل، لتغيير المنزل
أو لتغيير الصف
(لأن الفراشات تذهب أيضاً إلى مدرسة الفراشات)
وعندما ينبغي بعد العطلات
ترك شجيرة الورود
لتلتحق بشجيرات حديقتها المعتادة
كانت تجهش بالبكاء،
كما لو أنهم ينتزعون منها القلب والجناحين.
وكان تصرفها هذا يزعج الأب والأم فراشة.
كانت الأم فراشة تقول:

«أنت لست بزاقة ولا حلزون!

أنت فراشة وإذا بقيت على هذا الحال

سينتهي بك الأمر معلّقة على لوحة إنسان!»

ويعود أبوها ويوبّخها:

«ستقعين في شبكة

طفل من الأطفال!»

ويسخر منها أخوها الكبير قائلاً:

«بعد ثلاثة أيام، سيصفر جناحاك... وستعودين دودة من جديد»

وهذا صحيح وغير صحيح في آن.

فعندما نرفض استكشاف العالم الواسع

لا نجد المكان المناسب لنكبر وننمو.

لكن بشاشة كانت تبقى متشبّثة بزهرتها،

وتقول في سرّها: «لا يهمني إذا ما انتهيت معلّقة على لوحة، فأنا أصلاً ممزّقة في داخلي».

إذ يكفيها أن تتخيّل أنها تركت الوردة

لتشعر بتعاسة لا تضاهيها تعاسة.

وفي أحد الأيام، وهو اليوم الوحيد الذي تنقّلت فيه من وردة إلى أخرى على بعد وثبتي فراشة صغيرتين.

فشعرت بألم ويأس شديدين.

ورفرفت بجناحيها لساعات وساعات

فبهذه الطريقة تبكي الفراشات.

وقالت لها أمها:

«الحياة هي أيضاً الانتقال

من قلب وردة إلى قلب وردة أخرى، أليس كذلك؟

وإلاّ فلن نجد ما نأكله.

ولكي نكبر، لا بدّ من أن يغيّر الواحد منا منزله.

والورود هي منازلنا...

وليست أحبابنا!

فلا تخلطي بين الاثنين!»

كانت والدة بشاشة

تطرح على نفسها الكثير من الأسئلة

وتشعر طبعاً بالذنب

ككل الأمهات.

وكانت تتنقل من فكرة إلى أخرى

وتتساءل:

«لعلّي لم آخذها كثيراً في أحضاني وهي طفلة؟»

وتتصوّر أنها لا تشعر بما يكفي من الأمان.

لعلّها خرجت من شرنقتها قبل موعدها،

من دون أن تتكوّن جيداً أجنحتها؟

هذه هي الأسئلة التي راودتها...

لكنها لم تظهر شيئاً من مخاوفها.

وفي يوم من الأيام، شعرت بشاشة برغبة في أن تكبر.

وقد حصل هذا بعد غيرها من الفراشات
لكنه حصل وهذا هو الأهم.
خطر لها: «هذا هو اليوم».
وقررت أن تغيّر الوردة.
كان الأمر أشبه بالارتماء في الهواء
عندما نتعلّم الطيران.
وبما أنها عاطفية، راحت تفرك جناحيها
بخدود الوردة
وهذا يشير لدى الفراشات
بأنّ موعد الرحيل قد حان.
فقالت لها الوردة التي شعرت بالحزن هي أيضاً:
«أيتها الفراشة الصغيرة، تعلمين أنك تستطيعين
العودة حين ترغبين.
ستكونين دوماً في بيتك هنا.
وعندما ترغبين بالشعور بالأمان،
فكّري فيّ.
وسترين أنّ مجرد الحلم بي يمكن أن يكفي.
سيكون الأمر وكأنك تجدينني من جديد في كل مرة،
إذا حملتني في قلبك.
وهكذا، لن أحملك أنا
بل أنت من سيحملني في الذكريات».

وأخذت الفراشة الصغيرة أمثولة من هذا الكلام...
ودرساً حفظته على الدوام.
فعندما تشعر بالتعاسة، تفكّر في كل الورود التي شعرت فيها
بالهناء.
وكانت هذه الذكريات كبيوت
تحملها كلها في قلبها.
بيوت تعبق فيها العطور وتفوح.

ما قصة نقاط الاستدلال أو الارتكاز؟

يحتاج الطفل إلى نقاط ارتكاز محددة (مكان، مواعيد، عادات) وإلى منزل، «منزله»، حيث يخبىء ذكرياته وألعابه وأسراره، وأمانه الداخلي كله.

«منزله»، معلمه الخاص

يشكّل المنزل بالنسبة إلى الطفل الذي لا يميل بطبيعته إلى الترحال، عشاً صغيراً مليئاً بالأسرار، نوعاً من استعارة وملحق لبطن امه. لذا، لا يرغب غالباً في مغادرته. حتى وإن أحب الطفل التنقّل مع والديه واكتشاف اماكن جديدة، إلاّ أنه يحتاج دوماً للعودة إلى منزله، إلى ملجئه من المجهول.

إذا ما حصل حدث خطر في حياة الطفل (انفصال أو طلاق الأهل، وفاة، انتقال إلى منزل آخر على غير استعداد أو اكتشاف أنه طفل مُتبنى...)، قد تتحرك لديه بعض مخاوفه المتعلقة بالانفصال. في هذه الأوقات، يتعلّق الأطفال بمنازلهم بطريقة شبه عُصابية. لعل هذا مؤشر لوجود نقص في الأمان الداخلي.

ناقشوا الأمر معه

«يحب الطفل الصغير أن يعيش دوماً في الشقة نفسها وأن يقضي عطلته في المكان نفسه... لكن الحياة تعني الحركة ايضاً. هل شعرت يوماً بالحزن الشديد لأنّ العطلة انتهت؟ بعض الأطفال يبكون لأنهم يتركون أصدقاءهم.

لكن لا بدّ من العودة إلى المنزل. من الطبيعي أن يشعر الواحد منا بالحزن لأنه يترك إنساناً أو مكاناً أحس فيه بالسعادة.

عليك أن تدرك أننا لا نرحل خالين تماماً، فنحن نحمل معنا ذكرياتنا. وهذا يعني أننا نتذكّر وأننا نحلم بالمنزل حيث عشنا. وأحياناً، تكون الذكريات أجمل مما يجري في الواقع. أن تكبرُ يعني أن تكتشف أماكن جديدة. نحن لا نشعر برغبة في ذلك أحياناً، لأننا لا نشعر بالأمان. بيتنا الأول هو بطن أمنا الذي لم نكن نرغب في الخروج منه... لكننا نغادره لأنه أصبح ضيقاً وصغيراً جداً. ونحن نستمر في تغيير المكان لاحقاً. حتى الكبار يجدون صعوبة في ترك منازلهم وأصدقائهم. لكن أن نعيش يعني أن نتحرك. وأن نتحرك يعني أن نكبر!»



الفصل الخامس

قصص عن اللهايات والأغراض المفضّلة

المدينة اللهايات السحرية

كان يا ما كان في قديم الزمان مدينة غريبة...

إنها مدينة عادية مثل بيروت أو الشام أو عمان... مدينة ككل المدن، ولكن في تلك المدينة لم يكن أحد يسمع صوتاً. لا "آرف!" ولا "طق" ... لا شيء.

لا هدير طائرة ولا عنين سيارة، ولا صراخ طفل ولا كلام إنسان... لا شيء!

وكانت تلك المدينة تُعرف بمدينة الصمت، لأنك إذا تنزهت فيها شعرت بأنك تسير على غيمة كبيرة من القطن الناعم.

مدارس المدينة صامتة وملاعبها باردة، لا حس فيها ولا حسيس... لا الأطفال يبكون ولا الأولاد يصرخون ولا الكبار يتحادثون. حتى عندما كانت المعلمة تطرح سؤالاً (بصمت طبعاً)، لم يكن أحد يجيبها، وإذا أجابها فبعينيه.

لماذا؟ سأخبرك!

كانت تحكم تلك المدينة ملكة اللهايات... ملكة تضع على رأسها تاجاً مرصعاً باللهايات وفي يدها صولجاناً على شكل لهاية وتسكن

في مملكة على شكل لهاية وتنام في سرير مفروش بالأغطية المزينة باللهايات.

كانت الملكة تمضي وقتها في الصلاة للهاية السحرية، وفي كل صباح تنظر إلى نفسها في مرآة على شكل لهاية وتسألها: "لهايتي، يا لهايتي السحرية! قولي لي ... من بين كل مدن المسكونة، أي مدينة هي الأكثر هدوءاً؟"

فكانت اللهاية السحرية تجيبها: "لا مجال للمقارنة يا مليكتي! مدينتك هي حتماً الأكثر هدوءاً!"

- ومن هم أعقل الأطفال؟

- لا مجال للمقارنة يا مليكتي! أطفال مدينتك هم حتماً الأعقل!"

وفي كل صباح، كانت الملكة تهيئ نفسها لتوزيعها لهايات سحرية على الأطفال وأهلهم. كانت اللهايات سحرية بالفعل لأنها ما إن تدخل الفم، حتى يصعب على الطفل انتزاعها طيلة حياته. لهذا السبب، لم يكن الأطفال يبكون ولا الأولاد يتذمرون، ولا الكبار يتشاجرون، ولا الأهل يتناقشون... ولهذا السبب أيضاً كان الجميع يبتسم لأن اللهايات مصنوعة على شكل ابتسامة.

أما وزراء الملكة، صانعو الصمت، فكانوا يعملون بجهد في مكاتبهم لتسويق الصمت في كل بلدان العالم، ولكن أياً منهم لم يكن يفشي لغز اللهايات السحرية، فهذا بالنسبة إليهم "سر المهنة"! وكانوا يقولون: "عندما يُكشف سر اللهايات السحرية، يسود الصمت في الكون كله، ويزول مصدر ثروتنا".

ولكن لا يمكننا أن نعيش هكذا في الصمت الدائم! الكلمات لا تحب اللهايات. هي تريد الخروج من الفم والاستمتاع والرقص

وتنشّق الهواء، لا البقاء أسيرة في صدور الأطفال. تريد أن تقول: "أنا سعيدة" أو "أشعر بالملل" أو "لا أحب الظلام" أو "أحب الشمس"، وأموراً كثيرة أخرى.

كانت الكلمات غاضبة لدرجة أنها قررت ذات يوم أن تثور. فراحت تضغط وتضغط داخل فم الأولاد حتى تقفزت اللهايات السحرية منها، وتدافعت الكلمات: "لا للمصاصات! لا للهايات!"، "تريد أن نتكلم، ونعبّر"، "فلتسقط ديكتاتورية اللهايات! لم نعد صغاراً!"، "آنستي، أريد أن أقول شيئاً"، "أشعر بالعطش، أشعر بالجوع، أشعر بالألم"، "أنا سعيد جداً، أحب الشوكولا، ساخناً، مع الحليب، في الحلوى، وفي كل مكان!"

خرجت الكلمات طبعاً دفعة واحدة وبفوضوية، فبدت أشبه بأسطوانة فاسدة.

وكم فرح الأطفال! لقد أصبح بإمكانهم قول أمور ممتعة ومثيرة للاهتمام!

في البداية بدا التخلي عن اللهايات السحرية صعباً، فهي مفيدة في بعض الأحيان عندما لا نعرف ماذا نفعل أو نقول، ثم ليس من السهل التخلي عن لهايات رافقتنا على مدى سنوات طوال... ولكن ماذا عن الكلمات؟ هي أيضاً مسلّية وممتعة! إنها كالألعاب! وجميع الكلمات سحرية.

يمكننا التخلي عن اللهايات ولكن ليس عن الكلمات! وهكذا اكتشفت مدينة الصمت فرحة الضجة والحركة...

وفتح الأولاد في مدينتهم متحفاً أطلقوا عليه اسم "متحف اللهايات"، وجمعوا فيه جميع اللهايات السحرية. جمعوا الآلاف منها، لا بل الملايين!

وبين الحين والآخر، أصبحوا يأتون للتفرج عليها من وراء الزجاج، ويشرحون لأطفالهم: "هذه كنت أستعملها عندما كنت صغيراً ولا أجيد الكلام".

أما ملكة اللهايات فعيّنوها حارسة للمتحف، وكان عليها طبعاً أن تبقى صامتة، لأنه يمنع الكلام في المتاحف.

هروب أرنوب

- هذا يكفي! لقد طفح الكيل! قال أرنوب لنفسه.

- هل هذا مصير دمى الأطفال؟ يركلونني في مؤخرتي، ويستعملونني لمسح الفم، يمشون خلفهم بي ويجرونني من قائمتي، يشدونني على وجوههم ويتقيأون فطورهم عليّ! ما من احترام للدمى على الإطلاق!

هذا ما كان أرنوب يفكر فيه بعد أن أمضى سنتين مع سامي الصغير وكان دميته المفضّلة.

عندما يبكي سامي، يتبلل أرنوب بالدموع، وعندما يصرخ سامي، يصاب أرنوب بصمم في أذنيه. ولكنه طبعاً لم يقل يوماً أي شيء... الدمية لا تقول شيئاً. تصغي وتواسي فقط.

ذات يوم، بدأ أرنوب يحلم بحياة مختلفة. حياة ترف وهدوء. حياة باشا! حياة هر صالونات، هادئ، مرتاح ومعطّر برائحة الفراولة.

لذا عندما نسيه سامي ذات مرة في مدينة الملاهي، هرول أرنوب مسرعاً، ورمى بنفسه أمام امرأة مسنّة لطيفة يفوح منها عطر الخزامى. أمسكت السيدة العجوز الأرنب المليء بالعث، وبما أنها كانت ضعيفة النظر، قالت مدهوشة: "سيكون هذا الأرنب رفيقاً

جميلاً لي. أنت تعجبني يا أرنوب، لأنك تشبه دميتي المفضلة عندما كنت صغيرة».

تغيرت حياة أرنوب، فأصبح ينام في الفنادق، ويستحم بعطور الأزهار، ويبقى ليالي بطولها ممدداً على سرير بعرض 194 سنتمتراً، من دون أن يحشره أحد في الزاوية. وأمضى أياماً مستلقياً على الكنبة أشبه بوسادة مترهلة.

استُعمل للزينة على البيانو، بين نبتة البيتونيا وباقة الورد.

منذ البداية، قرر أرنوب ألا يسمع شيئاً: لا صراخ، ولا تذمر... لا شيء! هو يستحق أن يرتاح الآن بعد أن أمضى حياته في مؤاساة صبي صغير يبلله بالدموع حيناً ويتسبب له بالصمم حيناً آخر؟

ولكن الآن، لم يعد يسمع شيئاً، لأن السيدات المسنّات لا يتكلّمن مع الدمى. لديهنّ هرّة أو كلب صغير يسمونه "بوبي"، ويشكون له وحدتهنّ وعذابهنّ. وهكذا أصبح أرنوب للزينة فقط.

ذات يوم، وجد أرنوب أن الوقت طويل يكاد لا ينتهي، ففكر في نفسه: "أنا لست أرنباً للزينة في الصالونات. أشعر بالملل والوحدة هنا، من دون رفيقي!"

وعاد أرنوب يفكر في سامي: "واااا!. معه كنت سعيداً على الأقل. أسمع الكثير من الأسرار. كانت حياتي مختلفة"

حاول أرنوب ان يزيل هذه الافكار من رأسه لأنه لا يمكن أن يلتقي بسامي من جديد.

ولكن في يوم من الأيام، قرأت السيدة العجوز إعلاناً على واجهة الفرن، جعل الدموع تترقرق في عينيها، فقد كُتب فيه: "مفقود: أرنوب صغير معطوب الأذن. الأمر طارئ بسبب حالة حزن شديد".

ولأن السيدة كانت لطيفة جداً، لم تفكر في الأمر مرتين، بل أسرعت إلى منزلها وأحضرت أرنوب وسلّمته إلى صاحب الفرن.

وهكذا التقى أرنوب رفيقه من جديد.

كانت عينا سامي حمراوين لكثرة بكائه على فقدان أرنوب!

وعندما رآه، ضمه إليه بقوة وبلله بدموع الفرح وخنقه بقبلاته... ولكن كان هذا كل شيء.

لقد اختفى السحر بطريقة ما. ففي هذه الفترة كبر سامي، ولم يعد أرنوب رفيقه الدائم.

وضعه سامي في أعلى الخزانة لكي لا يشعر بالملل، ويكون ملكاً على بقية الدمى.

لأنك عندما تكون دمية مفضلة، تحمل هذا الوسام طوال حياتك، وتشعر بالفخر لذلك.

طبعاً، كان سامي من وقت إلى آخر يحمل أرنوبه ويضمه إلى صدره، ولكن هذا كل شيء. لم يعد سامي بحاجة ليتقيأ عليه أو يضع إصبعه في أنفه أو يجره على الأرض.

أما السيدة اللطيفة فلم تبكِ على فراق أرنوب. بل وضعت مكانه على البيانو باقة جميلة من الأزهار الصفراء، أنت أجمل بكثير من أرنب رث.

ثم ضحكت وقالت لنفسها: بصراحة، أظنني كبيرة جداً لأحتفظ بدمية. أليس كذلك؟

ما قصة "الدمية المفضلة أو الغرض المفضل"؟

في الأشهر الأولى بعد الولادة، يعيش الطفل بانسجام تام مع

والدته. ولكن عند بلوغه شهره الثامن تقريباً، يدرك فجأة أن أمه كائن آخر، منفصل عنه. وغالباً ما يتعلّق بدمية أو دبدوب.

طريقة الاستعمال

عندما يتعلق الأطفال بدمية أو غرض ما بشدة، لا يفارقونها قيد أنملة، لا سيما في المحن التي يمرّون فيها: دخول المدرسة أو الحضانة، الفراق المؤقت... ويظن بعض أطباء الأطفال وعلماء النفس أن للأهل دخل في هذه العادة. لعلنا نشعر بالاطمئنان عندما نرى طفلنا يتصدّى لوحدته بهذه الطريقة؟

من المستحسن عندما يكون الطفل لا يزال صغيراً جداً ان نوجّه اختياره إلى دمية أو غرض صغير الحجم (منديل مثلاً)، يسهل غسله ونقله واستبداله. في هذه الحالة، يمكنكم ترك هذا الغرض المحبب في مهده ثم في سريره. النتيجة ليست مضمونة حتماً وقد يتعلق بوسادة ضخمة او دمية "قياس عائلي". غالباً ما يحدث ذلك.

لا تكونوا حازمين مع طفلكم، ولا تحاولوا اخذ "عكّازه" الصغير منه بالقوة. ما الذي قد تفعلونه انتم لو أخذ منكم أحد عنوة علبة سجائركم؟ تحلّوا بالصبر. عندما ينتهي من الروضة، ويبلغ من العمر 5 سنوات سوف يتخلى عن دميته خلال النهار. علماً انه قد يلجا إليها عند عودته من المدرسة أو في الأوقات التي يحتاج فيها إلى اطمئنان، كرغبة في زيارة عالم الطفولة.

أما إذا أضاع طفلكم دميته، فحاولوا أن تستبدلوها بشيء شبيه. الأمر ليس صعباً. يكفي أحياناً أن تأتوا بالقماش أو الملمس نفسه. ولكن اذا تخطى الخامسة من عمره، قد تكون الفرصة سانحة لتطووا الصفحة، وتقدموا له شيئاً خاصاً بالكبار لتبعدوه عن عالم الطفولة.

ناقشوا الأمر معه

«عندما نشعر بالحزن، تكون دميتنا مثل رفيق لنا، او صديق أمين. نتخيّل انها تسمع الأسرار وتفهم كل الأمور. وعندما تضيع، نضيع نحن ايضاً، ولا نعرف ماذا نفعل.

ولكن عندما نكبر، نتخلّى عن الدمية او اللهاية. ننصرف الى اللعب أو الرسم او المطالعة او التفكير في أمور اخرى، أو التحدث الى شخص ما، فنقول مثلاً: "ماما، انا اليوم تضايقت في المدرسة" أو "اتعرفين؟ انا اخاف من الظلام"، الخ.

عندما نكبر، كما قلت، نتخلى عن دميتنا... ولكن أحياناً تتحول هذه الدمى او الاغراض العزيزة على قلبنا من دون أن تختفي نهائياً. انظر مثلاً الى الكبار: لديهم حاجة دائماً للعب بمفاتيحهم أو لمشاهدة صور افراد عائلتهم، او الاحتفاظ بكتاب قديم لم يتسنّ لهم الوقت يوماً لقراءته. هذه ايضاً اغراض محببة على قلبهم ترافقهم دوماً.

هالا، فأرة اللهايات

هالا! إنه اسم غريب بالنسبة إلى فأرة رمادية!

لم تكن هالا فأرة كغيرها من الفئران. إنها فأرة اللهايات، ابنة خالة الفأرة البيضاء (هل عرفتها؟ إنها الفأرة التي تضع بجانب سريرك قطعة نقود أو حبة ملبّس أو هدية صغيرة عندما تفقد إحدى أسنانك).

ولكن فأرة اللهايات، لا تجمع الأسنان، بل اللهايات التي امتلأ منزلها بها!

لديها لهايات حمراء، وزرقاء، لهايات من البلاستيك وأخرى من

السيليكون، لهايات على شكل زهرة وأخرى على شكل وجه، لهايات ملونة ولهايات معطّرة، لهايات بنكهة الفراولة، لهايات بنكهة الشوكولا، ولهايات تغني "بلالا تنام..."

وعندما كانت تلتقط واحدة في منزل أحد الأطفال، كانت تسارع إلى حفظها في خزانتها الكبيرة.

وهكذا أصبح لدى هالا ألف وثمانمئة وثلاثة وخمسين لهاية، وضعت عليها كلها ملصقات زرقاء (للصبيان) أو زهرية (للفتيات).

كما كانت تدوّن عليها تاريخ جمعها:

3 آذار 2007: لهاية جيهان، سنتان ونصف.

1 كانون الثاني 2008: رامي، 18 شهراً.

وعندما كان الأطفال يتخلون عن لهاياتهم في شهرهم الثامن والتاسع، كانت هالا تشعر بالكثير من الفخر. ولكن ذلك صعب بعض الشيء.

وكتبت هالا على دفتر كبير أسماء الأولاد الذين لا يزالون يمصّون لهاياتهم.

«ممم.. الين يجب ان تتخلّى عن لهايتها... وداني.. مممم... لا يزال يمصّ لهايته هو أيضاً، يجب أن آخذها منه!»

لم تكن هالا طبعاً تأخذ اللهايات بنيّة شريرة، ولكن ثمة عمر نصبح فيه كباراً على مصّ اللهاية أو الاصبع.

الفأرة البيضاء، ابنة خالتها، هي من قال لها ذلك: "اللهاية تفسد الأسنان، وتجعلها تنمو بشكل ملتوٍ!"

لهذا كانت هالا تدخل غرف الأطفال بخفة وهدوء وتأخذ

اللهايات. جميع الأطفال يظنون أنهم أضاعوا لهاياتهم، فيبحثون عنها تحت الوسادة وتحت الأغطية، وتحت السرير... لا شيء!

هذا طبيعي؛ لأن اللهاية أصبحت عند هالا!

في يوم من الأيام، استيقظت ألين ابنة السنوات الأربع التي كانت لا تزال تنام واللهاية في فمها، من نومها في منتصف الليل. لقد تناهى إلى سمعها وقع أقدام صغيرة في غرفتها... فراحت تصيح: "سارق، حرامي!"

فأخذت الفأرة الصغيرة تضحك: "أنا هالا، فأرة اللهايات"

لكن ألين استمرت بالبكاء: "لا أريد أن أعرف. أريد لهايتي الآن!"

فهمست هالا في أذنها: "لا تبكي. سوف أخبرك سرّاً! إذا جئتُ لآخذ لهايتك، فلأنك أصبحت كبيرة، وأنت لا تعرفين بعد ذلك. صدقيني، أنت لست بحاجة الى لهاية، ولا لأصبع... في المقابل، انظري ماذا أحضرت لك".

وأخرجت هالا من جيبها فأرة صغيرة من القماش. "هذا تذكار منّي، أنا أيضاً يحق لي أن أقدم الهدايا مثل ابنة خالتي الفأرة البيضاء. أظن أننا عندما نتخلى عن لهايتنا أو إصبعنا، نبذل جهداً كبيراً لنصبح كباراً، وهذا يستحق هدية، أليس كذلك؟"

أمسكت هالا باللهاية ووضعتها سواراً في معصمها، "سوف تكون جميلة جداً في مجموعتي. سأضعها في خزانتي الكبيرة إلى جانب لهاية رنا، وعندما يصبح عدد لهايات مجموعتي ألفين، سأدعوك إلى حفلة جميلة!"

استدارت ألين على جنبها الآخر في السرير. حركت لسانها في فمها، ثم مصّت ابهامها قليلاً، ولكنها كانت سعيدة جداً... فقد

أعطت لهايتها إلى هالا .

في اليوم التالي، عندما استيقظت ألين، وجدت هدية صغيرة تحت وسادتها، إنها الفأرة الصغيرة التي أهدتها إياها هالا.

غمزت ألين الفأرة الصغيرة قائلة: "شكراً يا هالا! انتبهي جيداً للهايتي". ومنذ ذلك الحين أصبحت ألين تجمع الفئران الصغيرة، الزهرية والرمادية والبيضاء، المصنوعة من قماش، وأصداف ونحاس...

في النهاية، هذه أجمل من مجموعة اللهايات، أليس كذلك؟

ما قصة اللهاية؟

منذ اليوم الأول أحياناً أو اليوم الثالث على الولادة، يجد بعض الأطفال أنفسهم حاملين لهاية في فمهم. الحاجة الى المصّ حقيقية وأساسية في النمو النفسي والحركي للطفل. ولكن هل هذا طبيعي؟ طبعاً.

لماذا اللهاية؟

نرى أن الأطفال في الروضة والصفوف المدرسية الأولى يصطحبون معهم دبدوبهم ولهايتهم. صحيح أنهم يحتاجونها لفترة الاستراحة، ولكن ماذا بعد ذلك؟ كيف نتصرف عندما يبقى الطفل في الرابعة أو الخامسة أو السادسة من العمر متعلقاً بإصبعه أو بلهايته؟

هناك عدة تفسيرات للأمر:

– لا يزال الطفل بحاجة الى الاطمئنان. إن استعمال اللهاية يسمح لنا بالتعرف الى ما يقلقه. يحمل دبدوبه مثلاً عند تناول الطعام، أو يطلب اللهاية أثناء الاستحمام، أو يضع المصاصة في فمه على مدار الساعة... لعله في هذه الحالة متعب أو منزعج.

– بالنسبة إلى بعض علماء النفس، هذا فعل جنسي.

– لم يقطع الطفل بعد حبل السرّة مع أمه (هو بحاجة إلى بديل عنها)، وربما هذا ما يضايقنا في عمق أعماقنا. هذا الغرض الصغير يجعلنا نتساءل: لماذا لا يزال يحتاجه بحق السماء؟

– على الرغم من كل شيء، يجب الحذر: اللهاية والإبهام يشوهان الحلق وعظام الأسنان، وثمة احتمال كبير بأن تنمو الأسنان النهائية بشكل ملتوٍ .

كيف نجعله يتخلى عنها؟

الطريقة الفضلى تقضي بأن نتجنب بقاءها معه طوال الوقت. وإن لم نضع حداً لذلك، سوف ترافقه في كل مكان من دون شك. على المائدة، وفي الغرفة، وأثناء اللعب... امنعوه من البداية أن يحضرها إلى المائدة أو أن يضعها في فمه عندما تقرأون له قصة، أو أثناء مشاهدته التلفزيون. حاولوا قدر الإمكان أن تحدّوا من استعماله لها خلال الليل. وفي الصباح، أعطوه علبة صغيرة ليحفظها فيها.

بعض الأهل يستغلون نسيان طفلهم لها لكي يطووا صفحة اللهاية إلى غير رجعة. حتى إن أحدهم أخبرني عن أم شدّت الماء بعد أن وقعت لهاية ابنها في كرسي الحمام، وبعد ذلك، لم يطلب الصغير أبداً لهايته.

شأنه شأن اللهاية، يضيع الدبدوب في النسيان مع دخول الطفل إلى المدرسة. في الواقع، قلّة من أطفال الروضة يحملونه إلى مدرستهم، رغم أن بعضهم يركض إلى دبدوبه المحبب ما إن يصل إلى البيت على الرغم من سنواته الست أو السبع. في النهاية، هذه إحدى رغبات الطفولة الأخيرة...

ناقشوا الأمر معه

«ما رأيك لو جاءت فأرة اللهايات إلى غرفتك الآن؟ ربما تعتبر أنك

أصبحت كبيراً بما يكفي لكي تمصّ لهّاية أطفال. تخيّل أن لهايتك ذهبت إلى منزل الفارة وانضمت إلى مجموعتها.

نحن نضع اللهاية في فمنا لأننا بحاجة الى الأمان والراحة... وأحياناً لأننا نشعر بالقلق أو الخوف من أمر ما (الطعام، الفراق، النوم). هل تخشى أوقاتاً معينة في النهار؟ أظن أنك ستكون فخوراً جداً اذا مرّت فارة اللهايات يوماً ما وأخذت لهايتك لتكمل مجموعتها...».

الفصل السادس

قصص عن الحماقات الصغيرة والكبيرة

حكاية حبيب الذي يروي الأكاذيب

سأروي لك قصة حبيب الصغير،
وهو صبي ظريف
لكنه ليس راضياً عن حاله.
ما الذي حصل له في بيته
أو حين كان صغيراً، ليكره نفسه هكذا؟
كان لا يحب نفسه إلى حد أنه
يقف أمام المرآة
ويكثر أبشع التكشيرات.
تكشيرات قرود وأشباح وفزّاعات
فتجحظ عيناه ويلتوي فمه
ويضحك هازئاً كمصاص دماء!
وكان حبيب يقول وهو يمد لسانه لنفسه:
«أنت تافه، تافه، تافه!»
وفي يوم من الأيام، ومن دون أيّ سبب واضح،

طفح الكيل بحبيب، طفح به الكيل من نفسه،
من أعلى رأسه حتى آخر تكشيراته،
عندئذ، اخترع قصة حبيب الأول.
وحبيب الأول كان إمبراطوراً صغيراً
يحمل صولجاناً ويضع تاجاً ويحيط به الخدم.
كان حبيب الأول يعيش في قصر
في حديقته نبع من الكوكاكولا
وأشجار محملة بالسكاكر
وشاشات تلفزيون كبيرة بحجم البيوت
حيث يمكنه أن يشاهد آلاف الرسوم المتحركة في وقت واحد.
وفي غرفته حوض سباحة
وصالة ألعاب شاسعة
ولعبة خيول خشبية
ولعبة سيارات مسلية
وحتى متجر ألعاب، له وحده دون سواه!
كان حبيب يجيد رواية القصص
إلى حد أنّ الأولاد راحوا يتجمعون حوله
في كافة الفسح والاستراحات.
كان الأولاد يقولون: «حبيب، حدّثنا!»
ليروي حبيب:
«في الأمس، جلب لي أبي شبلاً

يكاد يكون بطول ذراعي!
وهو ينام في سريري، إلى جانبي،
وأنا أطعمه الحمام
والصيصان الطازجة
التي تتنزه في الحديقة.
وعندما يكبر سيلتهمكم كلكم!»
وكان يقول أيضاً: «عمي رائد فضاء
وسينطلق في مهمته التالية نحو القمر
وسيصحبني معه في مركبته».
وأصبح حبيب شخصاً مهماً فعلاً.
عندما يمشي في المدرسة،
كان يسمع من خلفه الهمسات:
«هذا حبيب، أتعرفه؟ ذاك الذي لديه في منزله شبل!»
«إنه حبيب! عمه رائد فضاء ووالده عميل سري».
وكانت هذه الوشوشات تشكّل ذيلاً ضخماً من الهمسات،
التي يجرها الإمبراطور حبيب الأول خلفه.
ولم يكن ذلك سيئاً كما ترى.
وفي أحد الأيام، تبع الأولاد حبيب إلى منزله
ليروا شبله.
لم يروا سوى منزلاً عادياً
لا يشبه القصور أبداً.

وفي اليوم التالي، قالوا له: «أخبرتنا أكاذيب!»
فضحك حبيب وأجاب: «لكن هذا منزل جدتي!»
ولم يعد حبيب قادراً على التوقف
فراح يروي الكذبة تلو الأخرى،
واكتشف أن الحكاية تجر أخرى،
وأخرى وأخرى
إلى ما لا نهاية.
فالقصر يجر شبلاً، وحوضاً للسباحة، وصاروخاً...
إلى ما لا نهاية!
وراح حبيب الأول هذا يربك أكثر فأكثر
حياة حبيب الصغير ويزعجها.
حتى أنه حرمه النوم ليلاً.
لكن كيف يمكنه أن يتوقف؟
كيف يتوقف عن رواية القصص؟
الأمر أشبه بالخروج من بيت تشعر فيه بالراحة والدفء والأمان!
أشبه بالخروج عارياً من دون ملابس
تحت المطر وتحت الثلوج.
هذا ما يعنيه الكفّ عن الكذب
هو أن يعود إلى حقيقته أيضاً.
وفي إحدى الليالي، وفيما هو يحاول أن ينام
استفاق حبيب على صوت خفيف.

حفيف أجنحة...

استقام في جلسته وصفق بيديه ليقضي على البعوضة.

لكن الحشرة الصغيرة راحت تضحك.

«أنا لست بعوضة!

أنا جنية الأحلام.

لدي أمر مهم أقوله لك.

وهو يتطلب ثانيتين أو ثلاث»

وهمست له جنية الأحلام في أذنه سراً.

إنه سر الأمور الحقيقية والصحيحة

ثم قبلته في شحمة أذنه

فتركت عليها أثر قبلة صغيرة على شكل قلب.

وأعلنت جنية الأحلام: «غداً، ستنظر إلى أذنك فتعلم أنك لم تكن تحلم!»

ومنذ ذاك الحين، تغيرت الأوضاع قليلاً.

وكبر حبيب حتى أصبح اليوم أباً.

وحاول وحاول أن يتذكر

سر الأمور الحقيقية والصحيحة.

وفي الليل، كان يبقى متيقظاً مترقباً

ينتظر عودة جنية الأحلام.

لكنها لم ترجع يوماً.

ما كان ذاك السر يا ترى؟

هل كان «الأكاذيب تجعل الإنسان تعيساً»،

أم «العالم أجمل حين يكون حقيقياً»؟

وأخيراً، توقف حبيب عن التساؤل

فما الغاية من ذلك في النهاية؟

لكنه لم يعد يروي الأكاذيب.

ولا حتى كذبة واحدة.

وبدلاً من ذلك، حمل ريشته

ورسم قصصاً جميلة جميلة.

قصص قلاع وقصور، ورواد فضاء

وقصص صولجانات وتيجان وأشبال.

وغيرها الكثير الكثير من الأمور...

ما قصة الأكاذيب؟

غالباً ما يكذب الأولاد، لكن هذا لا يجعلهم سيئي التربية حكماً!

لمَ الكذب؟

قد يلجأ الولد إلى الكذب لأسباب عدة:

- يدرك الطفل أنه صاحب فكر فريد، مختلف تماماً عن والديه. ويدرك أيضاً أنّ والديه لا يستطيعان الدخول إلى حديقته السرّية فيستغل الوضع! في الواقع، قد يشعر بشيء من القوة حين يرى أنه ليس شفافاً تماماً أمام والديه.
- يلاحظ الطفل أنّ الكبار يلجؤون أيضاً إلى التلاعب بالحقيقة، حتى وإن كانت الكذبة بيضاء. بعض الأطفال يشوّهون الحقيقة كلياً لأنّ والديهم

كذبوا عليهم في قضية وفاة، تبنّي، الخ...

- أخيراً، قد يشعر الطفل بالحاجة إلى اختراع عالم جديد، هوية جديدة، لأنه لا يثق بنفسه كثيراً. في هذه الحالة، يصبح الكذب عارضاً من أعراض «عدم الرضا عن الذات».

ما العمل؟

لا تصفي طفلك بالكاذب على الفور، فسيشعر بالإهانة وقد يثبّت وضعاً عرضياً أو غير مقصود أو طارئاً. إذا ناديته «بالكاذب»، فقد يقتنع بأنه كذلك فعلاً.

على أيّ حال، من المهم أن تلفتي نظره إلى انك لم تُخدعي فيعود بالتالي إلى أرض الواقع.

ناقشوا الأمر معه

بدلاً من الحديث عن «الكذب والأكاذيب»، اختاري عبارة «صحيح» أو «غير صحيح»: «ما تقوله الآن، غير صحيح، أليس كذلك؟» أو «أشعر بأن ما حصل هو العكس تماماً». عندما تستعملين تعابيره ومصطلحاته تجنّبينه الشعور بأنه متهم.

أفهميه أنّ الغلطة المعترف بها هي غلطة يُسامح عليها جزئياً: «لن أعاقبك لأنك قلت الحقيقة في نهاية الأمر». أفهميه الدوامة التي قد يعلق فيها: «عندما نبدأ برواية الحماقات، نضطر للاستمرار في ذلك. فالحماقة تجر الأخرى... وفي النهاية، نحكي كلاماً لا معنى له ولا فائدة!».

إذا استمر في الكذب فانتقلي إلى المرحلة الأعلى وأظهري بعض الحزم: «لا أحتمل أن تروي لي القصص غير الصحيحة. أحتاج لأن أثق بك».

وانتقلي إلى مرحلة العقوبات إذا ما اقتضى الأمر.

الأميرة صاحبة اللسان البذيء

كان يا ما كان في قديم الزمان

أميرة جميلة كالقمر.

كم كانت جميلة بعينيها الخضراوين

وشعرها الأسود المسترسل كالشلال على كتفيها

وفمها الأحمر كالفراولة!

لكن وللأسف لم يكن يخرج من هذا الفم الجميل

سوى كلمات فظيعة، كلمات بذيئة

كلمات شنيعة، مريعة، مخيفة.

كلمات تشبه غيلاناً أسنانها سوداء، ويكسوها الشعر.

تشبه سيلاً من الوحل، وسماء عاصفة.

فبدلاً من أن تقول صباح الخير، كانت تقول: «تووووت...»، وهذا ليس بتصرف أنيق يليق بأميرة.

وبدل أن تقول إلى اللقاء، كانت تقول: «باي يا حمقى!»

وبدل أن تتمنى طعاماً هانئاً، كانت تبصق أرضاً.

(وأنا أخبرك هنا بما هو أقل خطورة طبعاً

لأني أرفض أن أعلّمك كل الكلام البذيء الذي تقوله!)

هل تتخيل موقف أهلها؛

كان أبوها يوبّخها؛

فيما تصاب أمها بطفح جلدي حاد بعد كل وقاحة، لأنها تعاني من حساسية على الكلمات البذيئة.

إذا أردت معرفة الحقيقة في هذه الحكاية

فاعلم أن ساحرة شريرة

رمت سحراً على الأميرة شهيرة

يوم مولدها.

لأنها كانت تغار من عينيها الخضراوين

ومن شعرها الأسود الكثيف

ومن فمها الأحمر كالفراولة

فهي لم تترك من القبح شيئاً إلا وأخذته ولم ترث من الجمال شيئاً بأنفها البشع المحدّب، ورأسها الأشبه ببصلة الذي تعلوه بضع شعيرات، وأسنانها الصفراء من كثرة تدخين السيجار.

وتمنت لها الساحرة هذه الأمنية الرهيبة:

«غداً تكبرين وتتكلمين وبالكلام البذيء تتفوهين

وكل من حولك تجرحين!».

ولم يخطر ببال الملك والملكة (اللذان فقدا الوعي عند سماع هذه الكلمات)

أن يسألاها كيف يزول مفعول هذا السحر.

لأنه وكما تعلم، ثمة طريقة دوماً لفك السحر الشرير.

وظنت الملكة أنّ قبلة من الأمير الساحر

يمكن أن تنقذ ابنتها.

ألا يُقال في الحكايات

إنّ الضفدع يمكن أن يتحول إلى أمير،

والساحرة القبيحة إلى آنسة جميلة؟

وقالت الملكة بهيرة للملك برهان:

«صدقني يا عزيزي

القبلات هي خلاصنا الوحيد».

وأخذت ريشتها الأجمل

لتكتب إعلاناً في الجريدة الملكية:

«أميرة جميلة خضراء العينين،

سوداء الشعر وحمراء الفم،

تبحث عن أمير شاب على حصان أبيض».

ثم كتبت عنوان المملكة

وأرفقته بخارطة يمكن للفرس البيضاء أن تتبعها.

وجاء الأمراء الوسيمون كلهم!

الأشقر والأسمر والقصير منهم

والطويل والضخم والنحيل أيضاً

جاؤوا حاملين الهدايا والكلام الجميل.

مثل: «أيتها الأميرة الجميلة، عيناك الجميلتان تجعلانني أموت حباً».

لكنهم رحلوا جميعاً، مغتاظين تماماً

بعد أن سمعوا تحية الأميرة غير اللائقة،

وبعد أن قالت لهم: «يا لكم من حمقى»

وغيره من الكلام البذيء الذي لن أكرره لك أبداً.

بعد أن بدا عليهم القرف، امتطوا أحصنتهم البيضاء التي بدت أكثر تقززاً منهم.

من هو أمير الأحلام الذي يرضى بأميرة عديمة التهذيب؟

لكن، وفي أحد الأيام، اتجه نحو القصر

الأمير الظريف لكن العديم التهذيب

نعمان.

فقد قرأ هو أيضاً الإعلان.

قال وهو يدخل إلى القصر: «مرحباً يا رجال!

يا لكم من مجموعة حمير ومجانين

وهابيل وساطيل ومعادين.

أليست هذه العيشة عيشة كلاب؟»

ونطق أمام الأميرة بسيل من الكلمات الفظيعة بحيث اهتز القصر على ركائزه.

الأميرة التي لم تسمع قط مثل هذا الكلام

أصيبت بطفح جلدي عظيم وغابت عن الوعي.

ومر أمام عينيها

جيش من الرجال الآليين الدبقين، بشعرهم الكثيف وأسنانهم السوداء

وسيلاً من الوحول فيما نططت

الفيلان الصغيرة في كل مكان من حولها.

هذا هو تأثير الكلمات البذيئة

حين يتلفظ بها شخص آخر بطريقة جريئة.

وجاء الدواء أشد فاعلية من قنبلة بسيطة فبعد أن سمعت نعمان

أصيبت الأميرة بحساسية قوية على الكلام البذيء، تماماً كأمها.

وتوقفت عن التلفظ بها بين ليلة وضحاها.

وفي ذلك اليوم، وبسحر ساحر

تدفق العرسان على أبواب المملكة

وقدموا لها الممالك والمنازل الفخمة

والقصور والكثير من الأحجار الكريمة الفخمة.

لأنها لم تكن جميلة وحسب

بل أصبحت رائعة منذ تخلت عن عادة الكلام البذيء!

لكن الأميرة الجميلة رفضت العروض

وتزوجت الأمير نعمان

الذي لم يتلفظ بكلمة بذيئة واحدة

بعد أن وقع في حب الأميرة...

تزوج الاثنان

ورزقا بالكثير من الأطفال المهذبين وغير البذيئين

ولم تعرف المملكة يوماً أطفالاً أكثر أدباً.

كانوا يقولون:

«صباح الخير، وإلى اللقاء، وشكراً، وأرجوك، ومن فضلك، ومن بعدك، لا من بعدك، لا حقاً...»

وكانوا يضعون فوطة كبيرة بيضاء

حول العنق قبل الغداء،

ويسارعون إلى تنظيف أسنانهم بعد العشاء (من دون حتى أن يُطلب منهم ذلك ولو مرة)،

وينتظرون جنيّة الأحلام مبتسمين

في أسرّتهم مستلقين.

باختصار، كل الأمور الرائعة التي لا تحصل إلا في الحكايات.

أما من صاح من الغيظ والغضب فهو الساحرة الشريرة.

فقالت كلاماً بذيئاً، فظيعاً، مقرفاً

فتحوّل كلامها إلى سيل من الوحل حملها إلى الطرف الآخر من الأرض.

لكنني طبعاً لن أذكر لك هنا كل ذاك الكلام.

ما قصة الكلمات الممنوعة؟

كم يغري الأطفال التلفّظ بتلك الكلمات الممنوعة!

وكلما منعناهم أكثر، كلما تلذذوا في قولها. يكفي أن نرى كم يبدون مبتهجين ومسرورين وهم يقولونها.

ما العمل؟

أولاً، افرضي على طفلك أن يكون مهذباً معك. ينبغي ألاّ يناديك باسمك، لتصبحي على قدم المساواة معه. كما يجب أن يتحدّث عنكما قائلاً «ماما» أو «بابا» وليس «هي» أو «هو».

لكن لا تبالغي في رفع السقف، ولا تحاولي أن تجعلي منه نابغة في التهذيب أو أن تستخدمي مفردات صعبة. افرضي عليه فقط هذه الكلمات

السحرية البسيطة: شكراً، أرجوك، صباح الخير، إلى اللقاء.

ادفعيه إلى إظهار حسّ الفكاهة لديه، وإلى اختيار المفردات المضحكة. ولِمَ لا تنشطّين حس الإبداع لديه عبر ابتكار أسماء أخرى مثل «دجاجة منتوفة»، و«ديناصور بثلاثة قرون»، الخ.؟ انتبهي أيضاً إلى ما تتفوهين به، فالأطفال يعمدون إلى التقليد، والقانون الذي يقضي بمنع السباب والشتائم في المجتمع يسري أيضاً على الراشدين! إذا ما حصل أن تلفظت سهواً بشتيمة ما، فاعتذري منه.

أخيراً، إذا ما ساءت الأمور، اعمدي إلى معاقبته: إذا تلفّظ بخمس كلمات بذيئة يُحرم من التحلية؛ وإذا ما تفوّه بعشر كلمات يُحرم من مشاهدة التلفزيون، الخ...

ناقشوا الأمر معه

«نحن لا ننتبه حين نتفوه بها، لكن الكلمات البذيئة ليست جميلة! فهي تتدحرج كسيل من الوحول. لذا، لا نحب أن نصادق طفلاً أو راشداً يشتم طيلة الوقت.

الكلام البذيء الذي نتلفّظه أمام الآخرين أخطر من ذاك الذي نحتفظ به لأنفسنا.

أنا لا أرغب في سماع كلامك البذيء، فهو لا يخص سواك.

إذا كنت لا تستطيع أن تمتنع عن قوله، فاذهب إلى غرفتك».

عالم من الأكاذيب

في أحد الأيام، وعندما أدار والده ظهره

انسلّ جاد الصغير إلى مكتبه

ليلعب بالكمبيوتر الكبير

وهو أمر ممنوع تماماً!

ولعب ولعب ولعب...

وعندما رحل، نسي أن يطفئه.

وبقي الكمبيوتر شغالاً طيلة النهار.

ذاك المساء، سأل الأب بصوته الخشن

(صوت أشبه بصوت الدب الكبير):

«من لعب بالكمبيوتر؟»

وأجاب الكل «لا».

فقال جاد الصغير أيضاً «لا»، من دون أن يحمر وهو ينظر بعينيه الفاتحتين إلى عينيْ أبيه.

وكانت هذه كذبته الأولى الحقيقية!

عندئذ، قال الأب: «أنا من نسيه.

إن عقلي في غير مكانه في هذه الأيام!»

أحس جاد الصغير بشعور غريب.

إذن، من السهل أن يكذب الإنسان؟

حتى على والده؟

الأهل لا يحزرون كل شيء...

وفي اليوم التالي، أخذ جاد الصغير ورقة المال التي تركتها والدته في السلة المعلّقة في المدخل لتشتري بها لاحقاً الخبز.

ودسّها في جيب سرواله القصير.

بحثت عنها الأم قليلاً ثم سألت:

«جاد هل رأيت المال الذي وضعته جانباً؟»

فأجاب جاد الصغير من دون خجل: «لا».

ثم أضاف: «ربما استخدمتها بالأمس لتشتري التحلية؟»

فقالت الأم: «ربما، ربما...»

ولامس جاد الصغير بيده المال الذي في جيبه.

الآن، عندما يُسأل:

«جاد، هل غسلت يديك؟»

يجيب بصوت واثق:

«نعم، طبعاً. غسلتهما ونشفتهما!»

وكان يفعل الأمر نفسه بالنسبة إلى تنظيف أسنانه والاستحمام.

وهكذا، بنى عالمه من الأكاذيب.

والغريب أنه لم يعد قادراً على التوقّف.

في المدرسة، عندما كانت المعلّمة تسأل:

«من ذهب إلى السينما»، كان يجيب:

«أنا! عشر مرات!»

«ومن سافر إلى كندا؟»

يجيب جاد الصغير: «أنا»، رغم أنه لم يذهب يوماً بعيداً.

فتقول المعلمة: «هات أخبرنا!»

وكان جاد الصغير يروي مع كثير من التفاصيل:

الأشجار، السناجب، الألوان، الأوراق...

وكان التلامذة يصدّقون كلامه والمعلّمة أيضاً.

فهو يجيد الرواية!

بدا من المسلي جداً أن يخترع عالماً.

وفي يوم من الأيام، دعا جواد الصغير جاد الصغير لزيارته.

فسألته الأم: «هل تحب قالب الحلوى بالشوكولا؟».

فأجاب جاد الصغير: «لا».

رغم أنّ عقله كان يقول ويكرر «نعم، نعم، نعم!».

لكن هذا هو الحال مع الكذب.

ما إن تبدأ بالكذب حتى تعجز عن التوقّف.

ثمة سحر ما انطلق.

عندما يرغب جاد الصغير في أن يقول نعم، كانت لا كبيرة تخرج من فمه.

وعندما يرغب في قول لا، كان يقول نعم!

بعدئذ، اشتدت قوة الآلة وسرعتها.

عندما يخرج للتبضّع

كان يرغب في شراء كرة حمراء

ويقول: «إنني أفضّل السوداء».

ما الذي يدفعه إلى قول عكس ما يريد قوله؟

هل هو جنيّ شرير أم جنيّة أم أمير الكذب؟

أم شخص أراد أن يعطيه درساً لا ينساه؟

وانتظر جاد الصغير بضعة أيام

ليظهر الجنيّ الشرير ويتجلّى.

لكن أحداً لم يصل...

عندئذ، أعاد جاد الصغير المال إلى مكانه في المدخل،

ما أذهل أمه التي قالت بصوت عالٍ:

«غريب! لقد أنهى المال نزهته الصغيرة!».

وفي المدرسة أيضاً توقّف عن رواية الأكاذيب وابتكار القصص

لمجرد أن يكون شخصاً آخر.

وهذا مسلٍ أكثر،

من المسلي أن تقول «نعم» حين تفكر «نعم»

و«لا» عندما تفكر «لا».

فأن تكون شخصاً آخر من دون أن تحب الحلوى بالشوكولا

أو الآيس كريم بالفانيلا

ليس بالأمر المسلي جداً...

العنكبوتة الصغيرة التي أرادت كل شيء، كل شيء، كل شيء

كانت ماتيلدا، أميرة السلابين،

حابكة ماهرة

ككافة العناكب.

بأقدامها الرفيعة، كانت تحيك

الشباك الجميلة والمتينة في ليلة واحدة!

تحب العناكب بناء أكثر من بيت لها

لكن ماتيلدا كانت طمّاعة أكثر من غيرها.

فقد مدّت شباكها في كل مكان.

فوق شجرة الجوز، وفي العلية وفي المطبخ.

لكنها أرادت المزيد: ستة، ثمانية أو حتى اثني عشر منزلاً كما فكّرت حتى في أن تبني قصراً!

في شبكتها الرئيسية، كانت ماتيلدا أميرة السلاّبين توضّب مؤنتها،

قطع أوراق الخريف

خيوط صوف من الأوشحة

أغصان تسرقها عن الأرض

بالإضافة إلى تخزين الذباب الكبير منه والصغير الذي تاه في خزانة أطعمتها!

كانت ماتيلدا تخزّن منها عشرة، خمس عشرة وخمسين.

وهذا كثير على بطن العنكبوت الصغير.

وكانت قريباتها عناكب الحقول والرتيلات تتساءلن:

«لِمَ تحتاج إلى كل هذه الأشياء؟»

فعطش ماتيلدا لا يرتوي!

عندما تعود إحدى جاراتها إلى بيتها مع نصف ذبابة، كانت تحمرّ من الغضب.

في الواقع، ما إن ترى شيئاً ما يحوم في الهواء، حتى تمد قوائمها لتلتقطه.

بعدئذ، تسجّل كنوزها في دفتر كبير

تكتب فيه بحبر سرّي

لئلا يقرأه أحد!

لِمَ كانت ماتيلدا تتصرف بهذا الشكل؟

ما من أحد يعرف.

كل ما نعرفه هو أن مكنسة كهربائية ضخمة ابتلعت والديها أثناء عملية تنظيف بمناسبة حلول الربيع

ويُقال أيضاً إنها لم تبكِ ولم تصرخ

بل رحلت بعيداً ولم تلتفت إلى الخلف.

وراحت تجمع وتكدّس أشياء غير مفيدة في شباكها.

من حين إلى آخر، كانت أميرة السلاّبين تقيم حفلات لقريباتها عناكب الحقل والرتيلات.

لكنها لم تكن تفعل هذا إلاّ لتتلقى الهدايا.

فتضع على الطاولة كومة صغيرة من الذباب والحشرات فيما تجمع الهدايا بنهم.

ولم يطل بها الأمر حتى أصبحت وحيدة

فمن يرغب في مصاحبة هكذا عنكبوتة؟

شعرت ماتيلدا بحزن شديد فراحت تنسج شباكاً سوداء.

كانت شباكها كئيبة ومخيفة.

ربما أنها لم تكن تتلقى الحب أو اللطف

احتاجت لمزيد من الذباب الصغير والكبير، وخيطان الصوف والخشب.

كما راحت تسرق ليلاً الأغراض من شباك جاراتها.

كانت تعلم أنّ هذا التصرف خطأ وعيب

لكن الحاجة والرغبة كانتا أقوى منها.

في الواقع، كانت تريد الحب لكن أحداً لم يمنحها إياه.

لاستكمال القصة اعلم أنّ ماتيلدا التقطت في شباكها في يوم حزن عظيم، أسير القلب الحائر

وهو «عنكبوت» صغير ذو عينين ناعستين.

وقد أفرحه أن يقع في الشباك، إذ لم يعد يعرف ماذا يفعل بأرجله!

وأنجب الحبيبان العديد من العناكب الصغيرة

وبنيا شبكة من ست طبقات...

لكن الهدف لم يكن تخزين الذبابات!

بل إيواء أطفالهما.

وأصبحت ماتيلدا سعيدة

ونسجت شباكاً زرقاء ووردية.

ووزعت من حولها

حشراتها، وذبابها، وأغصانها الصغيرة الجافة.

ومزّقت صفحات دفترها الكبير

حيث كانت تسجل كنوزها كلها

وصنعت منها ألعاباً من ورق لأطفالها

إنها تحب وهي محبوبة

فماذا تطلب أكثر؟

ما قصة السرقة؟

سواء أكان أسطوانة أم بعض السكاكر من المخبز المجاور أم صورة لاصقة في ملعب المدرسة، فقد سرق... ويجب الاّ تدعي الأمر يمرّ مرور الكرام وكأن شيئاً لم يحصل.

حلّلوا الوضع

السرقة هي عارض: قد يسرق الولد بدافع الشعور بالحرمان والتعويض، او لانه حزين. إنّ التملّك امر ضروري وهام جداً لدى بعض الأولاد. لعله يمرّ بمرحلة هامة في مسار نموه (تنتظرين طفلاً آخر، تتشاجرين مع زوجك كثيراً، الخ...). لعله قلق ومضطرب حالياً. لعله يشعر بأنه مستبعد بعض الشيء عن حياتك وبأنه لا ينال ما يستحقه برأيه.

لعله سرق ليقيم علاقات صداقة، او كلعبة. عندما يبلغ الطفل سن 6 ـ 8 سنوات، قد يسرق بدافع التحدّي، ليكسب الصداقات وحتى ليدخل في مجموعة معيّنة من الرفاق. إنها مرحلة الزعامة والقيادة...

ما العمل؟

لا تصفيه بالسارق فهذا من شانه ان يثبّت الوضع، إنما كوني حازمة معه: «لا يحق لك أن تسرق. لا يحق لأحد ان يفعل! الطفل لا يوضع في السجن لهذا طبعاً، لكن الكبار حين يسرقون يُزجّون في السجون».

أكّدي له حبك وثقتك به: «انا اثق بك. اعلم انها مرة وحيدة، وانك فعلت هذا لتجرّب وحسب. لكنها غلطة. انت لست سارقاً ولست شريراً».

ناقشوا الأمر معه

«ماتيلدا العنكبوتة الصغيرة تريد كل شيء لنفسها.

وهي تشعر بغيرة شديدة حين يحصل أحدهم على شيء لا تملكه. فهي ترغب في امتلاك كل شيء، وهي تسرق حتى أصدقاءها... لكن السرقة ممنوعة.

هل تظن أنها فعلاً شريرة؟ أنا لا أظن ذلك. أظن أن ماتيلدا في أعماقها حزينة جداً، وهي تظن أنها ستصبح أكثر سعادة إذا ما امتلكت الكثير من الأشياء. لكن لا بد أنك لاحظت أننا عندما نحصل على لعبة، نرغب في الحصول على لعبة ثانية ومن ثم ثالثة... فنحن نرغب دوماً في شيء آخر! يمكن للرغبات أن تمتد إلى ما لا نهاية. لذا، امتلاك كل شيء لا يفيد. على أيّ حال، لا يمكنك أن تحصل على كل شيء، ولا يمكنني أن أشتري لك كل شيء. من جهة أخرى، إذا رأيت شيئاً أعجبك فيمكنك أن تخبرني لأسجّله في مفكرتي وأهديك إياه في عيد ميلادك...

أديب عديم التهذيب

جرت هذه الحكاية في عصر الأمراء

والأميرات والجنيات العرابات.

أنت تعرف الجنيات العرابات.

إنهن السيدات اللواتي يلزمن بعصيهن فوق المهد ويقررن أنّ الطفل سيكون جميلاً، ذكياً، نبيهاً، ماهراً، يجيد لعب الشطرنج، ويقاوم فيروس الرشح ويحصد البطولات في التزلج، ويهوى لعب الغولف، ويرسم سفن القراصنة ويجمع القطع النقدية الذهبية، الخ...

وبما أنّ الملوك والملكات يعرفون الكثيرين يتوجب عليهم دعوة الكثير الكثير من الجنيات ـ العرابات.

وقد تحوّل الأمر إلى مهمة صعبة،

إذ لا يمكن دعوة

مئتي جنية في الوقت نفسه!

والأمراء الصغار لا يعيشون سوى مرة ولا يمكنهم أن يصبحوا أبطال العالم مئتي مرة!

لكننا نعلم أن الجنيات العرابات

اللواتي يعشقن شرب العصير وأكل الحلوى

لا يحببن أن يُستبعدن عن الحفلة.

وعندما لا تتم دعوتهن

يحضرن ويجعلنك تنام مئة عام

أو يُنبتن لك سموماً

أو يحولنك إلى ضفدع.

فلديهن أكثر من حيلة في أطراف عصيهن.

ولهذا، وبمناسبة تعميد أديب الصغير

قرر الملك والملكة

دعوة الجنية بعوضة الفظيعة، خوفاً من ردّ فعلها الشنيع.

إنها جنية سريعة، وبذيئة، وعديمة التهذيب.

فهي لا تلقي التحية أبداً، ولا تقدم الشكر أبداً، وتصفق الأبواب في وجوه الآخرين، ولا تعتذر أبداً قبل التلفظ بأمنية...

وعندما حان موعد توزيع الهبات،

اقتربت من السرير الصغير وقالت وهي تضحك هازئة،

«أنا لا أشكرك أبداً على دعوتك.

فالعشاء لم يكن لذيذاً، واللحم لم يكن طرياً، والعصير لم يكن طازجاً.

سأتمنى أمنية:

سيكون الأمير أديب عديم التهذيب، وقحاً، نذلاً، وفظاً!».

وغادرت صافقة الجسر المتحرك خلفها.

وهكذا، كبُر الأمير أديب الصغير

وكان وسيماً، ذكياً، وفظاً.

حتى في صغره، وهو مستلقٍ في سريره،

كان يمد لسانه لأمه الملكة

التي تلاعبه وتدغدغه.

عندما أحضروا له هدايا عمادته،

كشّر تكشيرات رهيبة

وراح يصرخ: «كم هذا بشع»!

(لأن جنيّة الكلام أرادته أن يتكلم وهو في شهره الثالث).

لقد كان، كما ترى، عديم التهذيب فعلاً.

واستدعى الملك والملكة من بعيد

معلمين في التربية وحسن السلوك لكن من دون جدوى.

وكلما كبر أديب، كلما ساءت الأمور.

كان يمد قدميه الحافيتين والوسختين على الطاولة بين الشمعدانات الفضية.

وكانت ترتسم على وجهه دوماً ضحكة هازئة شريرة ويقول: «هذا الحساء مقزز.

تفه! لست جائعاً. كما أن رائحته ليست زكية».

ووُضع في السجن ثمانية أيام،

وفي مدرسة داخلية لأسبوع... من دون جدوى.

وجاء كبار أصحاب الاختصاص لرؤيته.

فالأمراء القبيحون كالضفادع يوجد الكثير منهم

والأمراء المضحكون الذين يخافون من التنانين معروفون

لكن أمراء فظيعين بهذا القدر

هذا ما لم تشهده المملكة في تاريخها أبداً.

كما أنه كبُر وحيداً من دون رفاق،

فأن يضحك الآخر بالأحمق

وأن يأخذ كل ما تحمله من سكاكر من دون حتى أن يقول لك كلمة شكراً

أمور لا تشجع على عقد الصداقات.

في الواقع، كان الكل يعتبر أديب شريراً

بسبب الأمور الشريرة التي يقولها.

لكن أديب العديم التهذيب

كان يرغب أحياناً

في أن يقول مرحباً أو شكراً أو رجاءً،

أي كل الكلمات اللطيفة التي يقولها الأمراء الصغار المهذبون.

لكن هذه الكلمات لم تكن تخرج من فمه.

وفي أحد الأيام، قصدت الملكة سراً الجنية العزابة التي أصبحت عجوزاً جداً وأكثر وقاحة من قبل.

قالت لها العجوز الفظيعة، «سأمنحه فرصة،

عليه أن يخوض معي مباراة في الوقاحة.

سيربح من يظهر قلة أدب أكبر، ذاك الذي يظهر وقاحة أعظم.

لكن انتبهي! فأنا من سيربح.

فأنتم كلكم فاشلون، حتى أنت!»

وراحت العجوز تضحك ساخرة.

وصل الأمير أديب. ودامت المباراة اثني عشر يوماً ونصف.

مباراة في الوقاحة والسفاهة

وركلات في المؤخرات، وعدم تهذيب

وأصابع في المربى وفي العجين...

وفي اليوم الثاني عشر ونصف،

لم تعد الجنية العجوز تحتمل.

فنامت وغفت وراحت تشخر أيضاً، ما يدل على قلة تهذيب طبعاً!

وفي تلك اللحظة بالذات، هوب!

انتزع الأمير أديب شعرها المستعار

وكشف عن رأس أصلع.

لكن، بما أنها كانت غارقة في النوم، لم تستطع أن ترد.

وربح أديب المباراة.

فانفك السحر على الفور.

وأصبح الأمير الصغير الأكثر أدباً وتهذيباً في تاريخ المملكة.

وتصوّر أنه لم يعد أبداً وحيداً بعد ما جرى بل أصبح لديه فريق كبير من الأصحاب والرفاق في محيط المملكة.

هل كان أديب العزيز

هو نفسه ذاك الفتى الوقح، عديم التهذيب؟

كان الكل يحبه ويقدره

ويقدم له كل ما يرغب به.

وتلك المرحلة حين كان وقحاً ولا يحتمل

أصبحت من الماضي البعيد.

أما الجنية العزابة

فقررت لشدة تقززها

ألا تحضر عماد أيّ طفل ثانية.

ومنذ ذاك الحين، أصبح الأولاد أكثر أدباً

حتى وإن اضطروا لبذل الجهود دوماً

كي لا ينسوا تلك الكلمات السحرية الشهيرة...

ما قصة الوقاحة والكلام الفظ؟

يمرّ الأولاد كلهم، لا سيما بين سن الثالثة والسادسة، بمرحلة وقاحة. وهذا طبيعي: فهم يحاولون استفزازك واحتقارك.

علّموه الاحترام

هل يحاول أن يجعلك تضحكين بالنكات؟ لا تنجري إلى لعبته. ولا تبتسمي حتى؛ ولا تضحكي. إنّ سلطتك تترسخ هنا، في رفضك للوقاحة. كما ينبغي ألاّ تبتسمي حين يناديك باسمك. وهذا ليس مجاناً: فهو يسعى خلف شيء ما...

ليكن موقفك متماسكاً: تحدّثي في المنزل كما ترغبين في أن يتحدث إليك. ولا تنسي أنت أيضاً الكلمات السحرية، وأنت تتحدثين إليه أو إلى سواه من أفراد الأسرة: من فضلك، شكراً، أرجوك، الخ...

لا تولي الكثير من الأهمية لكلماته الوقحة الصغيرة بل تجاهليها ظاهرياً. من ناحية أخرى، هنئيه حين يتحدّث بلطف، عندما يشكرك، وعندما يتصرف بشكل لطيف.

احترمي طفلك كما لو أنه «ضيف مؤقت»، أيْ كشخص لا نسمح لأنفسنا معه بمثل هذه الألفة وهذا الإهمال الناتجين أحياناً عن القرب المفرط.

ناقشوا الأمر معه

«لا يسعى الأهل دوماً إلى إزعاج أولادهم، صدّقني! حتى وإن كانوا يكررون دائماً (افعل هذا، افعل ذاك، قل شكراً...). يجب أن تكون مهذباً مع الآخرين، مع أولئك الذين تحبهم وتحترمهم. أن تكون مهذباً يعني أن تقول «مرحباً» و«إلى اللقاء» و«شكراً» و«من فضلك»... هذا أشبه بهدية تقدّمها للآخرين. قد يبدو ذلك تافهاً ولعلك تظن أنّ لا فائدة من ذلك؟ أبداً! حين تقول هذه الكلمات السحرية كلها، تثبت لهم أنك تحترمهم وأنك تحبهم.

ينطبق الأمر نفسه على بعض الحركات. إمساك الباب وإبقاؤه مفتوحاً ليدخل أحدهم، أو أن تقف لتدع شخصاً مسناً لا يقوى على البقاء واقفاً، يعني أنك تنتبه للآخر ولحاجاته، ألا تعتقد ذلك؟ وكأنك تقول له: «أنت هنا وقد رأيتك، أنا أهتم بك».

حان دوركم الآن: محترف كتابة صغير

إيقاع القصة العام

يسير عالمنا بسرعة متزايدة. لاحظي الدعايات (التي يعشقونها)، والأقراص المضغوطة التي تنتقل فيها من صورة إلى أخرى، «الانتقال من محطة تلفزيونية إلى أخرى»... هل علينا أن نبجّل هذا أم نندم عليه؟ لا هذا ولا ذاك. لكن لاحظي أنّ مخيلة صغارنا تتأثر وتتعدّل بسبب هذا كله.

عندما ندرس حكايات الأطفال التي نُشرت في الستينات والسبعينات، وحتى الرسوم المتحركة حينذاك، نتفاجأ باختلاف الإيقاع والوتيرة. هل الأطفال حينذاك كانوا مختلفين جداً عن أطفال اليوم؟ من دون شك.

يطالب أطفالنا حالياً بوتيرة خاطفة وسريعة، بقصة تنطلق بسرعة وتتضمن انفعالات وأحاسيس متواصلة. كيف نتوصل إلى ذلك؟ يجب أن تكون الجمل قصيرة، حادة، مختصرة، إذ ينبغي أن تصل القصة إلى الجوهر حتى إن بدت عقدتها غير متقنة تماماً. فالحبكة المعقدة التي تترافق مع الكثير من الاستطراد، ستعقّد الأمور كثيراً. نحن هنا في عالم القصة الساذج والتبسيطي أحياناً.

السيناريو: التماهي والوقوف على مسافة

يجب أن يفهم الطفل أنّ المقصود من الحكاية هو والآخر في وقت واحد. إنها «أنا» متنكرة. لذا، يجب أن يترافق التماهي مع الوقوف على مسافة.

- التماهي

لكي تنجح عملية التماهي، اختاري شخصية من عمر طفلك إنما ليس من العالم نفسه حكماً. يجب أن تقترحي عليه تنكراً يسهل عليه تحمّله، تنكراً جذاباً: صبي صغير، نعم، إنما أمير؛ أم، نعم، إنما ملكة؛ فتاة صغيرة، نعم، إنما ساحرة لطيفة وودودة.

للمواضيع الأكثر إيلاماً كالموت أو المستشفى، من الأفضل الاستعانة بحيوانات أو بشخصيات خرافية: أرنب، فأرة، سنجاب، غيمة صغيرة (أشبه بالقطن وسريعة العطب)، بطة، إوزة صغيرة، صوص...

- الحفاظ على مسافة

إن الوقوف على مسافة من ناحية الوقت أمر أساسي لطمأنة طفلك ولتحريك مخيلته. تتضمن الأوقات الماضية بعداً رمزياً وسحرياً. يمكننا أن نطلق هذه المسافة الزمنية بفضل بعض الجمل التقليدية مثل «كان يا ما كان» أو «في الماضي البعيد، البعيد» أو «في ذلك الزمان حين كانت الحيوانات تتكلم» أو عبر عبارات أخرى مثل «لم تكن قد ولدت أنت، ولا حتى أنا أو جدك أو حتى جد جدك»، الخ...

كما أنّ تحديد المسافة والمكان ضروريان. يمكنك أن تحددي إطار القصة في منطقة بعيدة، كأفريقيا مثلاً أو في جحر عميق أو في السماء...

وضع مماثل

إذا أعدت رواية قصة ما يجري مع ابنك حرفياً، فقد لا «يقتنع». ستفرغ من القصة رائحة الرسالة الموجهة إليه! سيقرأ فيها إرادة تعليمية وإرشادية ستزعجك وتضعف مدى القصة العالمي. فعلى سبيل المثال، إذا ما توجه طفلك إلى المستشفى ليخضع لعملية في العينين، حاولي أن تبعدي القصة قليلاً عن هذا الموضوع ولكن عن استئصال عملية الزائدة الدودية أو اللوزتين، أو حتى عن مجرد زيارة إلى المستشفى.

المخيلة كبعد أخير

من الأفضل أن تغرف من مخيلته بدلاً من ذكرياته. لماذا؟ لأنّ الذكريات تحدّ الرواية دائماً. إذا تحدثت عن حدث حصل معك، ستجدين صعوبة في إظهار التجرد وفي الانطلاق بالقصة نحو عالم الخيال. لا ينبغي حكماً تقليد شخص معروف بل الاستعانة بمواصفاته وخصائصه وخلق شخص خيالي.

الشكل: الإيقاع هو الأهم

يحب الأولاد القصص القصيرة التي تنطلق بسرعة. كتب بالزاك: «ادخلوا على الفور في الحدث. اعرضوا موضوعكم بالعرض حيناً ومن الخلف أحياناً، أخيراً. نوّعوا المستويات لئلا يكون هو نفسه دوماً». باختصار، كونوا سريعين في عرض الأحداث منذ السطور الأولى. يحب الأولاد الموسيقى والإيقاع. لذا، من الأفضل أن يكون للقصة «موسيقاها الخاصة» حتى تقارب ما يشبه الأغنية. يمكننا أن نستخدم الإيقاع الثلاثي القائم على قاعدة الثلاثة. إنه نمط

كلاسيكي لكنه فاعل. تُظهر قصة «الخنازير الثلاثة الصغيرة» تكراراً بمعدل ثلاثة: ثلاثة خنازير، ثلاثة منازل، واحدة من قش والثانية من خشب والثالثة من آجر.

يطوّر الإيقاع الثلاثي ترقّباً تصاعدياً، لكنه مطمئن لأننا نخمّن بسهولة نهاية القصة السعيدة. من جهة أخرى، يبقى الولد منتظراً شيئاً ما... هذا ما يزيد من لذته وسروره.

يعشق الأولاد التكرار كما في الأغنية. تملك الجملة التي تتكرر في بعض المراحل الهامة من الحكاية (أرتدي سروالي، قميصي...) مزايا سحرية، فهي تؤخر النهاية وتزيد الترقّب وتجعله يتصاعد.

ولتتأكدي من إيقاع جملك، ومن وقعها على أذنه، من الأفضل أن تعيدي قراءة قصتك بصوت عالٍ إذا ما كتبتها سيقاً.

الشخصيات الرئيسية

يجب أن يكونوا عاديين بما يكفي كي يتمكّن الطفل من إيجاد نفسه فيهم. عاديون، يعني إنسانيون! يشير المحلل النفسي برونو بتلهايم إلى أنّ إضفاء طابع عادي على الشخصيات هو إحدى نقاط قوة القصص الخيالية: «القصة الخيالية تعلن بوضوح أنها ستروي لنا حكاية أيّ شخص، حكاية شخصيات تشبهنا كثيراً. إذا ما وردت أسماء، فهي ليست بأسماء علم بل مفردات عامة أو وصفية».

أخيراً، اختاري شخصيات غير غامضة وغير معقّدة.

أبطال بأدوار تناقض شخصيتهم

إنّ الأبطال الذين يعشقهم الأطفال، والذين أوردتهم أنا شخصياً في هذا الكتاب، يلعبون أدواراً مناقضة لشخصيتهم، تجعلهم أقرب

إلى الإنسان العادي. ينتهي الأمر بهذه الشخصيات الخرافية، بعيوبها كلها ومخاوفها، بأن تشبهنا.

في قصص المساء هذه نجد: سمكة قرش قلقة، جنيّة صغيرة مكسورة الخاطر أو قصيرة البصر أو خجولة، زعيم للقراصنة يمرض، وشبح يخاف الليل، وأمير الأحلام الذي يتذمر لأن حذاءه يصدر صوتاً، وأسد جبان أو ضعيف أو صغير، وذئب لا يأكل سوى الحلويات، وملك عاطل عن العمل، ومصاص دماء مكتئب... كل شيء ممكن!

إذا كانت هذه الشخصيات ناجحة فلأنها لا تشبهنا وحسب بل هي «معاكسة للشخصيات المعتادة والمتكررة» ما يشكّل مفاجأة. وبالتالي، تتميّز بقوة أدبية معيّنة! إليك بعض الاقتراحات لشخصيات بأدوار مناقضة لشخصيتهم: لص يقع في الحب، ثعلب قلق ويخشى الليل، ملكة تصرخ لأن أولادها يثيرون أعصابها، ملك صغير يسرق أو يكذب، شرير يخشى الظلام...

الأشرار واللطفاء

في عالم الحكايات، يكون وصف الشخصيات الثانوية، سواء أكانت لطيفة أم شريرة، مبالغاً فيه. وإلاّ كيف سيجد الولد مكانه؟ كيف سيشعر بالأمان ويطمئن؟ لا بد من أسس متينة لتحريك مخيّلته وطمأنته.

حقيقة القصص أبسط من حقيقة الحياة. فالأشرار هم أشرار فعلاً، واللطفاء غاية في اللطف. وكلهم نعرفهم عن بعد. ما من تعارض أو تناقض! لاحظوا عالم ديزني: كروييلا أو الملكة الشريرة في بياض الثلج تحيلتان، غاثرتا الخدين، وقاسيتا النظرة؛ وينطبق هذا على المنافق في «الأسد الملك» بملامحه البارزة وعينيه الخضراوين الصغيرتين الغادرتين.

هل من أشرار ولطفاء في قصتك؟ اجعليهم قمة في الشر أو قمة في اللطف.

نهاية سعيدة...

لا بدّ أنك لاحظت أن عدداً كبيراً من قصص الأطفال ينتهي نهاية حسنة. وهذا لحسن الحظ، لأنها الطريقة الوحيدة لطمأنتهم. نحن لا ندافع طبعاً عن النهايات السعيدة بشكل مطلق. إنّ بعض قصص الأطفال الحزينة إلى حدّ البكاء رائعة، مثل قصة بائعة الكبريت الصغيرة أو عروس البحر، لكننا هنا في إطار مشاعر وانفعالات صرفة.

للمساء

هذا الاقتراح الصغير هو للأمهات المتعبات. يمكن إنهاء قصص المساء بجملة رئيسية وعملية جداً: «وفجأة، راح بطلنا الصغير يتثاءب وغفا على وسادته»، على أن يتم التلفظ بها بصوت يتناقص ارتفاعه حتى يصل إلى الهمس ومع إغماض العينين نصف إغماضة. ما من حلّ أفضل من هذا للتمهيد للنوم والحؤول دون سماع الطلب المعتاد «أريد قصة أخرى...». أليست هذه النهاية الأسعد؟ النوم هو الاستسلام بثقة؛ هو إزاحة ثقل الخوف والتخلّص منه.

هذه بعض النصائح التي طبّقتها أنا نفسي في كتابي 100 قصة للمساء. والآن، حان دورك!

قريباً، سيطلب منك أولادك، «ماما، أرجوك اقرئي لي قصة».

وعندما تمدين يدك لتأخذي كتاباً من المكتبة ستسمعينهم يقولون: «لا، لا نريد كتاباً... بل قصة ترويها أنت!»

المحتويات